الجزء الأول

بيان وجوب الاعتزال في آخر الزمان إلى أن يمكن المهدي خليفة الرحمن

لأبي عبدالله
الحسين بن موسى اللحيدي

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد :

لقد أكثر النبي عليه الصلاة والسلام في إخبار أمته عما يكون بعده من أحوال تعتري الناس وتبدلات تظهر على الأجيال المتعاقبة ، ومما نص عليه أن من خير القرون القرن الذي بُعث به ، وأن من أشر القرون القرن الذي يخرج آخر الزمان ، وأكثر في بيان صفات هذا القرن الشرير وأضافه إلى الشيطان ، فقال : (قرن الشيطان) . وإلى هذا المنتهى في ولاية الشيطان ، للحد الذي يضيفه رسول الله ﷺ إلى إبليس اللعين .

والمتمعن بحال هذا القرن الذي نعيشه ، يجد أن الإسلام قد وهن فيه واعترى أهله ضعف وهوان ، والكفر بجميع مللة يقوى أهله ويحلو لهم هذا القرن ويزدان ، لا يوالون من المسلمين إلا من انسلخ عن دين الله تعالى كما الحية عن جلدها تنسل عفرية ، قرن فيه الباطل يصول ويجول ، والحق فيه طريد مكسور ، إذا سمعت سمعت من أهل الحق همساً ، ولأهل الباطل كل المنتديات والخطب والنشرات .

إندرست معالم الإسلام ، وأقيمت بدلا منها صروح الكفر والنفاق ، ودوما تجد للباطل أشياعا وأعوان ، وليس للحق إلا محاكم وسجان ، إذا رأيت المؤمن رأيته ذليلا ومهان ، وأما الفاجر المنافق فلا تراه دوما إلا فخورا ومتعال ، إنه قرن من غير المعقول أن النبي ﷺ لم يأتِ على ذكره بإطناب أو إيجاز ، وقد كان يحدث أصحابه عن كل ما يقع بعده إلى أن تقوم الساعة .

ومن أجل التأكيد على أنهم لم يفوتوا وحي الله سرقة من بين جميع الأجيال ، يمضون هكذا من غير إشارة ولا عبارة ، جاء هذا الكتاب كما يقولون ليضع النقاط على الحروف ، ويجلي عما كان مطمورا أو يراد له أن يكون عن الناس دوما مدسوسا ، جاء هذا الكتاب في زمان ألم بأهل التقوى كرب عظيم ، وبلغوا الحد الذي هم فيه أحوج إلى البشرى التي تقوي عزمهم وترفع هممهم ، لينظروا إلى الأمام رافعي الرؤوس مكبرين وموقنين بأن للناس إله ديان .

وقد قمت بتقسيم الكتاب إلى أربع فصول تقرر فيها بيان حكم الاعتزال في آخر الزمان ، الاعتزال الذي ما أوجبه عليه السلام على المؤمنين في هذا الزمان إلا رحمة بالمؤمنين من هذا الجيل الشرير العاتي بالفسق والنفاق ، والبحر لا يمكن أن تزيله الغراف ، والجبل الراسي لا تهده قرون الخراف .

وأتيت في هذه الفصول على الكلام في فتن هذا الزمان ، وبيان أنها الفتن التي أخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام أنها كائنة آخر الزمان ، ومن أظهرها فتنة صدام العراق ، الفتنة التي سماها رسول الله ﷺ بفتنة السرى نسبة لسريان جيش صدام العراق بليل على أهل الكويت ، فباتوا على نظام وأصبحوا على غيره ، الفتنة التي جهل الناس حقيقتها ، مع ما تحقق فيها من أشراط الساعة الكبار ، وهي النار ، والدخان وما تبع ذلك ، ونقلت من حديث رسول الله ﷺ ما فيه بطلان كل التجمعات والأحزاب عند حلول الفتن في آخر الزمان ، والنهي عن اتباع دعاة النار والحذر منهم ، وأتيت على البراهين الدالة على أن هذا الزمان الذي يبعث فيه المهدي المنتظر ، ونبهت على أنه ومن سيكون معه من عباد الله تعالى الأولياء ، هم في ميزان الله تعالى ورسوله ﷺ خير من الصحابة وسائر الأمة ، ونقلت الأحاديث والآثار الدالة على هذه الحقيقة المجهولة عند سائر الأمة اليوم .

وجعلت للفصل الأخير منها النصيب الأوفر في بيان حقيقة فتنة صدام العراق ، وبيان مدى تورط النصارى واليهود بهذه الفتنة وما تلاها ، وأثبت فيه كيف أن ما جرى في تلك الفتنة وما بعدها قد أتى الوحي بتفصيله عند سائر أنبياء الله تعالى وآخرهم المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ولتناول فصول الكتاب ما تداخل بعضه ببعض ، وضعت في نهاية الكتاب فهارس للموضوعات ، تقريباً وتفصيلاً لمواضيع الكتاب ، ليسهل على

القارئ الوقوف على أطراف الكتاب ، وجعلته إتماما للفائدة أشبه بالملخصات ، وزدت على القليل منها من الفوائد ما فاتني ذكره في أصل الكتاب .

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبله زكياً خالصا من الرياء وحب الشهرة ، ناصراً للسنة عدواً للبدعة ، وأسأله سبحانه أن يجعل فيه إخساءً لأهل الجهالة والضلالة من المنافقين والمفسدين .

الفصل الأول

ليس من الحق في شيء القول بأن الاعتزال في زماننا لكل تجمع قل أو كثر أهله في هذه الفرقة الحاصلة في الأمة اليوم ليس من الدين ، وأن فاعله منافق كما نقل عن بعضهم ، ومثل هذا القول جهل ولا يقره من يتبع السلف بحق ، لمخالفته الصريحة لما صح عن رسول الله ﷺ ، بل القول بأن هذا من النفاق ولا يفعله إلا منافق هو ردة عن الإسلام ورد على رسول الله ﷺ أمره ، وقائله إن كان ممن يجهل وأقيمت عليه الحجة المعتبرة ثم أصر على قوله لاشك أنه يكفر ومثله لا يكون إلا منافقا مطموس البصيرة .

قال الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد ، باب : أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله . عن عطاء بن يزيد أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ فقال : (مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله) قالوا : ثم من ؟ قال : (مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره)[1] . وهذا مقيد بوقوع الفتن ، وروى البخاري هذا الحديث في كتاب الرقاق ، باب : العزلة راحة من خلاط السوء . وقرن معه رحمه الله حديث أبي سعيد الآخر وبه : سمعت النبي يقول : (يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن)[2] . وهذا الحديث الأخير بوب له أيضا في الإيمان قوله ، باب

---

(1) فتح الباري (6/6) ، وأبو داود (5/3) بلفظ : (أكمل الناس إيمانا) ، والترمذي (186/4) .

(2) فتح الباري (330/11) .

: من الدين الفرار من الفتن[3]. ونقل الحافظ ابن حجر في شرحه استدراك النووي إيراد البخاري لهذا الحديث في الترجمة فقال : لا يلزم من لفظ الحديث عد الفرار دينا . وهذا استدراك في غير محله ، إذ أن مراده في قوله هذا ، أن بالامتثال للأمر يصبح الفرار دينا . وقال ابن حجر في شرح الحديث : لفظه صريح في أن المراد بخيرية العزلة أن تقع في آخر الزمان ، وأما زمنه فكان الجهاد فيه مطلوبا حتى كان يجب على الأعيان إذا خرج الرسول ﷺ غازيا أن يخرج معه إلا من كان معذورا اهـ[4]. ويشهد لذلك حديث ابن عباس عن رسول الله ﷺ : (خير الناس في الفتن رجل آخذ بعنان فرسه خلف أعداء الله يخيفهم ويخيفونه ، أو رجل معتزل في باديته يؤدي حق الله تعالى الذي عليه)[5]. وعن أبي هريرة : (أظلتكم فتنة أنجى الناس فيها صاحب شاء يأكل من رسل غنمه)[6].

وروي في هذا المعنى عن عروة عن كرز الخزاعي ، قال رسول الله ﷺ : (خير الناس يومئذ مؤمن معتزل في شعب من الشعاب يتقي ربه ويذر الناس من شره)[7]وسيأتي إيراد حديث عروة لاحقا بأتم من هذا اللفظ ، وفيه فائدة

---

(3) فتح الباري (69/1) .

(4) فتح الباري (332/11) .

(5) الحاكم في المستدرك (446/4) ، والدارمي في سننه (201/2) ، والترمذي (182/4) .

(6) عبدالرزاق في المصنف (353/11، 368) ، والحاكم في المستدرك (432/4) ولفظه تاما .

(7) نعيم بن حماد في الفتن (188/1) رواه من طريق الأوزاعي عن عبدالواحد بن قيس عن عروة . وقد تصحف على الناسخ لمخطوطة كتاب الفتن لنعيم فأثبته بإسم عبدالوهاب . وعبدالواحد فيه كلام قالوا : له أوهام . ورواه الداني في السنن الواردة في الفتن (428/2) ولفظه تاما ، مع هذا الحرف الذي اقتصر عليه نعيم في روايته . وما اقتصر على ذكره نعيم ، ذكره الداني في روايته مع تمام الرواية ، ويشهد له رواية الخدري في الصحيح . وأما تمام الحديث من غير هذا اللفظ عند نعيم ، فقد تابع عبدالواحد الزهري على رواية سائر الحديث من غير==

جليلة وعروة رحمه الله من الفقهاء السبعة عالم المدينة ، قال عنه الزهري : عروة بحر لا تكدره الدلاء .وقال : جالست سعيد سبع سنين لا أحسب أن عالما غيره ، ثم تحولت إلى عروة ففجرت به ثبج بحر[8]. وقد عمل عروة رحمه الله بهذا الحديث عندما أدرك الاختلاف والتنازع ، ورأى جور من جار من ولاة بني أمية وكان في مسجد رسول الله ﷺ يوما مع علي بن الحسين بن علي ، فذكرا جور من جار من بني أمية والمقام معهم وهم لا يستطيعون تغيير ذلك ، ثم ذكرا ما يخافان من عقوبة الله لهم ، فقال عروة لعلي : يا علي ، من اعتزل أهل الجور والله يعلم منه سخطه لأعمالهم فإن كان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله رجي له أن يسلم مما أصابهم ، فخرج عروة فسكن العقيق[9]. وقال أنس بن عياض حدثنا هشام بن عروة قال : لما اتخذ عروة قصره بالعقيق ، عوتب في ذلك ، وقيل له جفوت عن مسجد رسول الله ﷺ فقال : إني رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية ، والفاحشة في فجاجكم عالية ، فكان فيما هنالك عما أنتم فيه عافية .ثم قال : ومن بقي ؟ إنما بقي شامت بنكبة أو حاسد على نعمة[10].

وفي التمهيد علق أبو عمر بن عبدالبر على حديث أبي سعيد : (ألا أخبركم بخير الناس منزلا ؟..) الحديث . بقوله : في ذلك حض على الانفراد عن

==هذا الحرف ، رواه الطيالسي في مسنده (182/1) ، وعبدالرزاق في المصنف (362/11) ، والحاكم في المستدرك (455/4) ، وابن أبي شيبة (449/7) ، وفيه تفسير الأساود قال : والأسود الحية ترتفع ثم تنصب .

(8) تاريخ يحي بن معين (219/2) .

(9) ابن سعد في الطبقات (181/5) .

(10) أبو عمر في التمهيد (221/7) وفي بيان فضل العلم (200/2) ، والخطابي في العزلة (80) .

الناس واعتزالهم والفرار عنهم . والعزلة فضلها رسول الله ، وفضلها جماعة العلماء والحكماء ، لا سيما في زمن الفتن وفساد الناس . وقد يكون الاعتزال عن الناس مرة في الجبال والشعاب ، ومرة في السواحل والرباط ومرة في البيوت . وقد جاء في غير هذا الحديث : (إذا كانت الفتنة فأخف مكانك وكف لسانك) ولم يخص موضعا من موضع . وقال رسول الله لابن عمرو : (إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم ، فالزم بيتك واملك عليك لسانك ، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر) . وعن بكير بن الأشج : أن رجالا من أهل بدر ، لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان ، فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم .

وكان طاووس يجلس في البيت ، فقيل له تكثر الجلوس في البيت ؟ فقال : حيف الأئمة وفساد الناس .

وقال أبو عمر : فر الناس قديما من الناس ، فكيف بالحال اليوم في ظهور فسادهم وتعذر السلامة منهم ، ورحم الله منصورا الفقيه حيث يقول :

الناس بحر عميق والبعد منهم سفينة

وقد نصحتك فانظر لنفسك المسكينة اهـ[11].

وقال أبو سليمان الخطابي :

(11) التمهيد (440/17) .

أنست بوحدتي ولزمت بيتي فدام الأنس لي ونما السرور

وأدبني الزمـان فلا أبالي هجـرت فلا أزار ولا أزور

و لست بسائل ما دمت حيا أسار الخيل أم ركب الأمير[12]

والقائل بهذه المقالة الردية الفظيعة لا أدرى أين هو من قول رسول الله ﷺ : (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن) قال أبو عمر : هذا الحديث إنما ورد خبرا عن حال آخر الزمان ، وما المحمود في ذلك الوقت لكثرة الفتن ، وقد كان رسول الله يحض في أول الإسلام على لزوم الخواص للجماعات والجمعات ويقول : (من بدا جفا) والحديث المذكور أحسن حديث في العزلة والفرار من الفتنة والبعد عن مواضعها من الحواظر وغيرها ، والفتنة المذكورة في الحديث تحتمل أن تكون فتنة الأهل والمال وفتنة النظر إلى أهل الدنيا ، وفتنة الدخول إلى السلطان ، وغير ذلك من أنواع الفتن ، ولم يرد الفتنة النازلة بين المسلمين الحاملة على القتال في طلب الإمارة دون غيرها من الفتن ، بل أراد بقوله : (يفر بدينه من الفتن) جميع أنواع الفتن ، وفي ذلك دليل على فضل العزلة والانفراد في آخر الزمان كزماننا هذا اهـ[13].

رحم الله أبا عمر لو أدرك زماننا لعلم فضل زمانه ولعرف بأنه لم يدرك آخر الزمان ، ولو عاين ما نحن فيه وما فشى في زماننا لفر بدينه ما استطاع

(12) التذكرة للقرطبي (613) .

(13) التمهيد (220/19) .

الفرار ، ولأيقن أن زمانه ليس كما كان يظن ، ولعلم أن ما نحن فيه هو آخر الزمان الذي كان رسول الله ﷺ يخبر بخبره ، الذي تتحقق فيه الفتن ويكثر فيه الهرج ، ويقبض فيه العلم ، وتنتهك فيه كل المحارم ، وفيه تقع أشراط الساعة ، من توسيد الأمر إلي غير أهله وطلب العلم من غير أهله ، ويصبح الناس من غير عقول ، ينقلب عندهم الباطل حقا والحق باطلا ، كقول هذا الضال : لا يعتزل إلا منافق لا يريد الصلاة مع المسلمين ! .

وقول صاحب التمهيد في تأويل الحديث وتجويزه العمل بهذا الحديث في وقته ، أعم مما أنا بصدده ، فقد ينازع في هذا التعميم والتعيين ، كما ينازع وينكر حثالة هذا الزمان وقوع الفتن التي أنذر منها رسول الله ﷺ في زماننا ، وأمثلهم المقر بوقوع هذه الفتن ، ويعد هذا أضل وأجهل من الجميع ، لأنه مع إقراره بوقوعها يضرب صفحا عن جميع أحاديث رسول الله ﷺ وأقوال السلف في اعتزال الفتن والفرار منها ، وهذا فيه تعطيل لكلام رسول الله ﷺ ، وهو من أخبث المذاهب الرائجة اليوم في الناس ، تعطيل الدين باسم الدين . كيف والفتن اليوم إنما هي الفتن التي كان رسول الله ﷺ يحذر منها وينذر شرها ويعظم ذكرها من دون سائر الفتن ، وكان ينص على أنها كائنة في آخر الزمان ، وكان يقول من صفاتها كذا وكذا . ورحم الله أبا عمر ما أشد كلامه على هؤلاء الذين من عظم البلاء إدراكهم ، فهم جثث لا عقول لها .

ومن شبه هؤلاء وما أكثر ما تقدح في قلوبهم الشبه والأضاليل ، قولهم أنهم هم الجماعة والله ورسوله ﷺ أمرا بالجماعة والتمسك بها ، وكبرت كلمة

تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . ومن خبث طويتهم وتلبيسهم الشيطاني ، أنهم قالوا بجماعتين لا جماعة واحدة ، جماعة البيعة الملزمة لطاعة من اجتمعوا على إمامته وولايته وجماعة الفكر والاعتقاد وإيمان القلب ، كالإيمان بصفات الله وأسمائه ، وأوهموا أنفسهم وأتباعهم بأنهم جماعة الحق وأنهم يحمدون عند الله تعالى على ذلك ، فإن احتج عليهم محتج بما يخالف ما هم فيه ، بحجج من الكتاب والسنة ، مثل أن الأمر بالاعتصام والاجتماع للأمة عامة وليس لهذه الناحية أو تلك ، أتوا بما فيه الثناء والحث على الاجتماع على معتقد السلف في الأسماء والصفات لله ، وعلى ما كان عليه الصحابة وجماعتهم واجتماعهم يوهمون الدهماء من الناس بأنهم داخلون في جملة هذا المعنى ، وإذا قيل لهم بأن اجتماع القلوب على توحيد الله وصفاته لا يغني عما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ من جمع الكلمة والاجتماع على رأس يكون جنة لمن خلفه يذب عنهم ويحفظ لهم دينهم وحقوقهم كما أمر الله ورسوله ﷺ ، وأن الاجتماع للسمع والطاعة واجب على الأمة كلها ، قالوا : هذا شق للعصا وتفريق للكلمة وخروج عن مظلة الإسلام ، ومن ثم يأتون بما ذكر الله تعالى ورسوله وسلف الأمة في السمع والطاعة والجماعة ، ينزلون ذلك على جمعهم واعتصامهم المخصوص بهم من دون سائر الأمة ، وإنما يكفي سائر الأمة من دونهم الاجتماع على الإيمان بأسماء الله وصفاته ، والاعتقاد بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، حتى أنه لو أراد أن يدخل في طاعتهم تلك أحد من المسلمين ممن يريد الخروج من بين أظهر المشركين ، لمنعوه ولرموه في الحبس ، ويستدلون بأنه : من خلع يدا من طاعة وفارق الجماعة كان غادرا لا حجة له عند الله حتى يعود للجماعة ، وهذا ليس من جماعتهم فتعين عليهم رده .

الله أكبر لقد هدم الإسلام وهم في جماعة ، ولقد تشتت الأمة وتفرقت وهم بعد في جماعة ، بل وقعت الفتن التي أخبر عنها رسول الله ﷺ ونص على ذكر حال أهلها وهم في جماعة ما زالوا عاضين عليها بالنواجذ ...!! ، والحق أن الأدلة في إبطال مزاعمهم تلك ، وأنه لا شرعية لها في الإسلام كثيرة جداً ، وأخص منها بالذكر هنا هذا الحديث الذي يعد عند العلماء أحسن حديث في العزلة والفرار من الفتنة والبعد عن مواضعها ، وهو شاهد لحديث أبي سعيد الخدري المذكور سابقا ولمعناه ، بل زاد على رواية أبي سعيد فوائد عظيمة جليلة بها يعرف أن رواية أبي سعيد سلط عليها الحذف والاختصار ما أذهب نظارة الرواية وقلل من فائدتها ، وهو مما لا يحمد عليه رواة الحديث وحملته بل يعتبر ذلك تقصيرا منهم غفر الله لهم ، وهو حديث عروة بن الزبير رحمه الله قال : حدثني كرز بن حبيش الخزاعي قال : أتى النبي ﷺ أعرابي فقال : يا رسول الله هل للإسلام منتهى ؟ قال : (نعم ، من أراد الله به خيرا من عجم أو عرب أدخله عليه ، ثم تقع فتن كالظلل يعودون فيها أساود صبا يضرب بعضهم رقاب بعض ، فأفضل الناس مؤمن معتزل في شعب من الشعاب يتقي ربه ، ويدع الناس من شره)[14] ومعنى منتهى الإسلام ، أي يبلغ نهايته ، يقال : انتهى بنا المسير إلى موضع كذا ، إذا توقف . قال الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾[15] قال أبو عبيدة : أي منتهاها ، ومرسى

---

(14) سبق تخريج هذا الحديث ، والزيادة في آخره يشهد لها حديث أبي سعيد في الصحيح . والحديث بهذا اللفظ التام رواه الداني في كتاب السنن الواردة في الفتن (428/2) ، ويشهد لمعناها أيضا ما جاء عن ابن مسعود وحذيفة من طرق عدة : (أخبركم بخير الناس في ذلك الزمان كل غني خفي ، وشرهم خطيب== ==مصقع أو راكب موضع) فانظر اليوم لهؤلاء الدعاة السفلة الأشرار ، فستجدهم كلهم خطباء وكلهم موضع لهم صياح ونباح ، يريدون أن يغيروا زعموا من فرط السفاهة والبحر قد طم .

(15) سورة النازعات (42) .

السفينة حيث تنتهي . والحديث رواه الزهري عن عروة عن كرز بلفظ : هل للإسلام من مدة أو منتهى ينتهي إليه ؟ .. وفيه : قال الرجل : كلا إن شاء الله ، فقال رسول الله ﷺ : (بلى والذي نفسي بيده)[16] وذلك لما كره الأعرابي أن يكون للإسلام نهاية يقف عندها ، وتقع الفتن والهرج فبين له رسول الله ﷺ أن ذلك كائن ومقدر لا مناص منه . ولقد سبق وأن ذكرت بأن راوي هذا الحديث عروة بن الزبير قد عمل بمقتضى هذا الحديث واعتزل المدينة ومسجد رسول الله ﷺ عملا بهذا الحديث عندما وقع التنازع في زمانه واختلف الناس .

ولا يستفاد من هذا الحديث الاستدلال على بطلان كل تجمع ، وزعامة كل داعية ووعل فقط ، بل يستفاد منه أنه عند وقوع الفتن والهرج عند منتهى الإسلام ، لا يوجد أهل حديث وطائفة منصورة وغرباء كما يزعم هؤلاء الضلال السفهاء ، وكيف يكون لهؤلاء عند الهرج والفتن وجود والرسول ﷺ يقول عند الفتن منتهى الإسلام بل كيف تكون هناك جماعة فضلا عن أن تكون هناك طائفة وفرقة ناجية ، وكل من ادعى ذلك فهو كاذب على الله ورسوله ﷺ وإنما يكون عند منتهى الفتن كما أخبر رسول الله خليفة الله أو خليفة لله على رأس فسطاط لا نفاق فيه ، وكل من عداهم فسطاط نفاق لا إيمان فيه . ومن قال بغير هذا فهو محجوج بما سيثبته هذا الكتاب بأننا في زمان الفتن الثلاث التي أخبر رسول الله ﷺ أنها تكون في آخر الزمان ، وهي التي يكون الإسلام قد انتهى عندها وخير الناس فيها كما قال رسول الله ﷺ : (مؤمن معتزل) ولم يقل شيخ حديث ولا شيخ تدريس ، وإنما قال : (مؤمن معتزل) . وعن

(16) عند الطيالسي ، وعبدالرزاق ، والحاكم .

حذيفة في ذلك قال : (خير الناس فيها الغني الخفي ، وشر الناس فيها الخطيب المصقع والراكب الموضع)[17]. ومما يشهد لحديث كرز في معناه ما جاء عن عمر ﷺ أنه قال حين تطاول الناس في البناء في زمنه : يا معشر العريب الأرض الأرض ، إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة[18].

واليوم لا جماعة فعدم الإسلام وانتهى ، فوجب ترك ما يوجبه وجود الجماعة ، وبطل كل اجتماع ، ووجبت العزلة لما ثبت عن رسول الله ﷺ في آخر الزمان من الأمر بالاعتزال عند تحقق الفتن . وفي هذا الحديث يعرض عمر بزمن هؤلاء الذين تطاولوا في البناء ، وهذه الصفة من أظهر أشراط الساعة فيهم ، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لجبريل عندما سأله عن وقت قيام الساعة قال : (ولكن سأحدثك عن أشراطها ، وأن ترى الحفاة العراة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان) وفي رواية : (ما الحفاة العراة) ؟ قال : (العريب) . وفي رواية لابن مسعود في أشراط الساعة ، جعل مجرد وجودهم في القصور من أشراط الساعة ، فقال : (إن من أشراط الساعة ، أن يكون رعاة الغنم الحفاة العراة في بيوت المدر)[19]. قال القرطبي : المقصود الإخبار بأن يستولي أهل البادية على الأمر ويتملكوا البلاد بالقهر فتكثر أموالهم وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به .

---

(17) عبدالرزاق في المصنف (394/11) ، والحاكم (529/4) ، وراجع الإبانه لابن بطة (591/1) .

(18) الدارمي في سننه (79/1) ، وبيان فضل العلم (62/1) لابن عبدالبر .

(19) عبدالرزاق في المصنف (156/3) ، والداني (850/4) .

قلت : وليس الأمر مقصورا على رعاة الشاء من دون العرب ، بل يشمل العرب جميعهم ، وإنما خص هؤلاء بالذكر تحقيرا لحالهم ولزمانهم ، وحتى يكونوا وتكون حالهم أظهر العلامات الدالة على قرب قيام الساعة ، وقد ظهرت فيهم هذه العلامة بعد ظهور البترول وكثرة المال ، ونزوح أهل البادية للأمصار ، ما احتاجوا معه لكثرة البناء ، ثم إن رسول الله ﷺ لم يخص هذا الأمر وحده بالذكر مما هو كائن في زماننا هذا ، بل أكثر في ذلك حتى صار المقطوع به أن هذا الزمان زمان الفتن التي ذكر ، وأن أشراط الساعة المتحققة في هذا الزمن لهي دليل قاطع على قرب قيام الساعة والأمور العظيمة .

قال ابن مسعود : يوشك أن يأتي زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه كثير سؤاله قليل معطوه ، يحفظون الحروف ويضيعون الحدود والهوى فيه قائد للعمل . قيل : متى ذلك الزمان ؟ قال : إذا أميتت الصلاة وشيد البنيان وظهرت الأيمان واستخف بالأمانة وقبلت الرشا ، فالنجاة النجاة . قال : فأفعل ماذا ؟ قال : تكف لسانك وتكون حلسا من أحلاس بيتك[20]، وخير الناس في ذلك الزمان غني مستخفي ، وشر الناس الراكب الموضع والخطيب المصقع . وفي لفظ إذا رأيتهم شرفوا البناء وجاروا في الحكم وقبلوا الرشا ، فالنجاة النجاة[21].

---

(20) الحلس : هو كساء على ظهر البعير يلزمه . ويقال : حلس بالشيء لا يكاد يبرحه . وقال أبو علي إسماعيل القالي في الأمالي : قيل له حلس للزومه الظهر . والعرب تقول فلان حلس بيته إذا كان يلزم بيته (292/2) . وفي مختار الصحاح : حلس البيت كساء يبسط تحت حر الثياب ، وفي الحديث (كن حلس بيتك) أي لا تبرح (63) .

(21) رواه ابن بطة في الإبانة بإسنادين (591/2) ، وذكر الحسني في الإشاعة أن ابن أبي الدنيا رواه بلفظ : كان ابن مسعود يقول كل عشية خميس لأصحابه : سيأتي على الناس زمان تمات فيه الصلاة ويشرف فيه البنيان ..الخ . الإشاعة (ص145) ورواه عبدالرزاق في المصنف باختصار (382/2) ، وأشار إلى خطبة ابن مسعود==

وهذا صريح في تعيين زماننا ، وأنه زمان العزلة والفرار من الفتن ، لأنهم شرفوا البناء وقبلوا الرشا ووقع الجور والظلم وكثر الخطباء . قال أبو عبيد رحمه الله : كل شيء رفعته فقد أشدته ، ولا أرى البنيان المشيد إلا من هذا ، يقال : أشدت البنيان فهو مشاد ، وشيدته فهو مشيد إذا رفعته وأطلته[22] .

وقد كثرت الروايات في ذم الزمن الذي يتطاول فيه الناس بالبنيان وهو زماننا هذا ، فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (كيف أنت إذا أدركت ثلاثا ؟ أعيذك بالله أن تدركهن : طول البنيان وشدة الزمان ، وكذا)[23]. وعن سلمان : إن من اقتراب الساعة أن يظهر البناء على وجه الأرض[24]. وعن جندب كان يقول في أمراء وقته : إن هؤلاء القوم قد ولغوا في دمائهم وتحالفوا على الدنيا وتطاولوا في البناء[25]. وقول جندب وقبله ما قاله عمر في تطويل البناء يدل على كراهة الصحابة لهذا الأمر ، وذلك لأنه ذكر لهم أن ذلك صفة قوم يكونون آخر الزمان ، ظهورهم مع بنيانهم من أشراط الساعة ، فكرهوا ذلك وذموه وخشوا أن يكون هذا في زمنهم ، وهذا منهم في وقتهم فكيف لو أدركوا ما فيه هؤلاء الأوباش من الناس يتقلبون في قصورهم يقولون نحن علماء ، إننا بخير إننا جماعة !! ، والرسول ﷺ يقول : يتطاولون في البنيان وتظهر الفتن

==هذه ابن وضاح في البدع (24) ، وأبو عمر في بيان فضل العلم (181/2) ، والداني (231/2) ، (675/3) .

(22) غريب الحديث (129/3) .

(23) ذكره إبراهيم بن أحمد بن شاقلا البغدادي في نقولاته من كتاب الضعفاء للساجي ، وقد طبع مع تعليقات الدار قطني على المجروحين لإبن حبان (293) .

(24) ذكره السيوطي في الدر المنثور قال : أخرجه ابن أبي شيبة عن سلمان (472/7) .

(25) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (300/7) .

ويتقارب الزمان ويكثر الهرج ، الفرار الفرار ، ويريد هؤلاء الجهلة أن نترك كلام رسول الله ﷺ وأمره وخبره لسفاهة عقولهم ، تَباً لهم في قرنهم هذا. وعن أبي أمية الجمحي رضي الله عنه قال : سأل رجل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال له : (من أشراطها ثلاث ، إحداهن التماس العلم عند الأصاغر) . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا[26].

ومن أظهر الأحاديث التي في البناء وتدل على عصرنا هذا ، وفيها زيادة في توصيف الحال تثبت صحة ما قررته في تعيين زماننا بأنه زمان الفتن والنكبات المهلكات ، ما رواه أبو إسحاق الحربي رحمه الله في غريب الحديث عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو[27] قال : إذا ظهرت بيوت مكة على أخاشبها فخذ حذرك[28]. والأخاشب جبلين بمكة . . ورواه نعيم بن حماد بإسناده عن مجاهد قال له ابن عمر : إذا رأيت بيوت مكة قد ظهرت على أخاشبها ، وجرى الماء في طرقها ، فخذ حذرك[29]. وقال بعضهم بأن الأزرقي ذكره في أخبار مكة ، قريبا من هذا اللفظ عن يوسف بن ماهك قال : كنت مع ابن عمرو إذ نظرت إلى بيت مشرف على أبي قبيس فقال : إذا رأيت بيوتها . أي مكة . قد علت أخشبيها وفجرت بطونها أنهارا فقد أزف الأمر . وروى هذا الحديث بزيادة مفيدة أيضا الداني في السنن الواردة في الفتن عن شريك بن عبدالله عن ابن

---

(26) عبدالرزاق في المصنف (11/257،249) ، وبيان العلم (1/157) ، راجع الهيثمي في الزوائد (1/140) ، وفتح الباري (1/140) .

(27) هكذا هو عند الحربي وعند غيره من طرق ابن عمر ، والصحيح والله أعلم (ابن عمرو) .

(28) غريب الحديث للحربي (2/544) .

(29) نعيم بن حماد في الفتن (1/43) .

عطاء عن أبيه عن ابن عمر قال : يبنى . يريد المسجد الحرام . فيكون أحسن ما يكون ، ويعلوا البنيان على رؤوس الجبال فإذا رأيت ذلك فقد أظلك الأمر[30] .

وقوله في الحديث خذ حذرك ، وأزف الأمر ، هذا فيه إنذار بقرب وقوع أمر عظيم ، وتحذير من قرب قيام الساعة ، وقوله هذا غاية في النذارة . وقد تابع شريك على هذا الحديث شعبة عند ابن أبي شيبة ، وهشيم عند القاسم بن سلام في غريب الحديث .

وهذا الحديث قصر رواته عن سياق لفظه تاما ، ورواه أكثرهم بالمعنى ، وكم من حديث أفسدوه بالرواية بالمعنى والحذف ، يظهر ذلك من اللفظ الذي ساقه أبوعبيد في الغريب عن ابن عمرو قوله : إذا رأيت مكة قد بعجت كظائم وساوى بناؤها رؤوس الجبال ، فاعلم أن الأمر قد أظلك فخذ حذرك[31] . وفي هذا بيان لما ذكر نعيم والأزرقي بالمعنى لجريان الماء في بيوتات مكة كالأنهار . وهذا الحديث عجيب وحسن في لفظه ومعناه ، ولم تقترن هذه الصفات بغير زماننا هذا ، مما يثبت ما تقرر في كل ما ذكرت أن زماننا هذا يجب الحذر فيه كما قال ابن عمرو ، وقوله : أن الأمر قد أظلك . لا شك أنه يريد أمر الله سبحانه وتعالى ، لقوله : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾[32] وقال المغيرة بن شعبة : قال رسول الله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)[33] وفي رواية : (لا يزال أهل الغرب ظاهرين

---

(30) الداني (895/4) .

(31) غريب الحديث لأبي عبيد (269/1) .

(32) سورة النحل (1) .

(33) البخاري في الاعتصام . الفتح . (293/13) .

على الحق حتى تقوم الساعة)[34]وأهل الغرب هم أهل الحد ، لا كما فهم بعض أهل الحديث بأنهم أهل الدلو ، أي يريد العرب . وقوله في الحديث : (إذا رأيت مكة قد بعجت كظائم) قال أبو عبيد : الكظامة السقاية وكنت سألت عنها الأصمعي وأهل العلم من أهل الحجاز فقالوا : هي آبار تحفر ويباعد ما بينها ، ثم يخرق ما بين كل بئرين بقناة تؤدي الماء من الأولى إلى التي تليها حتى يجتمع الماء إلى آخرهن ، وإنما ذلك من عوز الماء ليبقى في كل بئر ما يحتاج إليه أهلها للشرب وسقي الأرض ، ثم يخرج فضلها إلى التي تليها ، فهذا معروف عند أهل الحجاز اهـ[35] .

والآن ها هي مكة تبعج كظائم بمواسير يمر من خلالها الماء على كل بيت ومسجد وغيره في مكة ، فسبحان الله عالم الغيب والشهادة وصدق رسوله الكريم ، مع ما بلغه البناء الشاهق من ارتفاع حتى زاد وعلا أكثر جبال مكة طولا ، وكل هذا والناس في غفلة وجهل مما يراد بهم ، يحسبون أنهم أولياء لله أحبهم ففتح عليهم من خزائنه وما علموا قبحهم الله ، أن الله جل وعلا إنما يستدرجهم من حيث لا يشعرون ، قال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾[36] .

(34) رواه مسلم في صحيحه برقم (1925) .

(35) غريب الحديث لأبي عبيد (269/1) .

(36) سورة الأنعام (44) .

هذا وفي فضل الاعتزال عند الفتن والعمل به عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين الكثير ، وسيأتي لاحقا زيادة تفصيل في ذلك . ولو علم قائل هذه المقولة الردية ومن هو على شاكلته ، أنه صح عن عبدالله بن عمرو قوله : (يأتي على الناس زمان يجتمعون في مساجدهم ليس فيهم مؤمن)[37]. وأنه لو أحتج محتج على أن هذا حاصل في زماننا لما استطاع أن يدفع هذا بمقولة معتبرة وحجة قاطعة .

وعن حذيفة ﷺ قال : (يوشك أن يصلوا في آخر الزمان في مساجدهم ، فلا يكون فيهم مؤمن) قلت : يا رسول الله ، ويكون فيهم منافقون ؟ قال : (نعم أظهر من اليوم فيكم)[38]. وروي عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ : (ليأتين على الناس زمان يجتمعون في المساجد ويصلون وما فيهم مؤمن ، إذا أكلوا الربا وتشرفوا البناء)[39]. وعن ابن مسعود : (وليصلين القوم الذين لا دين لهم)[40]. وقيل لجابر عن افتراق الناس في زمانه وما أحدثوا فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا)[41]. ومن أدنى ما يصح بتحققه وقوع الفتنة في زماننا ، ووجوب العمل

---

(37) رواه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (40) ، والفريابي في صفة المنافق (80) ، ووكيع في الزهد (533/2) ، والحاكم في المستدرك .

(38) رواه أبو نعيم في صفة المنافقين . ذكره في حاشية الزهد لوكيع (مكتبة الدار 533/2) .

(39) رواه أبو مطيع صاحب النعمان ، وقد طعن في البلخي هذا ، الإمام أحمد وأبو داود ، إلا أن لحديثه شواهد ، ولا ضير على الزيادة في روايته ، فشواهدها أكثر وأكثر . وقد ذكر روايته الذهبي في ترجمته في الميزان (575/1) .

(40) عبدالرزاق في المصنف (363/3) .

(41) رواه الإمام أحمد ، راجع الفتن والملاحم لإبن كثير (39/1) .

بمقتضى الأحاديث عن رسول الله ﷺ في الاعتزال ، انفراط عقد الجماعة الواحدة للمسلمين كما ذكرت سابقا ، وترك الناس الاعتصام بحبل الله المتين كما أمر ، وانقطاع عقد الإمامة الشرعية من دهور ، التي لا يصح وجود الجماعة من دونها ، وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن حديث رسول الله ﷺ : (من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية) ، قال : تدرى ما الإمام ؟ : الإمام الذي يجمع المسلمون عليه كلهم يقول : هذا إمام . فهذا معناه . وقال : الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس[42].

وقد نقل الإمام حرب صاحب أحمد : أن الخلافة في قريش ولا يقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة ، ذكر ذلك في جملة أقوال الأئمة أهل السنة فقال : من خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق اهـ[43].

(42) السنة للخلال (81/1) .

(43) حادي الأرواح لابن القيم (292) قال الإمام صادق اللهجة عليه رحمة الله ابن تيمية : ويروون هذا الكلام عن أحمد نفسه في رسالة أحمد بن سعيد الأصطخري عنه . إن صحت . وهو قوله وقول عامة أهل العلم . (إقتضاء الصراط المستقيم 148) . وذكر الخلال في السنة عن أحمد قوله : لا يكون في غير قريش خليفة . وهو اعتقاد الأئمة رحمهم الله كما ذكر حرب . وقد علق على ما ذكره الخلال عن أحمد في الإمامة محقق كتاب السنة للخلال . عطية الزهراني . بقوله والحق أنه لا يمنع أن يكون هذا الأمر في غير قريش . ويعلل هذا بأنهم لم يقيموا الدين ، وكأن من دونهم قام بالدين ، وهذا السفيه مثال لمن نحذر من شرهم في زمن هذه الفتن ، وهو ثمرة خبيثة من ثمار هذه الجامعات المدرسية المحدثة ، التي ما أقيمت إلا لتفريخ أمثال هذا الجاهل ، وما هو إلا كما قال حرب : مخالف مبتدع خارج عن الجماعة .

ومما لا شك فيه أن عامة الأمة إلا من رحم ربي وهم القلة الطريدة ، على خلاف ما نقل حرب عن الأئمة هنا في الإمامة ، وهم في ذلك مبتدعة ضلال خارجين عن الجماعة ومنهج السنة وسبيل الحق ، وهم داخلون أيضا ولا شك في معنى حديث حذيفة عن رسول الله ﷺ قوله : (من فارق الجماعة واستبدل الإمارة لقي الله ولا حجة له) . وذلك أنهم استبدلوا ما شرع الله لهم في الإمامة بروابط ووطنيات وجامعات ما أنزل الله بها من سلطان ، مفارقين ما كانت عليه الجماعة ، فلا حجة لهم عند الله تعالى ، وزد على ذلك أن الفتن التي أخبر رسول الله ﷺ أنها واقعة في الأمة آخر الزمان قد تحققت ، ونحن الآن في سنوات الهرج التي كان رسول الله ﷺ يحذر أمته من شرها ويكثر الإخبار عنها ويأمر بالاعتزال عندها . روى ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قال : (يكون في آخر الزمان فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً)[44].

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ، القاعد فيها خير من القائم ...) قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : (كونوا أحلاس بيوتكم)[45].

وعنه أيضا أن النبي ﷺ قال : (إن بين يدي الساعة هرجاً) قالوا : وما الهرج ؟ . ونرى أنه قال : الكذب . قال : (القتل) ، قالوا : وما يكفينا أن نقتل كل عام كذا وكذا من المشركين ؟ قال : (ليس ذلك ولكن قتلكم أنفسكم) قالوا : وما عقولنا ؟ قال : (إنه تختلس عامة عقول أهل ذلك

---

(44) الإيمان لإبن أبي شيبة (35) .

(45) أبو داود (101/4) ، والحاكم (451/4) ، ونعيم (171/1) ، وغيرهم .

الزمان [46]، ويؤخر لها هباء من الناس يرون أنهم على شيء) وما أراها إلا ستدركني وإياكم[47]، وما أعلم المخرج لي ولكم منها فيما عهد إلينا نبينا إلا أن نخرج منها كيوم دخلنا فيها[48].

---

(46) وروى حذيفة أن رسول الله ﷺ قال : (تكون فتنة ، تعرج فيها عقول الرجال حتى ما تكاد ترى رجلا عاقلاً) وذكر ذلك في الفتنة الثالثة .رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن (62/1) ، وسيأتي لاحقاً تفصيل الكلام في هذه الفتن وتعيين زمانها.

(47) هذه مسألة كَؤود عزّ من يدرك غورها ، ولقد تورط الكثير من الصحابة بإعتقاد قرب وقوع فتنة الهرج من زمنهم وقد كان أبو هريرة يقول : لقد خفت الله مما استعجل القدر .ومنهم أبو موسى قال لما قتل عثمان : هذه حيصة من حيصات الفتن ، وبقيت الرداح المطبقة التي من ماج ماجت به ومن أشرف لها استشرفت له . الداني (284/2) وقال سعد عند مقتل عثمان : أشهد أني سمعت رسول الله يقول : (أنها ستكون فتنة القاعد فيها .. الخ) . وهذا كله في الفتنة الأخيرة التي إنما تقع في آخر الزمان وليس في زمانهم . وعند البخاري عن شقيق قال : كنت جالسا وأبو موسى وعمار فقال أبو مسعود : ما رأيت منك شيئا أعيب عندي من استسراعك في هذا الأمر ، قال عمار : يا أبا مسعود وما رأيت منك ولا من صاحبك هذا شيئا منذ صحبنا النبي أعيب== ==عندي من إبطائكما في هذا الأمر . الفتح (54/13) . وكل من حمل ما جرى في زمن علي على أحاديث الفتن كما فعل أبو موسى وسعد فحمله باطل فظيع . والأمر أظهر من أن يخفى ، لإخبار النبي أن ذلك يكون في آخر الزمان ، ألا ترى إلى أن أبا مسعود كان يتقارب النهاية جدا فلامه علي على ذلك وقال له : أنك تفتي الناس ؟ فقال : أجل وأخبرهم أن الآخرة شر . قال : فأخبرني هل سمعت منه شيئا ؟ قال : نعم سمعته يقول : لا يأتِ على الناس سنة مئة وعلى الأرض عين تطرف . فقال علي : أخطأت إستك الحفرة ، وأخطأت في أول فتياك ، إنما قال ذلك لمن حضره يومئذ ، هل الرخاء إلا بعد المئة . أبو يعلى (360/1) ، والحاكم (498/4) ، وكيف يحمل ذلك على ما حدث في فتن آخر الزمان وهذا خباب يحدث عن رسول الله قوله : (تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي ، والساعي في النار) عبدالرزاق (119/10) . وعن حذيفة : (شر الناس فيها الخطيب المصقع والراكب الموضع) . سبق تخريجه . ، وفي صحيح مسلم قال في هذه الفتنة : (القاتل والمقتول في النار) وغير ذلك كثير . وهذا الحمل الباطل هو الذي دفع بإبن عمر إلى اعتزال ابن الزبير وقال مقولته الرهيبة حين سأله رجل عن القتال مع ابن الزبير أو الحجاج ؟ فقال : مع أي الفريقين قاتلت فقتلت ففي لظى . الحاكم (471/4) ، وعند نعيم كان يقول : ابن الزبير ونجدة والحجاج ، يتهافتون في النار تهافت الذباب في المرق (176/1) ، فليتنبه لهذا الأمر المهم فإن أحاديث رسول الله في الفتن ما زالت ملتبسة على الناس من قديم .

أنظر كيف هذا الصحابي الجليل يخشى أن يدركه ذلك ، ثم انظر إلى أمان هذا الجيل التعيس كيف حاله وهو قد أدرك ذلك بالفعل ، لتعلم أن القوم قد ذهب بعقولهم ، فهم لا يدركون من الأمر ولا في الأمر خبرا ولا تأويلا ، لقد تاهوا ورب الكعبة على وجوههم . وقد كان أبو أمامة يقول : اعقلوا ولا أخال العقل إلا قد رفع[49].

وعن خالد بن الوليد في أيام الهرج متى تكون . أن رجلا قام إليه وهو يخطب فقال : إن الفتن قد ظهرت فقال خالد : أما وابن الخطاب حي فلا ، إنما ذاك إذا كان الناس بذي بلاء وذي بلاء ، وجعل الرجل يتذكر الأرض ، ليس بها مثل الذي يفر إليها منه ، فلا يجده ، فعند ذلك تظهر الفتن . وفي لفظ آخر فيه : تلك الأيام التي ذكر رسول الله بين يدي الساعة أيام الهرج ، فنعوذ بالله أن تدركنا وإياكم تلك الأيام[50]. قال أبو عبيد : معنى الحديث تفرق الناس وأن يكونوا طوائف مع غير إمام يجمعهم ، وبعد بعضهم عن بعض . حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن حميد قال : كان يقال : (لا تقوم الساعة حتى يكون الناس برازيق . يعني جماعات .)[51].

---

(48) رواه أبو يعلى في مسنده (237/13) ، وأحمد (406/4) ، وعبدالرزاق (361/11) ، وقال أبو حاتم رواه الحسن عن أسيد عن أبي موسى . العلل (426/2) .

(49) تاريخ أبي زرعة (543/1) .

(50) رواه نعيم في الفتن (45/1) ، وذكره الهيثمي في المجمع (310/7) ، وقال صاحب الفتح : أخرجه أحمد والطبراني بسند حسن (15/13) ، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (38/13) .

(51) غريب الحديث (28/4،100) .

وعند تنازع ابن الزبير وخصومه ودخول المختار الكذاب الكوفة قال موسى بن طلحة بن عبيد الله : والله لأن أكون أعلم أنها فتنة لها انقضاء أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا ، وأعظم الخطر . فقال له رجل : يا أبا مُحَمَّد ما الذي ترهب وأشد أن تكون فتنة ؟ قال : أرهب الهرج ، قال : وما الهرج ؟ قال : الذي كان أصحاب رسول الله يحدثون ، القتل بين يدي الساعة ، لا يستقر الناس على إمام حتى تقوم الساعة عليهم وهم كذلك ، وأيم الله لئن كان هذا لوددت أني على رأس جبل لا أسمع لكم صوتا ولا ألبي لكم داعيا حتى يأتيني داعي ربي[52] . ويشهد لحديث أبي موسى المذكور آنفا ، حديث أبي بكرة عن رسول الله ﷺ قال : (إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خير من الجالس ، والجالس فيها خير من القائم ..) قال: يا رسول الله ما تأمرني ؟ قال : (من كانت له إبل فليلحق بإبله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه) قال : فمن لم يكن له شيء من ذلك ؟ قال : (فليعمد إلى سيفه فليضرب بحده على حرة ثم لينجو ما استطاع النجاء)[53] . ومثله عن ابن مسعود وفيه : قتلاها في النار ، قلت : متى ذلك يا ابن مسعود ؟ قال : تلك أيام الهرج حيث لا يأمن الرجل جليسه ، قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك الزمان ؟ قال : تكف لسانك ويدك وتكن حلسا من أحلاس بيتك . قال وابصة الأسدي : فلما قتل عثمان طار قلبي مطاره ، فركبت حتى أتيت دمشق ، فلقيت خريم بن فاتك فحدثته ، فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لسمعه من رسول الله كما حدثنيه ابن مسعود[54] .

---

(52) رواه ابن سعد (162/5) ، ونعيم بن حماد باختصار (158/1) .

(53) رواه مسلم (18/9) ، وأبو داود (99/4) .

(54) أبو داود (99/4) ، ونعيم (139/1) .

وقال سعد عند فتنة مقتل عثمان : أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنها ستكون فتنة)[55]. وذكر مثل حديث ابن مسعود وأبي موسى ، وهذا صريح من سعد على حمله مقتل عثمان على هذا الحديث ، والصحيح أن هذه الفتنة إنما تكون في آخر الزمان ، وكان سعد يفتي عندها بالاعتزال ، وقد اعتزل بعد قتل عثمان ﷺ وأرضاه الإمام الشهيد قال الحسين بن خارجة : لما كانت الفتنة الأولى أتيت سعد فقلت له : في أي الطائفتين أنت ؟ قال : لست مع أحد منهما ، قلت : فكيف تأمرني ؟ قال : ألك ماشية ؟ قلت : لا . قال : فاشتر ماشية ، واعتزل فيها حتى تنجلي[56]. وروى عنه الطبراني في الأوسط أيضا في الاعتزال عند الفتنة ، وقد عمل بمقتضى هذه الرواية ، قال : إن رسول الله ﷺ قال : (إنها ستكون بعدي فتن يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا) قلت : فأي الرجال أرشد ؟ قال : (رجل بين هاذين الحرمين في قلة يقيم الصلاة لمواقيتها ويحج ويعتمر ، فلا يزال كذلك حتى تأتيه يد خاطئة أو منية قاضية)[57].

وعن عبدالله بن عمرو قال : بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة فقال : (إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا . وشبك بين أصابعه .) قلت : كيف أفعل عند ذلك ؟ قال : (إلزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة

---

(55) راجع تخريجه في الفصل الثالث حاشية رقم (306) .

(56) المستدرك للحاكم (452/4) .

(57) الطبراني في الأوسط (149/3) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (307/7) .

نفسك ودع عنك أمر العامة) وفي لفظ آخر عنه : (يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا . وشبك بين أصابعه .) فقالوا : وكيف بنا يا رسول الله ؟ قال : (تأخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم)[58]. وروى البيهقي في السنن أنه قال لابن عمرو : (آمرك بتقوى الله ، عليك بنفسك وإياك وعامة الأمور)[59]. وهذا صريح في النهي عن الدخول في عامة أمور الناس عند هذه الفتن ، وذلك لما في هذا المدخل من الهلاك وعدم النفع البتة ، لأن الناس في ذلك الزمان قد غربلوا غربلة ولم يتبق إلا حثالة الناس فأرشد النبي ﷺ عند ذلك بالكف والاعتزال ، وكيف لا يترك الدخول في عامة أمور الحثالة كما أمر رسول الله والرسول ﷺ يقول عنهم : (يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر . الشك من الرواة . لا يباليهم الله باله) . قال البخاري : حفالة وحثالة[60]. وسيأتي تفصيل الكلام في بيان حال هؤلاء الحثالة .

وقد بقيت زمنا متحيرا من حال هؤلاء الدعاة السفهاء ، وكيف سعيهم الحثيث فيما هم فيه حتى أيقنت أنهم هم الحثالة ، فبطل عجبي عند ذلك وعلمت لماذا لم يأخذوا بقول رسول الله ﷺ وأمره بكف اليد واللسان واعتزال الناس وعامة أمورهم ، والأمر بذلك صريح بين .

---

(58) رواه أبو داود (124/4) ، وعبدالرزاق في المصنف (359/11) ، وابن بطة في الإبانة (587/2) ، والبخاري وأبو يعلى (442/9) ، وغيرهم .

(59) السنن للبيهقي (165/8) ، والسنن الواردة في الفتن للداني (574/3) .

(60) فتح الباري (251/11) ، وابن حبان (6813) ، وأحمد في المسند (193/4) .

وعن أبي ثعلبة الخشني عن رسول الله ﷺ قال : (ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على الجمر)[61]. وعملا بهذا الحديث اعتزل أبو ثعلبة عليا ومعاوية .

والنبي ﷺ لم يأمر بالابتعاد عن العامة وأمر العامة فقط ، بل ذم واحتقر من يتكلم بذلك ، فكيف بالساعي المجتهد وقد عد الناطق بأمر العامة من أشراط الساعة وعلاماتها ، وبين أنهم يكونون من أتفه الناس عند ذلك ، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : (إن أمام الدجال سنين خداعة يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة) قيل : ومن الرويبضة ؟ قال : (السفيه يتكلم في أمر العامة) قال ابن كثير : تفرد به أحمد من هذا الوجه وإسناده جيد[62]. وذكره عبدالرزاق مرسلا عن عبد الله بن دينار عن رسول الله ﷺ وفيه : (وتنطق الرويبضة في أمر العامة) قال : وما الرويبضة يا رسول الله قال : (سفلة الناس)[63].

---

(61) أبوداود (123/4) ، وابن ماجة (1330/2) ، والحاكم (322/4) ، وغيرهم . وله طرق وألفاظ غير الذي ذكرت .

(62) الفتن والملاحم (62/1) ، ورواه أحمد عن أبي هريرة ، والطبراني في مسند الشاميين عن عوف بن مالك من وجهين وفيه : وما الرويبضة ؟ قال : (من لا يؤبه له) (50/1) . والحديث عند الحاكم وابن ماجة عن أبي هريرة ورواه أبو يعلى والبزار عن عوف .

(63) المصنف (382/11) .

والدعاة الأحداث وكل ناطق بأمر من أمور العامة وما أكثرهم ، يكثرون البربرة بذلك وليس لهم من الأمر شيء ، ولا يلتفت لما يقولون ، وتجدهم أبدا ليس لهم إلا رجرجة الحنك والتشدق بالكلام ولي اللسان ، تراهم في التلفاز والمذياع وعلى صفحات الجرائد والكتب والمجلات ، وحتى المنابر التي ما كان يرتقيها إلا الأمراء أصحاب الشأن ، وإنما يرتقي المنابر في زماننا هؤلاء الذين هم من أظهر علامات الساعة ، كما أخبر رسول الله ﷺ ، ومن جملتهم كل قارئ للأخبار العامة .

الفصل الثاني

عن عبد رب الكعبة قال دخلت المسجد فإذا عبدالله بن عمرو جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه ، فأتيتهم فجلست إليه فقال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، إذ نادى منادي رسول الله : الصلاة جامعة . فاجتمعنا إلى رسول الله ، فقال : (إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه)[1].

وعن ربعي بن خراش عن حذيفة قال : كنا عند عمر فقال : أيكم سمع رسول الله يذكر الفتن ؟ فقال قوم : نحن سمعناه ، فقال : لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وماله وجاره ؟ قالوا : أجل ، قال : تلك يكفرها الصلاة والصيام والصدقة ، ولكن أيكم سمع النبي يذكر التي تموج موج البحر ؟ قال حذيفة : فأسكت القوم ، فقلت : أنا ، فقال أنت لله أبوك ، قال حذيفة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت

---

(1) مسلم (233/12) ، وأحمد في المسند ذكره ابن كثير في نهاية الفتن (45/1) ، والبيهقي في السنن (169/8) ، والطبراني في الشاميين (353/1) .

السماوات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ، ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه)[2]. قال الحافظ ابن حجر : وقع لفظ آخر لربعي قال : قال حذيفة : سمعته يقول : (يأتيكم بعدي فتن كموج البحر يدفع بعضها بعضا) فرفع عمر يده فقال : اللهم لا تدركني ، فقال حذيفة : لا تخف[3]. ورواه الطيالسي في مسنده عن أبي وائل وفيه أن عمر قال لحذيفة : إنما أسألك عن الفتنة التي قبل الساعة تموج كموج البحر[4]. وفي هذا برهان على أن الأمة ستصاب في آخرها بأمور عظيمة وفتن متتابعة تمور كموج البحر ، ومن عظم شرها أشفق عمر ﷺ من أن تدركه تلك الفتن التي قبل الساعة .

وقد نصت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنها تكون في آخر الزمان ، وكان ﷺ يكثر من ذكرها ويعظم خطرها ، وهي فتن ثلاث ، لا تنكشف وتنقضي إلا بانقسام الناس إلى فريقين ، فريق مرحوم ، وفريق ملعون مطرود من رحمة الله وغفرانه ، وهذه الفتن خصها رسول الله ﷺ بالوصف والتحذير ، فكان يجمل في ذكرها تارة ويفصل تارة ، تحذيراً للأمة من شرها .

قال ابن شهاب أن أبا إدريس الخولاني قال : كان حذيفة يقول : إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة ، وقال رسول الله وهو

---

(2) رواه مسلم في الإيمان والفتن من صحيحه ، والبخاري في المناقب وغيره من الصحيح عن أبي وائل دون ذكر القلوب .

(3) الفتح (50/13) .

(4) المسند (55) ، ورواه عبدالرزاق في مصنفه (365/11) .

يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن وهو يعد الفتن : (منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار)[5]. وفي الصحيحين عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول : (ألا إن الفتنة هاهنا ، ومن حيث يطلع قرن الشيطان) . وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال وهو مستقبل المشرق : (ها إن الفتنة ها هنا ، إن الفتنة ها هنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان) ، وزاد غير الزهري قوله : (وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض)[6]. وتفيد هذه الأحاديث حصرها في جهة المشرق من المدينة ، وأنها تكون في آخر الزمان ، وتنتشر وتشمل الكثير ، وفيها يقع الهرج وهو القتل .

وباعتبار حال زماننا وما جرى فيه من النوازل العظيمة ، ومع ما ظهر من القرائن الكثيرة التي تدل على أننا أدركنا آخر الزمان ، ومن بعد إعمال النظر والفكر في أعظم فتن هذا الوقت وهي فتنة صدام العراق ، وجدت هذه الفتنة قد تحقق فيها أمور دلت الأحاديث عليها ، ومن ذلك أنها من مشرق المدينة كما نص على ذلك رسول الله ﷺ ، ومنها تحقق الهرج الذريع والإفساد في الأرض ، ومن ثم كانت سببا لزحف الروم إلى أرض المشرق ، مع كون وقوعها في آخر الزمان .

---

(5) مسلم (15/18) ، والحاكم في المستدرك (471/4) .

(6) مسلم (32/18) ، ورواه أبو يعلى (383/9) وفيه : وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ . وهذا خرج مخرج النبوءة والخبر .

وسأذكر بحول الله وقوته غير ما ذكرت وبالتفصيل من أحاديث رسول الله ﷺ وآيات كتاب الله الكريم ، ما فيه مقنع لكل عاقل لبيب لم يسلب عقله بعد ، في أن هذه الفتنة كان يحذر منها رسول الله ﷺ ، ومن علاماتها أنها لا تكاد تذر أحداً إلا وأدركته بشرها أو خبرها ، وهذا كله ثابت في هذه الفتنة ثبوتا لا ينكره إلا جاهل أو مكابر ، ومن أجل هذا جاء القول بالاعتزال والحذر ، وأن من لا ينكرها ويعرفها ليحذرها ينكت السواد في قلبه وينكس ثم يهلك مع الهالكين ، ولقد والله نصح بأبي وأمي هو للأمة وحذر منها وأتى على وصف هذه الفتن حتى أن من يدركها لا يخطئ من وصفها شيئا ، إلا من عدم الهداية والعقل والفطنة وطمست بصيرته ، وهؤلاء هم أشر الخلق ، قال الله تعالى فيهم : ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها . فأنّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾[7]وقال : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا ﴾[8]وقال سبحانه : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين . يغشى الناس هذا عذاب أليم ﴾[9]والهدى والذكر سواء ، وهو ما أخبر عن حدوثه في آخر الزمان الله جل وعلا ورسوله الكريم ﷺ ، وقد قضى الله سبحانه بحرمان هؤلاء من الانتفاع بهذا الذكر !! من أجل أن يصيبهم الجزاء المحتوم .

(7) سورة مُحَمَّد (18) .

(8) سورة الكهف (55) .

(9) سورة الدخان (10–11) .

ومن نصيحته عليه الصلاة والسلام أن عرَّفَ بفتنة طاغية العراق ، لتكونَ مناطاً للعارف في تعيين ما سبقها وما يَلحَقُ بها ، حتى يدرك العاقل أن هذه الفتن الثلاثة التي كان يقول بأنها لا تكاد تذر شيئا ، ويعد هذا أصل عظيم في أبواب الفتن فتنبه أيها العارف !.. ، قال حذيفة : قال رسول الله ﷺ : (تكون فتنة تعرج عقول الرجال ، حتى ما ترى رجلا عاقلا) وذكر ذلك في الفتنة الثالثة[10]. وعن أبي الطفيل قال : سمعت حذيفة يقول : الفتن ثلاث تسوقهم الرابعة إلى الدجال ، التي ترمي بالرضف ، والتي ترمي بالنشف ، والسوداء المظلمة التي تموج موج البحر[11]. وهذه الأخيرة هي التي كان عمر يتخوف منها أن تدركه ، وعمر هو عمر ، وذكر حذيفة أنها أربع هنا باعتبار قتل عثمان وإضافة الثلاثة إليها ، فقد روي عنه قوله : إنها أول الفتن وآخرها فتنة المسيح الدجال . وأما كون الفتن ثلاث ، فهو ثابت في الصحيح كما ذكرت ، وأنها آخر عمر الدنيا ، والأولى تسبق فتنة صدام والثالثة تأتي بعد فتنة صدام ، وسيأتي لاحقا التفصيل في حالها .

عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ : أن رسول الله قال : (ليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس ، أتت الفتن كقطع الليل يركب بعضها بعضا ، الآخرة

---

(10) الفتن لنعيم (62/1) .

(11) الفتن لنعيم (57/1) ، وذكره أبو عبيد في الغريب وفي الحاشية ذكرت متابعة لشيخ نعيم (124/4) ، وذكره باختصار الحربي في غريب الحديث (807/2) ، وابن بطة في الإبانة (584/2) ، ورواه الدوري في تاريخ ابن معين قريبا من هذا اللفظ وعنه العسكري في تصحيفات المحدثين إلا إنهما قالا عن أبي هريرة ، والله أعلم بالصواب . تاريخ ابن معين (317/1) والعسكري (84) .

شر من الأولى ، فيهنكم ما أنتم فيه)[12]. والناظر في حال هؤلاء السفلة الرعاء وسعيهم الحثيث في هذه الفتن يعلم أن القوم قد فتنوا نسأل الله السلامة ، وذلك من جراء ترك نصيحة رسول الله ﷺ وصحابته ، من الأخذ بتحذيرهم من شر هذه الفتن وكف اليد واللسان ، بل حتى الاستشراف .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، ومن يشرف لها تستشرفه ، ومن وجد ملجأً أو معاذا فليعذ به)[13]. قال أبو علي إسماعيل القالي : استشراف الشيء أن تضع يدك على حاجبك كالذي يستظل من الشمس وينظر هل يراه[14]. قال ابن حجر : أي تَطلَّع لها بأن يتصدى ويتعرض لها ولا يُعرِض عنها . وقال النووي : معنى تستشرفه تقلبه وتصرعه . قال حذيفة : إياكم والفتن فلا يشخص لها أحد ، فوالله ما يشخص لها أحد إلا نسفته كما يَنسِفُ السيل الدمن ، إنها مشبهة مقبلة حتى يقول الجاهل هذه سنة وتتبين مدبرة ، فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم وكسروا سيوفكم وقطعوا أوتاركم[15].

وها هي تدبر فتنة الخليج الكبرى ، ولم يعرفها هؤلاء الحثالة مما يدل على ذهاب العقول . وكان الحسن رحمه الله في زمانه قيل له في فتن وقته : يا أبا

---

(12) سنن االدارمي (36/1) ، والخطيب في تاريخ بغداد (222/8) واللفظ له ، ولفظ الدارمي أتم .

(13) اللؤلؤ والمرجان لعبدالباقي (394/3) ، والطيالسي .

(14) الأمالي للقالي (155/1) .

(15) عبدالرزاق في المصنف (359/11) وعنه أبو نعيم ، وابن بطة في الإبانة ، والحاكم في المستدرك وزاد : وغطوا وجوهكم . وقال : صحيح ووافقه الذهبي (448/4) .

سعيد ما تقول في الفتن ، مثل يزيد بن المهلب وابن الأشعث ؟ فقال : لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، فقال رجل من أهل الشام : ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد ؟ فغضب ثم قال بيده فطرَّ بِها ، ثم قال : ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد ، نعم ولا مع أمير المؤمنين . وكان يقول رحمه الله : إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم ، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل [16]. واليوم لا عالم يعرف الفتنة مقبلة ، ولا جاهل يعرفها مدبرة ، نسأل الله السلامة من شر هذا الزمان وأهله .

والأحاديث في التحذير من شر هذه الفتن لا تحصى كثرة ، منها ما فيه وعيد شديد للساعي فيها ، ومنها ما فيه وعيد شديد لمن يقتل فيها ، ومنها ما فيه الحث على الفرار منها واعتزال أهلها ، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قوله : (ويل للعرب من شر قد اقترب ، من فتنة عمياء صماء بكماء القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ... ، ويل للساعي فيها من الله تعالى يوم القيامة)[17]. وعن عبدالله بن خباب عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : (تكن فتنة القاعد فيها خير من القائم .... ، والساعي في النار) وكان حدَّث بهذا الحديث الخوراج في زمان علي ، فرأوا أنه يُعَرِّضُ بهم ، بقوله : (والساعي في النار) أي في هذه الفتنة . فأخذوه وأم ولده فذبحوهما في النار جميعا على شط النهر ، وكان ذلك ما دعى عليا لقتالهم[18]. وقال

(16) طبقات ابن سعد (164/7 ، 165) .

(17) نعيم في الفتن (176/1) .

(18) المصنف لعبدالرزاق (119/10) .

حذيفة : لأنا لغير الدجال أخوف عليكم ، قيل مما ذاك ؟ قال : فتن كقطع الليل المظلم ، خير الناس فيها الغني الخفي ، وشر الناس فيها الخطيب المصقع والراكب الموضع[19]. وروي عن سعد بن مالك يرفعه ، رواه الحاكم في المستدرك . ويقال : أوضع البعير ، إذا ركبه وحمله على سرعة السير .

وعن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خير من الجالس ... ، قتلاها كلهم في النار) قيل : متى ذلك يا ابن مسعود ؟ قال : تلك أيام الهرج حيث لا يأمن الرجل جليسه[20].

وعن ابن عمرو رفعه : (إنها ستكون فتنة تستنظف العرب قتلاها في النار ، اللسان فيها أشد من وقع السيف)[21]. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل) فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قال : (الهرج ، القاتل والمقتول في النار)[22]. ومما جاء فيه الأمر بالاعتزال عند هذه الفتن كما ذكر سابقا حديث أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال : (إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيرا من الجالس ..) قال رسول الله ﷺ : (من كانت له إبل فليلحق بإبله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمة ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه)[23]، وذلك فرارا من شرها الذي لا يجابه . وعن أبي واقد

---

(19) المصنف (394/11) ، والمستدرك (529/4) .

(20) أبو داود (99/4) ، وساق نعيم بن حماد لفظه تاما (139/1) .

(21) أبو داود (102/4) .

(22) مسلم (35/18) .

(23) مسلم (9/18) ، وأبو داود (99/4) .

الليثي قال : قال رسول الله ﷺ ونحن جلوس على بساط (إنها ستكون فتنة) قالوا : وكيف نفعل يا رسول الله ؟ فرد يده إلى البساط فأمسك به فقال : (تفعلون هكذا) . وذكر لهم يوما إنها ستكون فتنة ، فلم يسمعه كثير من الناس ، فقال معاذ : ألا تسمعون ما يقول رسول الله فقالوا : ما قال ؟ قال : (إنها ستكون فتنة) قالوا : فكيف لنا يا رسول الله ؟ وكيف نصنع ؟ قال : (ترجعون إلى أمركم الأول)[24]. أي يرجع الدين كما بدأ في أول أمره ، يعود غريبا كما بدأ غريبا ، وتكون هجرة إلى المدينة كما كانت في أول أمر الدين ، ويشهد لهذا المعنى أحاديث كثيرة منها حديث أبي هريرة رفعه كما ورد في صحيح مسلم وفيه : (.. وعدتم من حيث بدأتم قالها ثلاثا) وقال : شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه .

ومن أصح وأظهر الأحاديث الدالة على أن زماننا هو الذي ستتحقق فيه هذه الفتن المنتظرة ، ما رواه الشيخان عن ابن مسعود وأبي موسى قالا : قال رسول الله ﷺ : (إن بين يدي الساعة لأياما ينزل فيها الجهل ، ويرفع فيها العلم ، ويكثر فيها الهرج) . وعند البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج)[25]. وهذا النص قاطع في دلالته على هذا الأمر ، ويعد هذا الحديث من أعظم ما روي وفيه صدق نبوته عليه السلام ، وهو من أعلام نبوته التي لا يجحدها إلا ملعون ظالم لنفسه ، وللقائل على وفق هذا الخبر

(24) رواه الطبراني ، والطحاوي ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (306/7) .

(25) راجع تخريج هذه الأحاديث في الفصل الثالث حاشية رقم (137و 138).

وما حصل في وقتنا الحجة القاطعة في القول بتعيين زماننا ، بأنه زمان الفتن المظلمة المهلكة ، وها هي الفتن تظهر في وقتنا هذا على ما بينت وسأبين لاحقا حتى تنقطع سُبُل كل جهالة وحمية متهوك ملعون ، مع استفحال القتل في البشر في جميع أركان المعمورة ، وها هي الزلازل التي تدك في هذه السنوات أرجاء العالم بما لم يسبق له مثيل ، شهد على ذلك العالم غربه وشرقه ، مسلمه وكافره ، مع ما هو حاصل اليوم في الناس من كثرة الجهل وقلة العلم .

وأعجب ما في هذا الحديث مطابقة لواقعنا المشاهد ، قوله وهو الصادق المصدوق بتقارب الزمان ، فقد تحقق تقارب الزمان في وقتنا بما لم يُسبَق له مثيل من قبل ، فمن ينكر أنه الآن قد تواصل البشر بالاتصالات الحديثة وقربوا ما كان بينهم من الأزمان سابقا ، فاختصر لهم الوقت اختصاراً باهراً ، حتى أن الرجل من جو السماء ، بل من خارج سماء الأرض ومن الفضاء يخاطب من في الأرض ، وأيضا يرى صورهم ، والرجل يقطع ما بين مكة والكويت في سويعات قليلة وما كان ليُدرَك هذا في الأزمنة الغابرة ، لذا جاء وصفه لهم عليه السلام بما ينبهر له العقل فقال : (يتقارب الزمان) .

فصدق من اختصر له الكلام اختصاراً ، فها هو الزمان يتقارب كما أخبر ، قال بعضهم : كنا نذهب من الكويت إلى الحج على الجمال ، وكان السفر إلى مكة يستغرق ثلاثة أشهر[26]. قال عبدالعزيز بن باز تعليقا على

(26) اسم القائل إبراهيم المزيعل ، وهو من جيل ما قبل النفط ، الرأي العام العدد (11432–98/10/9 ص 7) .

الحديث بقوله : الأقرب تفسير التقارب المذكور في الحديث بما وقع في هذا العصر من تقارب ما بين المدن والأقاليم وقصر زمن المسافة بينهما بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة وما إلى ذلك اهـ[27]. وهذا ظاهر ولا ينكره إلا من لا علم له ولا بصيرة ، وهي علامة دالة على زمان الفتن وقبض العلم وغير ذلك من أشراط .

وبما أن الحديث بمجموع ما فيه من أخبار مطابق لوقتنا هذا ، فهو دال كما هو على ما نراه اليوم من ظهور الفتن وكثرة الزلازل والهرج ، كذلك يعد دليلا على بطلان إدعاء العلم لكل دعي كاذب في زماننا ، وكل من نسب ذلك لنفسه فهو جاهل كاذب ، وإنما المعرفة [28]، وأما العلم فقد قبض كما نص على هذا رسول الله ﷺ ، وأخبر أن هذا إنما يكون بعد قبض العلماء ، وقد قبض العلماء مع قبض العمل ، ولم يبق إلا رهبان سوء وقراء فسقة فجرة ، الذين هم رؤوس الجهل والضلالة ، ولا يخرج من هذا النص المُقيد الضابط أحد ممن يزعم أو يزعم له العلم ، إلا بأن يأتي بدليل أخص يقيد ذلك النص العام ، وهيهات دون ذلك خرط القتاد .

---

(27) الفتح (522/2) .

(28) وهناك صنف آخر ممن يزعم العلم في زماننا ، وهو كما زعم عنده علم ، إلا أنه علم لا ينفع نسأل الله السلامة ، وهو أشر ممن يزعم العلم وهو جاهل ، فالعالم الذي لا يعمل بعلمه منكره أكبر وسؤاله أعظم أمام الله تعالى .

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (أتتكم الدهيماء ، أتتكم الدهيماء ، أتتكم الدهيماء ، ترمي بالنشف ، والثانية ترمي بالرضف ، والثالثة سوداء مظلمة إلى يوم القيامة ، قتلاها قتلى جاهلية ، ما أبالي في أيتها أتبين فيها وجهك) رواه الدوري في تاريخ يحيى بن معين ، وعنه العسكري قال : وروي هذا عن ابن مسعود وحذيفة من كلامهما[29]. قلت : رواه الحربي عن زيد بن وهب عن حذيفة : أظلتكم الفتن ترمي بالنشف ، والأخرى ترمي بالرضف[30]. وفي الإبانة لابن بطة عن زيد بن وهب عن حذيفة : أتتكم الفتنة السوداء المظلمة ، أو قال : المطبقة ، ما أبالي في أيتها رأيتك . وربما قال . : عرفت وجهك قتلاهم قتلى الجاهلية[31]. وعند نعيم عن زيد عنه إلا أنه رفعه قال : (تكون فتنة ، تعرج فيها عقول الرجال ، حتى ما تكاد ترى رجلا عاقلا) وذكر ذلك في الفتنة الثالثة[32]. وعند الحاكم عنه : أتتكم الفتنة ترمي بالرضف ، أتتكم الفتنة السوداء المظلمة[33]. ومن ذلك ما رواه أبو الطفيل عن حذيفة . ذكر سابقا . وهو كلفظ حديث أبي هريرة . وسواء كان الحديث لأبي هريرة أو لحذيفة ، فهو في فتنة الدهيماء ، وهي من الفتن التي تكون في آخر الزمان التي كان عمر يخشاها على نفسه . وروى عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير بن هانئ أن رسول الله ﷺ قال في الفتنة الثالثة : (فتنة الدهيم :

---

(29) الدوري في تاريخ ابن معين (317/1) ، والعسكري في تصحيفات المحدثين (84) ، قلت : الراجح أنه حديث حذيفة لأنه من رواية زيد ، قال الأعمش : كنت إذا سمعت من زيد بن وهب حديثا لم يضرني أن لا أسمعه من صاحبه . تاريخ أبي زرعة (676/2) .

(30) غريب الحديث للحربي (807/2) .

(31) الإبانة (584/2) .

(32) نعيم بن حماد (62/1) .

(33) المستدرك (465/4) .

ويقاتل فيها الرجل لا يدري على حق قاتل أم على باطل) قال أبو حاتم : روى هذا الحديث ابن جابر عن عمير وأرسله ، والحديث عندي ليس بصحيح كأنه موضوع . قاله حين سأله ولده عن الحديث من رواية العلاء بن عتبة عن عمير ، وقد وصله راويه عن عمير عن ابن عمر عن رسول الله[34].

وقد أخطأ أبو حاتم في هذا ، فلا يجوز التساهل في مثل هذا من أخبار رسول الله ﷺ ونقدها بالظن ، ومن مثل هذا جفلت الناس عن الكثير من أخبار رسول الله ﷺ ، بسبب إعراض أكثر الأئمة عن تجويد أسانيد الكثير من أحاديث الأخبار ، وانصرفت همة أكثرهم لجمع وتجويد أسانيد الأحكام ، وتركت أحاديث الأخبار للضعفاء ومن يرمى بالتشيع والرفض . وحديث عمير هذا رواه الإمام أحمد رحمه الله وأبو داود والبغوي والحاكم وصححه ، من طريق العلاء بن عتبة عن عمير العبسي ، قال : سمعت عبدالله بن عمر يقول : كنا قعودا عند رسول الله ﷺ ، فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس ، فقال قائل : يا رسول الله وما فتنة الأحلاس ؟ قال : (هي هرب وحرب ، ثم فتنة السرى دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني ، وإنما أوليائي المتقون ، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع ، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة فإذا قيل انقضت تمادت ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا حتى يصير الناس إلى فسطاطين ، فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا كان

(34) العلل لابن أبي حاتم (417/2) ، والحديث الذي رواه ابن جابر مرسلا رواه نعيم في الفتن (62/1) عن الوليد وقصر أحدهم في سنده .

ذاكم فانتظر الدجال من يومه أو من غده)[35]. وقوله : السُّرى . جاء عند الحاكم على الشك (السرى أو السراء) . وما أثبت في سنن أبي دواد والبغوي وغيره على حسب المنقول في المطبوعات المعاصرة : السراء . وهو تصحيف للسُّرى ، وما أثبته هنا هو الصحيح إن شاء الله ، ودليل ذلك يأتي مع شرح الحديث بحول الله .

ومما يدل على صحة الحديث أن راويه العلاء بن عتبة رواه في قصة مناظرته مع علي ابن أبي طلحة الهاشمي ، حين أنكر العلاء ما فعله بنو العباس لما غلبوا الأمويين وأباحوا قتلهم ، ذكر ذلك أبو زرعة عبدالرحمن الدمشقي بإسناده عن عبدالله بن سالم قال : لقي العلاء بن عتبة علي بن أبي طلحة تحت القبة ، فقال : يا أبا مُحَمَّد تؤخذ قبيلة من قبائل المسلمين فيقتل الرجل والمرأة والصبي لا يقول أحد : الله الله الله ، والله لئن كانت أمية أذنبت لقد أذنب بذنبها أهل المشرق والمغرب . فقال له علي : يا عاجز أي ذنب على أهل البيت أن أخذوا قوما بجرائمهم وعفوا عن آخرين ؟[36]، قال : فقال له العلاء بن عتبة : وإنه لرأيك ؟ قال : نعم إنه لرأيي . قال العلاء : إنك لرجل لا كلمتك أبداً ، إنما أحببنا آل البيت بحب مُحَمَّد ، فإذا خالفوا سيرته وعملوا

(35) سنن أبي داود (94/4) ، والمستدرك (466/4) ، وشرح السنة للبغوي (19/15) .

(36) قال أبو داود في علي هذا : مستقيم الحديث ولكن له رأي سوء ، كان يرى السيف . وهذا عجيب من أبي داود ، إن كان سبب قوله هذا ، هذه المناظرة ، إلا أن يكون اعتقاد أبي داود في العباسيين أنهم خوارج ! ، فالسيف كان سيفهم .

بخلاف سنته فهم أبغض الناس إلينا ، وقال العلاء حدثني عمير بن هانئ قال سمعت ابن عمر ، وذكر الحديث[37] .

ولا شك في بطلان قول العلاء . أعني تعجله تأويل الحديث على أمر بني العباس والأمويين ، بصرف النظر عن خلافه مع علي . لورود ذكر الافتراق الذي يعقبه خروج الدجال ، وهذا من أحداث آخر الزمان لا كما يظن العلاء . وهكذا بمثل هذا التأويل الغريب العجيب كان يتخبط الرواة بأحاديث رسول الله ﷺ في الصدر الأول والذي يليه ، وبهذا اندرست أخبار رسول الله ﷺ بين قديم يتعجل التأويل ومتأخر غافل جاهل عن أخبار رسول الله وتحققها ، وإلى الله تعالى عاقبة الأمور .

الحاصل أن العباسيين انقرضوا وانقرضت قرون بعدهم كثيرة ولم يخرج الدجال ، بل هناك ما هو أعجب من تأويل العلاء هذا الحديث على العباسيين ، وهو تأويل أحاديث أصحاب الرايات السود التي نص رسول الله ﷺ على خروج أصحابها من المشرق ، على بني العباس ، وأنهم يدفعون الراية إلى عيسى أو المهدي في آخر الزمان[38] .

---

(37) رواه الخطيب في الموضح (400/2) ، وراجع تهذيب التهذيب (340/7) .

(38) هو اعتقاد كل من صدق بأن بني العباس هم الذين يخرجون بالرايات السود من المشرق ، وأن منهم يكون أمر السفاح والمنصور والمهدي ، يدفعونها إلى عيسى . قال ابن كثير في الفتن والملاحم : تقدم== ==حديث الرايات السود التي جاء بها بنو العباس حين استلبوا الملك من أيدي بني أمية .. ، وصارت للسفاح المصرح بذكره في حديث رواه أحمد في مسنده اهـ نهاية الفتن (9/1) . وهذا كله كذب باطل .

فانظر ما أعجب هذا وتحسر على أخبار رسول الله ﷺ ، ولكن تيقن أن الله أنزل الذكر وهو له حافظ ، وحفظ الله خير من حفظ البشر . والحق في ذلك ، وهو الذي لا مرية فيه ، أن تأويل الحديث وقع في زماننا هذا ، وأن هذه الفتن الواقعة اليوم صحت أخبار رسول الله ﷺ أنها كائنة آخر الزمان ، فيها يكثر الهرج ، ويكون ظهورها عند تقارب الزمان وكثرة الزلازل وشدة اختلاف الناس وأن ظهورها يكون من المشرق كما هو واقع فتنة العراق والكويت ، وقد نص رسول الله ﷺ على هذا المعنى بقوله : (من ها هنا أرض الفتن ، أو تأتي الفتن ، وأشار إلى المشرق) ومما يدل عليه أيضا أحاديث عمر وابن عمر وعبدالله بن عمرو وحذيفة وأبي هريرة وغيرهم مما ذكرت سابقا ، ونحن الآن في فتنة الدهيماء التي يصبح فيها الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ، الفتنة التي لا تدع بيتا من العرب إلا دخلته ، وهي التي تموج موج البحر، الفتنة التي كان يحذر عمر أن تدركه ، والذي يثبت صحة هذا الاعتقاد ، قيام البرهان القاطع على أن الفتنة التي سبقتها إنما هي فتنة الخليج فتنة صدام العراق ، وهذه الفتنة دلت عليها الأحاديث بمجموعها دلالة لا تخفى على من هداه الله تعالى إلى الحق ، وطوقتها القرائن تطويق السوار للمعصم ، وقد وقعت فصول الفتنة في الظاهر على وفق ما أخبر الله سبحانه ورسوله الكريم .

وسبق وأن أشرت لقول حذيفة رضي الله عنه قوله : قال رسول الله وهو يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن يعدها منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا . وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : (الفتنة من هاهنا وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض) وقوله في حديث عبد

الله بن عمرو : (وأن أمتكم هذه جعل الله عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي) وهذه أحاديث صحيحة ودلالتها ظاهرة على أن الأمة في آخر زمنها ، وقد تحقق في فتنة صدام الهرج وكثر الفساد في البر والبحر ، وما وقوع هذه الفتنة من جهة المشرق إلا تصديقاً للأخبار التي نُقلت عن رسول الله ﷺ .

وحديث العلاء بن عتبة هذا يعد مفصلا لخبر الفتن الثلاثة المذكورة ، وقد أفاد ذكر الدجال في آخره في تعيين زمنها ، وقد عرف عند الخاصة والعامة أن الدجال إنما يكون خروجه آخر الزمان وهو من أشراط الساعة الكبرى وعلاماتها ، وصحت الأحاديث على أن الدخان والدجال ويأجوج ومأجوج وغير ذلك من أظهر أشراط وعلامات الساعة الدالة على قرب تحققها . ووردت فائدة جليلة أيضا غير ما ذكر في حديث العلاء فيها تعيين زمن هذه الفتنة ومكانها أيضا ، وذلك في قوله : (ثم فتنة السُّرى دخنها من تحت قدمي رجل ..) وقوله : (دخنها) فيه الإشارة إلى الدخان الذي هو من أظهر أشراط الساعة والعلامة الفاصلة القاضية في أمر المهدي المنتظر !! ، ولم يرد ذكر الدخان هنا إلا من أجل الإشارة لهذا الأمر العظيم ، وليس من قبيل المصادفة تحقق فتنة صدام من جهة المشرق في زمن قامت القرائن على أنه آخر الزمان ، وقد كثر الهرج في هذه الفتنة خاصة وفي كل الأرض عامة ، ثم يثور هذا الدخان العظيم في فتنته بسبب حرقه آبار البترول يسد ما بين المشرق والمغرب ، ثم لا نصدق أن هذا الدخان هو الذي أخبر رسول الله ﷺ أنه يكون آخر

الزمان من أشراط الساعة ، هذا لا يعقل أبداً تكذيبه أو تجاهله ، ولولا تقدير الله تعالى ذهاب عقول الناس في هذا الجيل لتروعوا ولذهلوا عما هم فيه من عظمة الأمر .

نقل الإمام البغوي رحمه الله في شرح السنة حين روى هذا الحديث قول الخطابي : والدخن هو الدخان ، يريد أنها تثور كالدخان من تحت قدميه اهـ . وهذا التأويل من أبي سليمان الخطابي ليس بصحيح ولا يشهد له واقع هذه الفتنة ، وإنما أراد ﷺ حقيقة الدخان المعهود . وقوله : (من تحت قدمي رجل من أهل بيتي)[39]. يريد تدبيره ووطأته ، ولم يرد بذلك التشبيه المجازي بل الحقيقة ، والعرب تقول : دخنت النار ، ودخن الطبيخ ، إذا ظهر لهما دخان . وقد نص عليه السلام في أكثر من حديث على ذكر الدخان وتعلقه بهذه الفتنة ، وسيأتي بحول الله وقوته تفصيل ذلك .

وقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث : (ثم فتنة السرى) نسب ذلك إلى سريان الليل ، وهذا أيضا على الحقيقة لا المجاز ، وقد تصحفت على الرواة فدونوها بالسراء ، وليس الأمر كذلك ولا معنى لذلك وإنما الأمر وحقيقته على ما قُرِّر هنا . وواقع هذه الفتنة المشرقية يكشف الأمر ويجلي حقيقته ، فقد

(39) لقد صدق هذا الحديث دعوى صدام أنه من أهل البيت وهو الكذوب ، مع نفي الرسول ولايته لصدام وطرده من أن يكون من المتقين أولياء الرسول . ومن الأجدر بأهل العراق كذلك طرد من تبرأ منه نبي الله ، والبراءة منه .

سرى جيش هذا الطاغوت المتكبر الذليل بليلٍ على أهل الكويت وهم نائمون ، وما بزغ الفجر إلا وقد أتى على آخرها .

سيروا إن السُرى نهزة الأكـ ياسي ، والغزو ليس بالتمهيد

وقال غيره :

وتصبح عن غب السُّرى وكأنها مولعة تخشى القنيص ، شبوب

وقال شاعر هذه الفتنة المشرقية الحافي العتيبي :

أصبح صنم بغداد في القبو محشور في الطابق الأسفل يحسب ذنوبه

ما فاد من مسراه ! في ليل عاشور إلا الفشيلة والغضب والعقوبة[40]

والذي يثبت صحة ما تقرر هنا ، هو أنه زيادة على كون هذه الفتنة وقعت في آخر الزمان ومن جهة المشرق وكثر فيها القتل والاختلاف وتنافرت فيها القلوب ، وسرى الجيش الغازي بليل كما نص على ذلك الحديث اقترن بهذا كله ثوران الدخان الذي لم يُرَ مثله من قبل ، حتى قيل أنه بلغ أثره جبال الهند وفوق هذا وهذا ، تصالح الروم ضد الجيش العراقي الهالك ، مع أهل الكويت وغيرهم ، ونزلوا إلى الجزيرة العربية من كل حدب ينسلون ، بأعداد لم

(40) قصيدة لخلف بن هذال العتيبي أشارت إلى أبياتها جريدة الرأي العام (10998–1999/8/1) .

يرَ مثلها كثرة ، عددا وعدة ، فطردوا الجيش العراقي دحرا ، وأرغموه بالذلة والهوان ، على توقيع معاهدة [41]، يوقفون بموجبها القتال ، وفق شروطهم المُذِلَةِ .

ومما يشهد لما تقرر هنا أيضا ويؤكده ويدل عليه دلالة جلية ، ما رواه عوف بن مالك وذو مخبر الحبشي وحذيفة ﷺ ، فعن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عوف بن مالك قال : دخلت على رسول الله وهو في خباء له ، فلما جلست قال : (اعدد خصالاً بين يدي الساعة ، موت نبيكم ، وفتح بيت المقدس ، وفتنة تكون فيكم تعم بيوتات العرب ، ويأخذكم كقعاص الغنم ، وفشو المال فيكم حتى يعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطا ، وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون فيأتونكم في ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا)[42]. وقوله في الحديث : (وفتنة تكون فيكم تعم بيوتات العرب) هو شاهد لما في حديث عبدالله بن عمر قوله : (ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة ، فإذا قيل انقضت تمادت) قال الحافظ ابن حجر في شرح حديث عوف : إن الفتنة لم تقع بعد . ونقل عن ابن المنير قوله : وقصة الروم لم تجتمع إلى الآن ولا بلغنا أنهم غزوا في البر في هذا العدد ، فهي

(41) هي الهدنة التي جاء ذكرها في أكثر من حديث ، وستأتي تفصيلات في خبرها مهمة ، وبيان أنه يتلوها دعاة الضلالة ورؤوس الجهل .

(42) رواه أحمد (25/6) ، والطبراني في معجمه الكبير (18/رقم71) ، ومسند الشاميين (456/1) والأوسط (67/1) واللفظ له . ورواه البخاري من غير هذا الطريق وفيه تقديم وتأخير . ورواه الحاكم وابن ماجة ونعيم وخلق غيرهم .

من الأمور التي لم تقع بعد اهـ[43]. ومما أفاده حديث عوف ذكر الهدنة التي تكون بعد انقضاء فتنة السرى ، وابتداء فتنة الدهيماء ، وقد وقع الأمر بالخارج على وفق ما أخبر عليه السلام ، وهذا من أعلام نبوته ولا شك .

وزيادة على ما سبق مما يدل على أن النبي إنما يخبر الأمة عن فتنة صدام واقتحامه أرض الكويتيين فإن خالد بن معدان وجبير بن نفير رحمهم الله زادوا الأمر إيضاحا في خبر هذه الفتنة ، ففي سنن أبي داود أن خالدا بن معدان قال : قال جبير بن نفير : انطلق بنا إلى ذي مخبر فأتيناه ، فسأله جبير عن الهدنة فقال : سمعت رسول الله يقول : (تصالحون الروم صلحا آمنا وتغزون أنتم وهم عدو من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون ، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول ، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب ، فيقول : غلب الصليب ، فيغضب رجل من المسلمين فيدقه ، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة)[44] .

وأنا والله هنا أقسم بالذي رفع الإكليل في السماء ، أنه كما أن العيون العمي لا تبصر ، والأذان الصم لا تسمع ، كما هي حال أكثر أهل هذا الجيل ، على أن حديث ذي مخبر هذا إنما هو في حرب الخليج الثانية ، ألا تراهم يسألونه عن الهدنة فيحدثهم عن سببها ، وهو التحالف مع النصارى

(43) راجع فتح الباري لابن حجر (277/6 ، 341) .

(44) أبو داود (109/4) ، والحاكم (421/4) ، والبيهقي في السنن (223/9) ، ونعيم في الفتن (438/2) .

لطرد الجيش العراقي وهو العدو الذي وراء أهل الكويت ، ثم يا أعمى ويا أصم ألا ترى كيف أنه جعل مرج كاظمة والتلول المطلة على هذا المرج أمارة لكل ما ذكر ودليل ، ومن المعروف في هذه الفتنة انفرادها بتحقيق كل ما جاء في أخبار رسول الله ﷺ ، فمن ذلك أنها من المشرق كما أسلفت ، وتحقق فيها أكبر تصالح وتحالف مع الروم لم يسبق قبله مثيل[45]، وتحققت فيها الهدنة بعد الانتصار وطرد العدو ، وهذا كله دار في بلد تنفرد بهذه التلول والمرج في المشرق ، فهل يعد كل هذا مجرد اتفاق ، أم أنه القدر يا أيها البشر !!.

وأما قوله في حديث ذي مخبر : (فيغضب رجل من المسلمين فيدقه ، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة) . ففي هذا أعظم بشرى للمؤمنين ، وذلك لأنه هنا يرمز للمهدي[46]، الذي هو سيواجه الروم وليس سواه من له شرف هذه المواجهة وفي هذا المعنى شاهد لحديث روي عن أبي سعيد الخدري ولا يصح سنده ، أن رسول الله ﷺ قال : (يخرج المهدي حكماً عدلاً فيكسر الصليب) رواه البيهقي في البعث والنشور .

ومن عجائب تقدير الله في هذه الفتنة أن الجيش العراقي المدحور ، لم يكن له مخرج من أرض الكويت إلا بالمرور من مدخل معين صار عليه كخرم

---

(45) قال شمعون بيريز : ولا يمكن للمرء أن ينسى السابقة التاريخية الفريدة لتحالف عاصفة الصحراء الذي جمع الشرق والغرب ، والمسلم واليهودي والمسيحي . (جريدة الشرق الأوسط 7029 –98/2/25) .

(46) سيأتي تفصيل الكلام عن مبعث المهدي ، وبيان أنه يكون عند وقوع الفتنة الثالثة وهي فتنة الدهيماء ، وسأنقل الأدلة وأعلق عليها ، التي تثبت ذلك إن شاء الله . منها حديث ابن عمر وحذيفة وأبي سعيد ومحمد بن علي وسعيد بن المسيب وابن سيرين .

الإبرة بسبب وجود هذه التلول ، فقد حجزته للحصاد فتراكموا قبحهم الله عند هذا المدخل فصب عليهم العذاب صبا يتساقطون كالذباب عند هذه التلول ، وكثر فيهم الموت حتى لقب المكان (بطريق الموت) وكأن الله بلطف تدبيره ينبه الخلق إلى كلام نبيه الكريم عن هذه التلول ، وأنها علامة لكم أيها الناس ، وقد عرفت هذه التلول منذ القدم . والتلول : جمع تل ، كل ما اجتمع على الأرض من تراب أو رمل ، وذكر فيها أبو منصور الجواليقي لأبي نخيلة وهو يصف الإبل فقال :

قاظت من الخرم بقيظ خرم

قال الجواليقى : أراد الشاعر بقيظ ناعم كثير الخير . والخرم : جبيلات بكاظمة وأنوف جبال . قال : أبو عبيدة : الخرم الناعم ، وهي عربية . وقال غيره هي أعجمية ، ومعناه يعود إلى الطيبة والنشاط والفرح اهـ[47]. وقال الأخفش : منقطع أنف الجبل مخرم ، وجمعه مخارم . نقل ذلك في الاختيارين عند شرح قصيدة الشاعر الجاهلي الأسود بن يعفر النهشلي وفيها قوله :

إن المنية والحتوف كلاهما يوفي المخارم ، يرقبان سوادي [48]

ولو لم يكن مع حديث ذي مخبر إلا حديث ابن عمر في هذه الفتنة لكان ذلك حجة في تعيين هذه الفتنة ، فكيف ومجموع الأخبار هذه المنقولة عن رسول الله ﷺ دلت على هذا التعيين . وروى الزهري عن سالم عن أبيه عبدالله

(47) المعرب من الكلام الأعجمي (279) .

(48) الاختيارين للأخفش الأصغر (560) .

بن عمر أن رسول الله قال وهو مستقبل المشرق : (ها إن الفتنة هاهنا ، إن الفتنة هاهنا ، إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان) ورواه غير الزهري عن سالم وفيه : (وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض) فهل يرى العاقل الآن مرج كاظمة[49] وتلولها من جهة مشرق المدينة أم من مغربها .

ومن الأحاديث التي تدل على هذا التعيين أيضا وفيه ما يشهد لما دل عليه حديث ذي مخبر وابن عمر ، ما روي عن معاذ بن جبل ، أن رسول الله ﷺ قال : (ألا إن رحى بني مرج قد دارت ، وقد قتل بنو مرج ، ألا وإن رحى الإيمان دائرة ، فدوروا مع الكتاب حيث ما دار ، ألا وإن الكتاب والسلطان سيفترقان ، فلا تفارقوا الكتاب ، ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم مالا يقضون لكم ، إن عصيتموهم قتلوكم ، وإن أطعتموهم أضلوكم)[50].

(49) اليوم تعرف بالجهراء ، وهي أقدم قرى الكويت ، وقد كانت قديما بمرجها على طول ساحل البحر مرعى للإبل قال سعد بن إياس : بعث النبي وأنا أرعى لأهلي بكاظمة (تهذيب الكمال للمزي 259/10) . ونقل أبو اسماعيل القالي في ذيل الأمالي والنوادر (77) : أن كاظمة موضع بين اليمامة والبصرة على البحر وفيه رباط ، وكان هذا الرباط زمن عبدالملك بن مروان . وقال ياقوت : جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب (المعجم 228/3) وبهذا يعرف شهرة الجهراء قديما بأنها أرض مرعى للدواب ، والمرج مرعى الدواب . والحكمة من الإشارة للمرج زيادة في تعيين مكان الفتنة وأهلها ، وعموما كانت تعد قديما عند العرب المكان الأصلح للرعي وكانت تقصد بالكثير من الإبل لهذه الغاية . ومن القديم كان يطلق على هذه الناحية العراق ، وهى أصل هذه التسمية على خلاف المعهود عند الناس اليوم . قال قطرب : إنما سمي العراق عراقا لأنه دنا من البحر وفيه سباخ وشجر ، يقال : استعرقت إبلكم إذا أتت الموضع . وقال إبراهيم الحربي : كل استواء عند نهر أو بحر عراق (تاريخ الخطيب 24/1) .

(50) رواه الطبراني في المعجم الكبير .

وقد دارت حرب أهل الكويت بما قدر الله تعالى عليهم من فتنة صدام ، وأعمل فيهم القتل والتشريد والظلم فوقع بذلك الهرج كما أخبر رسول الله ﷺ . وقوله في الحديث : (قتل بنو مرج) إنما أضافهم للمرج تعريفا بهم وبهذه الفتنة ، حتى إذا ما وقع الأمر بجانب المرج والتلول المخبر عنهما علم الأمر وبانت الحقيقة ، لا أقول لكل أحد وإنما لمن يقدر الله تعالى هداية قلبه للفهم والإدراك ، وأما قوله في هذا الحديث بأن رحى الإيمان دائرة وفي لفظ رحى الإسلام ، يريد بأبي وأمي هو : أنه عند هذه الفتنة يكون ابتداء وقوع الأمر العظيم ودوران رحى الإيمان ، وأن الإيمان والدين سيبعثان من جديد وتدور رحاهما عند دوران رحى هذه الحرب والفتنة المنتظرة ، ألا تراه كيف يقرن بالذكر ما بين رحى بني مرج ورحى الإيمان والدين ، والمقابلة بين دوران الحرب والفتنة ودوران الكتاب العزيز ، والمعنى أنه عند تحقق تأويل هذه الفتنة يكون قد تحقق بذلك تأويل الكتاب الكريم ، ولذلك أوجب عند وقوع الأمر ، الدوران مع الإيمان والقرآن ، وهذا من أعظم وأعجب قيام الحجج والبراهين على الناس ، ولا يمنع قيام الحجة في هذا على الناس غفلتهم وجهلهم وإعراضهم ، لأن هذه الغفلة والجهل في إدراك تحقق تأويل القرآن ، هو حجة بذات الأمر لقوله تعالى :﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا ﴾[51] وقوله تعالى : ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾[52] أي

(51) سورة الكهف (55) .

(52) سورة مُحَمَّد (18) .

: خبرهم وميعادهم ، لقوله سبحانه في آخر سورة الدخان : ﴿ فارتقب إنهم مرتقبون ﴾[53]

وقد بينت سابقا أن من أشراط الساعة التطاول بالبنيان وإسناد الأمر إلى غير أهله ، وكذلك من أشراطها نار المشرق والدخان ، وكل هذا وغيره قد تحقق ، ووقع الكتاب ، وسيأتي زيادة في تفصيل أمر النار والدخان .

وقوله تعالى : ﴿ فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ دليل صريح على ما ذكرت في أن الغفلة والجهل في هذا الأمر ليس من موانع قيام الحجة في هذا الأمر ، ومجيء ذكراهم ليس شرطا للتذكر ، وهذا لا ينافي الأمر بالدوران مع الكتاب ، لأنه هناك من حقت عليه كلمة العذاب ، وسيحال بينه وبين الاتعاظ والتذكر، وفي هذا المعنى مصداق قول الرسول ﷺ في حديث ابن عمر المذكور سابقا : (حتى يصير الناس إلى فسطاطين) ويجب التنبه إلى المعنى الذي ألمحت إليه الآية من سورة مُحَمَّد بذكر الساعة وأشراطها ، ليعلم أن ذكر هؤلاء إنما يكون عند قرب قيام الساعة ولذلك أنذر بوقوع الساعة بغتة والتذكير بمجيء أشراطها وهذا لا يكون إلا في آخر الزمان ، فعاد المعنى في الآية شاهد لما في حديث معاذ ، وأن المراد بدوران الكتاب ورحى الإيمان ، تَحَقُّق تأويل القرآن ووقوع ذكرى هؤلاء ، الذكرى التي فُصِّلت أخبارها بالكتاب العزيز ، وإن جهل حقيقة ذلك أكثر الخلق .

---

(53) سورة الدخان (59) .

ومن المروي عن رسول الله ﷺ ويعد تأكيداً لما سبق ، ما رواه الترمذي رحمه الله عن علي قال : سمعت رسول الله يقول : (ألا إنها ستكون فتنة) فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : (كتاب الله ، فيه نبأ ما كان قبلكم و خبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله)[54]، وعن ابن مسعود : (إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم كتاب الله)[55]ومن المعلوم أن ظهور الربا والزنا إنما يكون آخر الزمان من أشراط الساعة .

وأصرح من هذا وهذا مما يشهد للمعنى الذي ذكرت شرحا لما ورد في حديث معاذ وغيره في ذكر دوران رحى بني مرج ، ما رواه الحاكم في المستدرك عن خالد العرني قال : دخلت أنا وأبو سعيد الخدري على حذيفة فقلنا : حدثنا عن رسول الله في الفتنة ؟ قال : قال رسول الله : (دوروا مع كتاب الله حيث ما دار)[56]وفي الحديث الصحيح حديث حذيفة الآخر المهيب في ذكر طبقات الخير والشر ، قال : قلت يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر ؟ قال : (فتنة وشر) قلت : بعد هذا الشر خير ؟ قال : (تعلم كتاب الله واتبع ما فيه) ثلاث مرات ؟ قلت : هل بعد هذا الشر خير ؟ قال : (هدنة على دخن وجماعة على أقذاء)[57]. وهذه هي الهدنة التي ورد ذكرها في حديث عوف بن مالك وذي مخبر ، إلا أن حذيفة في حديثه زاد على كل ما ذكر ، أن الهدنة

(54) الترمذي (172/5) قال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال .

(55) علل الحديث (429/2) لأبي مُحَمَّد بن أبي حاتم ، وقال أبو حاتم : منهم من يرفعه .

(56) المستدرك (148/2) .

(57) أبوداود (96/4) .

تكون على دخن . والدخن في الحديث هنا ، والدخن في حديث ابن عمر ﷺ في فتنة السرى حين قال : (دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي) هو على الحقيقة دخان ، وليس على المجاز والتشبيه .

وكما ذكرت قد وقع الأمر كما أخبر رسول الله ﷺ ، إذ أشعل صدام النار في آبار البترول ، فكان ذلك مصدر هذا الدخان العظيم المنتظر ، الذي هو من أظهر أشراط الساعة ، وقد صحت الأحاديث في ذكره ، وجاء القرآن في تفصيل أمره على ما سأفصله لاحقا ، وكذلك سآتي على تفصيل وبيان ما ورد في حديث حذيفة وعوف بن مالك عن الهدنة ، وبيان كيف أن من أظهر العلامات الدالة على تعيين هذه الهدنة خروج دعاة الضلالة والنشؤ بعدها ، ويعد حديث حذيفة هذا الأخير نص في تعيين زمن المهدي وأن مبعثه يعقب هذه الفتنة والهدنة ، وأن وجوده إنما يكون بين أظهر هؤلاء الدعاة الضلال ، فمتى ما ظهر هؤلاء بعد الهدنة والدخان ، وأصبح وجودهم لا يخفى ، فاعلم أن وجود المهدي قد صار حقيقة ، ووجودهم دليل على وجوده ، لقوله في الحديث : (تكون إمارة على أقذاء وهدنة على دخن ، ثم ينشأ دعاة الضلالة ، فإن كان لله في الأرض يومئذ خليفة فالزمه ، وإلا فمت وأنت عاض على جذل شجرة) قلت : ثم ماذا ؟ قال : (ثم يخرج الدجال)[58] وفي لفظ آخر : (فإن رأيت يومئذ خليفة الله في الأرض فالزمه)[59]. وفي لفظ : (تلزم جماعة

---

(58) رواه أحمد (386/5 و 403) ، وأبو داود (95/4) ، والحاكم (423/4) ، والحربي في الغريب (1164/3) .

(59) نقل عبدالرزاق الصنعاني (المصنف 343/11) : أن قتادة كان يحمل ما في الحديث على زمن أبي بكر . قلت : ولعل مثل هذا ما أدى ببعضهم لأن يقول لأبي بكر: يا خليفة الله . تأويلا للحديث ، فرد عليهم بقوله==

المسلمين وإمامهم) ومثل هذا لا يقال إلا في المهدي الخليفة المنتظر ، ومن حمله على غير هذا الوجه فهو من أجهل الناس وأضلهم ، إذ لا يمكن عند الفتن أن يضاف إلى الله تعالى على لسان رسوله ﷺ إضافة تكريم وتشريف إلا المهدي المنتظر ، الذي أكثر في سيرته رسول الله ﷺ الثناء والتبجيل ، وعلى ذلك كتاب الله تعالى في أكثر من موضع ، مثل قوله عز وجل : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾[60]ويتلوه : أي يتبعه وفي شعر الأسود بن يعفر :

ولقد تلوت الظاعنين بحرة أجد مهاجرة السقاب جماد

ومن تعظيم شأن هذا الشاهد عند الله تعالى ، أن قرن الله سبحانه شهادته مع شهادة هذا الشاهد على صدق رسالة نبينا مُحَمَّد ﷺ فقال سبحانه : ﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾[61]ولقد أخطأ

==: لست خليفة الله بل خليفة رسول الله وحسبي ذلك . حكاه شيخ الإسلام في المنهاج (352/4) والفتاوى الكبرى (553/2) . ولقد أحسن رحمه الله في رده على الاتحادية كابن عربي وغيره في اعتقادهم أن الخليفة عن الله مثل نائب . وهذا القول الجاهل الباطل ليس من الحديث في شيء ، وإنما المراد إضافة التكريم والتشريف ، مثل : بيت الله ، وناقة الله . وحمل حديث حذيفة على غير هذا ضلال وجهل . وكذلك من طعن بهذه اللفظة من الحديث ، لما قد يتوهمه عقله الضعيف ، فيحمل ما ورد في الحديث على هذا الوهم ، هو أيضا جاهل متلاعب بكلام النبي لقصور فهمه . وهذه اللفظة وردت عن رسول الله في وصف المهدي المنتظر في أكثر من حديث .

(60) سورة هود (17) .

(61) سورة الرعد (43) .

عبدالله بن سلام حين تأول الآية على نفسه[62]، والحق في ذلك أنه لا يكون إلا من النبي ﷺ ، وظاهر القرآن صريح في هذا على ما بينته .

ومن أبين الأدلة في تعيين فتنة صدام ، فتنة السُرى التي كان رسول الله ﷺ يحذر من شرها ويعظم خبرها ويكثر من ذكرها ، ما رواه خالد بن معدان أيضا عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا رأيتم عمودا أحمر قبل المشرق في رمضان ، فادخروا طعام سنتكم ، فإنها سنة جوع)[63] وروى هذا الحديث الوليد بن مسلم وعيسى بن يونس عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان بلفظ : (إنه ستبدو آية ، عمودا من نار يطلع من قبل المشرق ، يراه أهل الأرض كلهم ، فمن أدرك ذلك فليعد لأهله طعام سنة)[64].

وهذا من الحديث عجب والرحمن ، ويعد واللهِ أصرح حجة في تعيين غزو صدام للكويت بأنه هو الفتنة المنتظرة ، التي كان أصحاب رسول الله ﷺ يروون

---

(62) رواه الترمذي (381/5) وقال : حسن غريب . وحكاه ابن كثير في تفسيره عن مجاهد ولم يلتفت لحديث ابن سلام في سنن الترمذي وقال : وهذا القول غريب ، لأن الآية مكية ، وابن سلام أسلم في أول مقدم النبي المدينة وكان سعيد ينكر أن يكون المراد بها ابن سلام ويقول هي مكية . التفسير (572/2) .

(63) رواه الطبراني في الأوسط (221/1) ، وحسنه السيوطي في الجامع ، وذكر المناوي أن له شواهد ، وذكر الهيثمي أن رجاله ثقات غير ابنة خالد بن معدان لم يعرفها اهـ . وهي عبدة ، روى عنها إسماعيل بن عياش وبقية بن الوليد ، وكان الأوزاعي أمر بسؤال أم عبدالله ابنة خالد بن معدان عن هدي أبيها فكان ذلك سبب إتيان تلاميذ الأوزاعي عبدة . ذكره أبو زرعة الرازي في تاريخه (350/1) .

(64) رواه نعيم (227/1) .

عنه التحذير من شرها ، فانظر هل يحدثك عن هذه الفتنة مثل هذا العالم الخبير ﷺ ، ويعد هذا الحديث من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ، فقد وقع الأمر بالخارج على وفق ما أخبر ووصف ، وبهذا يكون قد نصح للأمة وحذر من مغبة هذه الفتنة وعاقبتها ، حتى أنه كان يوصي بادخار الطعام لسنة ، وفي هذا المنتهى بالنصح والشفقة منه عليه الصلاة والسلام لأمته ، ومن كمال نصحه وصف هذه الفتنة والتعريف بحالها حتى كأن الناس يرونها رأي العين وواقع الحال في هذه الفتنة يشهد بذلك ، فهل ينكر أحد أن جيش صدام طرد من الكويت وأهلها قد أنهكهم الجوع والخوف ، ثم ما لبثوا حتى أتاهم شهر رمضان وهم أجوع الناس على وجه الجزيرة ، وهذا من حالهم في تلك الفتنة معلوم عند أهل الكويت وغيرهم ممن كان يرسل المساعدة ممن حولهم من الناس ، وفي هذا مصداق ما في حديث عباده : (أنها سنة جوع) ثم أيضا إن هذا الحديث لم ينفرد بذكر تلك العلامة أعني عمود النار وشهر رمضان في سنة الجوع ، بل في لفظه من رواية الوليد وعيسى بن يونس ما هو أصرح في الدلالة مما ذكر في الحديث المتصل من طريق عبادة وذلك بقوله : (عمودا من نار يطلع من قبل المشرق ، يراه أهل الأرض كلهم) فقوله : (يراه أهل الأرض كلهم) هذا لا يمكن أن يكون له توجيه معقول إلا بما هو حاصل في زماننا ، وتحقق في فتنة صدام ، فعمد النار المشتعلة من آبار البترول ، قد بثت صورها عبر الأقمار الصناعية ، وتناقلتها وكالات الأنباء العالمية بالصور الحية المباشرة وتمكن من رؤيتها كل أهل الأرض ، لأهمية الحدث عند الناس ، الحدث الذي هز العالم كله وأشغله ، فسبحان الله ما أظهر هذه العلامة منفردة ، فكيف إذا ما جمعت إلى أخواتها .

ومن العجيب أن الشيخ يوسف بن يحي السلمي في كتابه عقد الدرر فيما جمعه من أحاديث المهدي المنتظر ، اعتبر عمود النار من المشرق علامة لخروج المهدي ونقل في ذلك عن الحسين بن علي[65]. وكان يقول في كتابه : ولعل ظهوره في هذه السنين قد يقع ، فكل أمر إذا ضاق اتسع . وكان من اعتقاده أنه قد أدرك الفتن الموعودة [66]. ولا أدري لو أدرك هذا الرجل فتنة صدام ورأى عمد النار والدخان ماذا سيفعل !.

هذا كان من الأحياء ، فدع عنك موتى هذا الزمان الذين لا يرى أحدهم ما هو أبعد من نجديته المغبرة !!.

قال الإمام يوسف السلمي في الباب الرابع فيما يظهر من الفتن الدالة على ولايته : عن أبي عبدالله الحسين بن علي قال : إذا رأيتم علامة في السماء نارا عظيمة من قبل المشرق تطلع ليالي ، فعندها فرج الناس وهي قدام المهدي عليه السلام . وعن أبي جعفر مُحَمَّد بن علي أنه قال : إذا رأيتم نارا من المشرق فتوقعوا فرج آل مُحَمَّد إن شاء الله تعالى . ثم قال : ينادي منادي من السماء بإسم المهدي ، فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب[67]. فأما حديث أبي جعفر

---

(65) عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر ليوسف بن يحيى الشافعي السلمي (171) .

(66) عقد الدرر (60) .

(67) عقد الدرر (171) ، والبرهان في علامات المهدي للمتقي الهندي (632/2) ، ورواه نعيم مختصر الحديث على النداء (337/10) .

مُحَمَّد بن علي الباقر ، فقد رواه نعيم بن حماد وبإسناد ليس بالقوي[68][69] . وأبو جعفر من أئمة المسلمين وعلماء الدين ، ولأقواله من الحرمة والقدر ما يستحقه من هو بمنزلته في الإمامة والعلم ، إلا أن الرافضة يكثرون الكذب عليه وعلى أمثاله من أئمة أهل البيت ، حتى إنه بلغت بهم الوقاحة وعدم التقوى إلى الحد الذي لا يعقل ولا يصدقه إلا المجانين من أمثال الرعاع الذين يصدقون هكذا كذب سخيف لا يعقل من أتباع الرافضة الملاعين ، فهل يمكن أن يُدَّعَى كلام ثم ينسب للمهدي فَيُصدَّق الكاذب على هذا ، إنها مذاهب السراديب . ولو كان في هؤلاء عاقل لصاح في إيران الملالي قبحهم الله وعظم لعنتهم ، قائلا أين المهدي لا يخرج في حمايتكم ليقول ما شاء وينصر الدين كيفما يريد ، وقد كان قدماؤهم يدعون أن المانع من الخروج ، خشية أن يقتل !! .

والحاصل أنه لما كان عامة مدعي التشيع لأهل البيت من السفلة والرعاع الذين لا علم لهم ولا خبرة بالأسانيد التي تروى بها الأخبار ، راجت عليهم الأكاذيب والخزعبلات ، من مثل قال المهدي وفعل المهدي وهو لم يخلق بعد ، وكم من حديث عن أهل البيت انفرد الرواة عندهم بتناقله هو ساقط من حيث التوثيق لعدم أمانة النقلة عندهم ، ولكثرة الكذب في رواتهم ، اختلط الباطل بالحق الذي عندهم ، فصاروا بهذا جناة على روايات أئمة بيت رسول

---

(68) رواه نعيم باختصار ، ورواه النعماني الرافضي في كتاب الغيبة بلفظ : إذا رأيت نارا من المشرق شبه الهردي العظيم ، فتوقعوا فرج آل مُحَمَّد . وهذا من الرواية . والحق لله لا يمكن أن ينقل إلا عن النبي ، لمطابقته في الوصف لعمد نار البترول في الكويت . والهردي ما صبغ الهرد ، وهو الكركم ويستعمل صباغا ويكون أصفر فاقعا .

(69) نعيم في الفتن (337/1) .

الله ﷺ . وهذا الحديث لم ينفرد به رواة الشيعة والحمد لله ، فهناك ما يشهد له عند أهل السنة والحديث ، مما يمكن النظر في سنده ، وأما حديث الحسين بن علي فذكره السلمي والمتقي الهندي في كتاب البرهان من غير ذكر إسناده والله أعلم من أين نقلوه ، وبمجموع هذه الأحاديث في عمود النار من المشرق ، يدل على أن لحديث الحسين أصلاً ، ولعلهم نقلوه عن النعماني صاحب كتاب الغيبة من كبار الرافضة في القرن الثالث ، فقد رواه باللفظ المنقول هنا [70]. وأنا وقفت على الكتاب فوجدته ظلمات متراكمة نسأل الله السلامة ، وليس هو ممن يعتمد على إسناده ، والنعماني ولو كان متقدما فليس هو ممن يعتد بثقته ولا أمانته ، ويدعي الكاذب في كتابه أن القرآن الآن ليس هو كما أنزل ، ويروي عليه لعنة الله ، عن علي قوله : كأني بالعجم يعلمون الناس القرآن كما أنزل[71]. وهذا وأمثاله كانوا يتحايلون لإدخال مجوسيتهم على الإسلام بدعوى حب أهل البيت .

ومن الشواهد لحديث خالد بن معدان في عمد النار ، ما روي عن عبدالرحمن بن جبير عن كثير بن مرة الحضرمي قال : آية الحدثان في رمضان علامته في السماء ، بعدها اختلاف في الناس ، فإن أدركتها فأكثر من الطعام

(70) الغيبه للنعماني (179) .

(71) الغيبه للنعماني (218) .

ما استطعت[72]. وروى عنه أيضا عبدالرحمن بن جبير قوله : إني لأنتظر ليلة الحدثان في رمضان منذ سبعين سنة[73].

وهذا موافق لما ذكر عن عبادة والحسين ، وكثير من ثقات التابعين وعلمائهم ، أدرك أربعين من أصحاب بدر ، وانتظاره لهذه العلامة التي لا تكون إلا عند الفتنة والاختلاف ، دال على تحقق أمر عظيم دعاه للانتظار كل هذا العمر ، وهو لم ينفرد بهذا التشوق ، فقد سبقه ابن عباس لذلك ، فقد روى ابن أبي مليكة قال : غدوت على ابن عباس ذات يوم فقال : ما نمت البارحة حتى أصبحت ، قلت : لم ، فقال : قالوا طلع الكوكب ذو الذنب ، فخشيت[74] أن يكون الدخان قد طرق . ذكره ابن كثير في تفسيره وقال : أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن ، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقنع ، ودلالة ذلك ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة ، مع أنه ظاهر القرآن . قال تعالى : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ أي بين واضح يراه كل أحد اهـ [75].

---

(72) نعيم (227/1) .

(73) نعيم (232/1) .

(74) قال أبو بكر مُحَمَّد بن السراج البغدادي : الأفعال على ضروب ثلاثة منها يقين وهو علمت ، وضرب هو لتوقع الشيء نحو : رجوت وخفت (الأصول في النحو 209/2) .

(75) تفسير ابن كثير (147/4) .

قال الحافظ ابن حجر : أخرج عبدالرزاق من طريق ابن أبي مليكة هذا الحديث ، وأخشى أن يكون تصحيفا ، وإنما هو الدجال بالجيم الثقيلة واللام[76].

قلت : ما كان ابن عباس لتطيب نفسه لمقدم الدجال ، فقد روى الحديث أبو عمر بن عبد البر عن ابن أبي مليكة قال : دخلت على ابن عباس فقال : سلوني فإني أصبحت طيبة نفسي ، أخبرت أن الكوكب ذا الذنب قد اطلع فخشيت أن الدخان قد طرق ، وسلوني عن سورة البقرة وسورة يوسف[77]. والصحيح أن قول ابن عباس إنما هو عن الدخان وليس الدجال ، ودليل ذلك فرح نفسه لما ظن الدخان طرق . والحديث رواه الحاكم في المستدرك وصححه وقال : هو على خلاف عبدالله بن مسعود أن آيه الدخان قد مضى[78]. ومن هذا يتضح بأن انتظار كثير بن مرة لآية الحدثان إنما يريد

---

(76) الفتح (573/8) .

(77) بيان العلم وفضله (115/1) . ومن المعلوم أنه بعد فتنة صدام وإحراقه آبار البترول وتسببه بإثارة ذلك الدخان العظيم ، قد أُكتُشِفَ مذنب يسمى هيل بوب في العام (1995) وكان هذا سيكون حجة في أمر الدخان لو أن ابن عباس جعله علامة لتحقق الدخان ، إلا أن المرجح أنه يرى الكوكب مسببا للدخان وهو وهم . ففي (95/7/23) نشر الاتحاد الدولي الفلكي في نشرته رقم (6187) أن اثنين من هواة الفلك الأمريكيين وهما الن هيل وتوماس بوب تمكنا من اكتشاف هذا المذنب . ويقال إن مداره حول الشمس على فترات متباعدة ولن يعود إلى الظهور قبل مرور (2380) عاما ويشكل مجيء المذنب إلى مدار الأرض بمثابة مفاجأة للفلكيين المحترفين ، لأنه أشد توهجا مما سبقه . وقال مارسون عالم الفضاء من مركز هارفارد سيمتسونيان للمراقبة الفيزيائية الفضائية في كيمبردج : هيل بوب أفضل مما سبقه من مذنبات لأن المذنب دورته الشمس مرات عديدة ، وهذا يعني أن المذنب كبير لدرجة تمكنه من تحمل تكرار رحلات أخرى . وذكرت الرأي== ==العام الكويتية في (1997/2/17) أن أحد الهواة من رابطة الفلك بالكويت إلتقط صورا واضحة ونادرة للمذنب ، وذكر الهاوي أنه يمكن مشاهدته حاليا في سماء الكويت بالعين المجردة .راجع : (الزائر الجديد مذنب هيل بوب) نشرة رابطة هواة الفلك والأرصاد الجوية الكويتية . (القبس الكويتية تاريخ (1996/2/5) (والسياسة (1997/3/18) .

(78) المستدرك (459/4) .

بذلك الدخان المنبعث من عمود النار الذي يخرج من المشرق ، ومجموع هذه الأخبار يدل على هذا . والحدثان أول الأمر وابتداؤه ، والمراد به هنا حدث عظيم عام ، قال ابن خلدون في مقدمته المشهورة في الفصل الثالث والخمسين في حدثان الدول والأمم وفيه الكلام على الملاحم : أكثر ما يعتني بذلك ويتطلع إليه الأمراء والملوك في آماد دولتهم ، ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم إليه . وكل أمة من الأمم يوجد لهم كلام في مثل ذلك من ملك يرتقبونه أو دولة يحدثون أنفسهم بها ، وما يحدث لهم من الحرب والملاحم ومدة بقاء الدولة ، وعدد الملوك فيها ، والتعرض لأسمائهم ، ويسمى مثل ذلك الحدثان[79].

ومن الأحاديث التي تدل على أن الدخان من الآيات المنتظرة التي تكون قبل الساعة ، حديث حذيفة بن أسيد قال : اطلع النبي علينا ونحن نتذاكر ، فقال : (ما تذاكرون) ؟ قالوا : نذكر الساعة . قال : (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) ذكر : (الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف ، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)[80]. وحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (بادروا

(79) مقدمة ابن خلدون (587) .

(80) مسلم (27/18) .

بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة)[81].

والقول بأن عمود النار هو مصدر الدخان المنتظر ليس هو بدعا من القول وليس القول بذلك واعتقاده ضلاله ، بل القائل بخلاف ذلك هو الضال المضل والراد على الله ورسوله ﷺ خبرهما ، المكذب لله ورسوله ، بل لا ينكر ذلك إلا من هو أضل وأجهل خلق الله ، وذلك لأن العالم كله قد أدرك ورأى الأمر الفظيع الذي قام به صدام وجيشه ، عندما اقتحم أرض الكويت ، ومن ثم قام بحرق آبار البترول ، التي امتدت ألسنتها إلى عنان السماء ينبعث منها دخان ما رأى الناس مثله قط ، انقلب نهار الناس ليلا دامس[82].

ثم إن دلالة اقتران عمد النار والدخان وجودا في هذه الفتنة ، وكلها قد صحت بها الأخبار ، أقوى حجة على أن هذا الحدث هو الذي يعنيه رسول الله ﷺ بأخباره ، سواء عمد النار أو الدخان ، وزد على هذا كله ما سبق ذكره من

(81) مسلم (87/18) ، وغيره . وسيأتي لاحقا تخريجه والتعليق عليه وبيان الفائدة الجليلة المتعلقة بهذا الحديث .

(82) قال جون كوليلي في كتابه الحصاد حرب أمريكا الطويلة في الشرق الأوسط : اهتمام العالم اتجه في ما بعد الحرب إلى خطر كبير ، وهو نيران آبار البترول التي بدأت في أواخر يناير ثم تضاعفت في فبراير ومارس عندما فجر العراقيون ألغاما وشحنات كانت موضوعه في الآبار مسبقا ، وقد نتج عن تلك الملتهبة سحب كثيفة من الدخان نشرت الظلام في جميع منطقة الخليج ، ومع حلول (27/ يناير) كان العراقيون قد افرغوا ما بين خمسة وعشرة ملايين برميل من االنفط في الخليج ، وكانت تلك على الأرجح أكبر بقعة نفط عرفت في التاريخ والوحيدة التي نتجت عن نية مبيتة (القبس 6735 تاريخ 92/1/16) .

حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما ذكر فتنة السُرى فتنة صدام العراق ، قال : (دخنها من تحت قدمي رجل) وفي حديث حذيفة أن رسول الله ﷺ لما ذكر الشر الذي يكون في آخر الزمان ، ويريد هذه الفتنة ، قال : (وهدنة على دخن) والكلام في الحديثين عن الدخن على حقيقته ، ولا يعقل أنه يريد التشبيه المجازي في كلا الحديثين ، وقد جاءت الفتنة بالدخان والنار كما أخبر عليه السلام ، وعقدت الهدنة والدخان يسد ما بين المشرق والمغرب ، فصح بذلك أن تكون الهدنة على دخن ، وقد تأول بعضهم ذكر الدخن هنا على حسب ما بلغه علمهم . وجاء في بعض ألفاظ الحديث ما يفيد ، سؤال حذيفة رسول الله ﷺ عن الدخن ، فأجابه عن حال الناس عند تلك الفتنة من تفرق وتنافر وعدم رجوعهم إلى الحال التي كانوا عليها قبل الفتنة[83] .

وقد وقع الأمر كما أخبر ، فهذه الفتنة آية في تنافر القلوب بين العرب ، وجواب رسول الله ﷺ لحذيفة لا ينافي وجود الدخان ، ويعد هذا من باب التورية وهو جائز كتما للنبوءة وعدم الإفصاح الجلي عن حقيقة تأويلها ، وقد جاء بجوابه بزيادة بيان مع عدم تفويت مصلحة الكتمان ، وترك الفتنة إلى وقتها هي كفيلة بالإفصاح عن حقيقة أمرها . ومن المعلوم عند العقلاء أن الغالب على النبوءات الرمز لا النص .

(83) رواه أبو داود : قلت يا رسول الله الهدنة على الدخن ما هي ؟ قال : (لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه) (96/4) . وجوابه هذا كما قلت زيادة بيان لا تنفي وجود الدخان . وفي لفظ : (هدنة على دخن) قال : (جماعة على فرقة) .

وآكد ما جاء في ذكر الدخان الذي نص عليه النبي عليه السلام ، قول الله تعالى في سورة الدخان ، وتعد هذه الآيات مهيمنة على كل ما سبق في هذا الأمر ، قال سبحانه : ﴿ بل هم في شك يلعبون . فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين . يغشى الناس هذا عذاب أليم . ربنا اكشف عنا العذاب إنّا مؤمنون . أنّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين . ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون . إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون . يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون ﴾[84] ولقد جزم ابن كثير رحمه الله في تفسير السورة أن الدخان في الآية هو الذي يكون في آخر الزمان ، ورد قول ابن مسعود المشهور في تفسير الآيات ، وقد أجاد وأفاد رحمه الله في نقض التقليد المتبع لقول ابن مسعود في تفسير الآيات[85]، وقال في النهاية في تفسير ابن مسعود أن الدخان خيال حصل لقريش من شدة الجوع بسبب القحط : وهذا تفسير غريب جدا لم ينقل مثله عن أحد من الصحابة غيره ، وقد حاول بعض العلماء المتأخرين رد ذلك ومعارضته بما ثبت في حديث حذيفة بن أسيد وأبي هريرة ، والحديثان في صحيح مسلم مرفوعان ، والمرفوع مقدم على كل موقوف ، وفي ظاهر القرآن ما يدل على وجود دخان من السماء يغشى الناس ، وهذا أمر محقق وليس كما روى ابن مسعود أنه خيال في أعين قريش من شدة الجوع اهـ[86].

(84) سورة الدخان (9–16) .

(85) التفسير (147/4) .

(86) النهاية (145/1) .

والذي أشار إليه ابن كثير ممن رد قول ابن مسعود هو العلامة صلاح الدين العلائي في كتابه التنبيهات المجملة على المواضع المشكلة قال : أما قول ابن مسعود في تفسير الدخان بما حكى ، فقد خالفه جماعة من الصحابة ، منهم علي وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة ﷺ قالوا : إن الدخان كبير يوري النيران !، لم يأتِ بعد ، بل يجيء في آخر الزمان من أشراط الساعة ، وهذا هو الصحيح لِمَا روى مسلم عن حذيفة بن أسيد ، وذكر الحديث ، وقال : فهذا نص صريح في أن الدخان لم يأتِ بعد . وذكر بعض الأئمة في الجمع بين هذه الأحاديث وقول ابن مسعود أن الدخان اثنان ، أحدهما وقع في زمن النبوة[87]والآخر : يخرج من أشراط الساعة ، ولا يخلو هذا من نظر اهـ[88].

ونقل القرطبي في التذكرة عن أبي الخطاب بن دحية في الدخان قال : قول ابن مسعود لم يسنده إلى النبي ، إنما هو من تفسيره ، وقد جاء النص عن رسول الله بخلافه[89]. وكل هؤلاء الذين ردوا تفسير ابن مسعود أغفلوا ما ألجأ ابن مسعود إلى هذا التفسير ، ولا يصح أن يقال ذهلوا عنه لأنه أمر عظيم وخطب كبير ، والراجح أنهم جبنوا عن الخوض في ذلك .

ولما كان كتاب الله العزيز تبيانا لكل شيء ، فليس هناك ما يدل شرعا على أن هذا التفصيل في آيات سورة الدخان لا يمكن أن يكون تفصيلا لحال هذه الفتنة ، وقد فصل أمرها رسول الله ﷺ بما أوحي إليه من علم ما يكون في

---

(87) قال الحافظ في الفتح (511/2) : هناك ما يدل على أن القصة المذكورة وقعت بالمدينة ، فان لم يحمل على التعدد وإلا فهو مشكل جداً .

(88) التنبيهات (62) .

(89) التذكرة للقرطبي (741) .

آخر الزمان ، والعاقل إذا أعمل الفكر في سياق كلام الله في السورة ، يجد مطابقة تفصيلية بين وصف الآيات والحال التي أوقع صدام بها أهل الكويت ، فالدخان كان مبين كما نصت الآية ، وكان سببه عذاب صدام وفتنته ، وقد استجار أهل الكويت بالله واستكانوا ، فرفع عنهم العذاب بما سخر لهم من نصرة الروم وغيرهم ، وقد حررت بلدهم وعادوا إلى أرضهم كما أخبر جل جلاله ، ويبقى ما أغفل الكلام فيه العلماء وهو أعظم ما ورد في الآيات ، فإن كانت الآيات كما صرح هؤلاء بأن تأويلها إنما يكون آخر الزمان ، فمن يكون إذن هذا الرسول الذي ورد ذكره فيها وهذا بعينه المشكل الذي ألجأ ابن مسعود لذلك التفسير ولم يلحظ هؤلاء العلماء هذا المعنى ، ومن عارضه لم يأتِ بجواب على هذا الأمر بل أغفل ذكره عن قصد والله أعلم ، لأنه من المستبعد ذهول أمثال هؤلاء عن ملاحظة مثل ذلك وهم بصدد تفسير وتدبر معاني الآيات المذكورة .

ويجدر التنبيه هنا أنه سبق وأن علقت على ما ورد في حديث معاذ وغيره في دوران رحى الكتاب ، وما نص حذيفة في حديثه أنه عند الفتنة أمر رسول الله ﷺ بالدوران مع الكتاب ، وبينت هناك أن دوران رحى الكتاب معناه تحقق تأويله ، ومصداق ذلك كتاب الله العزيز حين قال : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون . ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم ﴾[90] قال البخاري رحمه الله : الذكرى بمعنى الذكر[91] .

---

(90) سورة الأنبياء (1-3) .

(91) في باب : (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين) الفتح (573/8) .

وقال سبحانه : ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾[92] وذكراهم هو خبرهم الذي فصل في القرآن .

وقد احتج الجهمية لعنهم الله على أن القرآن مخلوق لظنهم أن الضمير في محدث يعود إلى القرآن كلام الله ، وليس كما ظنوا بل يعود إلى ذكر هؤلاء ، الذي هو خبرهم وتفصيل حالهم التي تكون آخر الزمان ، يحدثه الله إذا جاء وقته ، بتقديره سبحانه ولطف تدبيره . فهل تمصر الأمصار إلا بقدره سبحانه ، وهل قوة الروم إلا بقدره ، وهل اكتشاف البترول إلا بقدره ، يا أيها الأعمى آمن بقدر الله . والجواب الصحيح على ما أشكل من ذكر الرسول في سورة الدخان ، مع كون الدخان إنما يكون في آخر الزمان ، والآيات نص في هذا الأمر ، فكيف يكون رسول في آخر الزمان ، والنبي قد صح عنه أنه لا نبي بعده[93]، وفي هذا مخالفة في ظاهر الأمر لنص الآية في سورة الدخان .

---

(92) سورة مُحَمَّد (18) .

(93) كما في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة عن النبي قال : (كان بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ، وانه لا نبي بعدى ، وسيكون خلفاء فيكثرون) قالوا : ما تأمرنا ؟ قال : (فوْ ببيعة الأول فالأول) . وهذا مع كونه في النبوة بعده ، أي لا يخلفه نبي كما كان الأمر مع بني إسرائيل ، فليس فيه ذكر لنفي أن يرسل بعده رسول ، إنما هو دليل على نفي النبوة بعده ، وهذا على الصحيح عام في النفي سواء كانت البعدية تفيد القرب أو البعد ، فهو نفي مطلق . ولا يستثنى من هذا النفي العام إلا المبشرات وهي الرؤيا ، فهي على الخصوص في آخر الزمان لا تكاد تكذب . وعن أنس رفعه : (إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي إلا المبشرات ، وهي الرؤيا جزء من أجزاء النبوة) رواه أحمد والترمذي والحاكم . والاستثناء واقع على الرسالة والنبوة ، وهو لا يعارض القول بأن آيات سورة الدخان في آخر الزمان ، بل يؤيده من حيث حصول الاستثناء .

والجواب أن يقال : بما أنه صح عن رسول الله ﷺ ذكر الدخان ، وأنه كائن آخر الزمان ، من علامات وأشراط الساعة ، وقد كان يقرأ سورة الدخان وما فيها من ذكر الدخان والرسول ، ولم ينقل عنه أبدا اعتباره هذا الأمر من المشكل ، وأن الظاهر غير مراد ، مع ما صح عنه ﷺ من وقوع الحاجة للبيان في هذا الأمر ، لو كان الأمر مما يحتاج لدفع ما يوهمه ظاهر الآيات من تلك السورة ، ومع هذا ترك الآيات على ظاهرها ، مع تفصيله في أن الدخان كائن آخر الزمان ، فتعين ترك اعتبار هذا من الإشكال ، ووجب تأويل ما يخالف ظاهر الآيات والأحاديث التي نصت على أن الدخان من المنتظر ولم يقع في زمان النبي ﷺ . وقد جاء عنه كما في الصحيح وغيره : أنه قال لابن صياد : (لقد خبأت لك خبأ) قال ابن صياد : هو الدخ ، فقال رسول الله : (إخسأ فلن تعدو قدرك)[94]. قال: وخبأ له رسول الله ﷺ : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ قال ابن كثير : وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب[95]. قال النووي : والدُخ بضم الدال وتشديد الخاء ، وهي لغة في الدخان ، والجمهور على أن المراد بالحديث أنه عليه السلام أضمر له آية الدخان ليمتحنه لِتُعلَم حقيقة حاله وأنه كاهن ساحر يأتيه الشيطان ، فامتحنه بإضمار قول الله تعالى في الآية ، فقال : خبأت لك خبيئا . فقال : هو الدخ ، أي الدخان ، فقال له النبي إخسأ فلن تعدو قدرك ، أي لا تجاوزه وقدر أمثالك

(94) وقعت مجادلة بين ابن عمر وابن صياد ، فقال له ابن عمر : إخسأ فلن تعدو قدرك . فقال ابن صياد : أجل لعمري لا أعدو قدري . المصنف (397/11) .

(95) تفسير ابن كثير (146/4) ، والحديث رواه أيضا عبدالرزاق في المصنف (389/11) .

من الكهان الذين يدركون بعض ما لا يَبِينُ حقيقته ، وما لا يصل به إلى بيان تحقق أمور الغيب اهـ[96] .

ولم يجب أهل العلم كيف تسلط هذا على معرفة ما أضمر النبي عليه السلام في نفسه الشريفة على قولهم أنه أضمر الآيات من سورة الدخان . وقول رسول الله ﷺ : (لن تعدو قدرك) ليس المراد منه القَدْرُ والمنزلة ، بل المراد تقدير الله وخلقه ، وذلك أن ابن صياد ما كان ليسلط على ما يخفي رسول الله ﷺ في نفسه الطاهرة ، فهو أصغر وأحقر من أن يمكن من ذلك ، وقد حفظ الله رسوله من الشياطين ، وإنما الأمر كما في المثل : إياك أعني واسمعي يا جارة . وابن صياد لا يمكن أن يكون بهذا الفهم والمعرفة وهو ما زال طفلا صغيرا لم يبلغ بعد ، والأمر لا يعدو أحد أمرين : إما أن يكون ابن صياد هو الدجال كما اعتقد ذلك بعض الصحابة الكرام ، أو هو إبليس اللعين ، وهما عندي على الصحيح كما يقال في لسان الناس اليوم وجهان لعملة واحدة ، وبذلك يتبين علمه بالمخبوء وهو الدخان ، وذلك ليس من أجل تسلطه على علم الغيب أبدا ، ومن ظن ذلك فهو جاهل ، بل لأن هذا الأمر مما فصل تفصيلا وافيا قبل مبعث رسول الله ﷺ ، وهذا هو المفاجئ والمباغت والمخبوء ، وسيأتي بحول الله بيان ما يتعلق بهذا المعنى في الفصل الأخير من هذا الكتاب ما يصح أن يسمى (بسيناريو حرب الخليج الثانية في كتاب اليهود المقدس) . ألا ترى أن أنس بن مالك كما جاء في صحيح البخاري روى أن ابن سلام لما بلغه مقدم النبي المدينة أتاه يسأله عن أشياء ، فقال له : إني سائلك عن ثلاث لا

(96) شرح صحيح مسلم للنووي (48/18) .

يعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط الساعة و . . و . . ؟ . فقال رسول الله : (أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)[97]. ثم قال رسول الله : (أخبرني بهن جبريل آنفا)[98]. وكان ذلك ما دعى ابن سلام للإيمان بصدق دعوة الرسول ﷺ ، وروى الطبراني عن ثوبان مثله وفيه زيادة ، وليس فيه ذكر النار ، قال : جئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان . فلما أجابه ، قال : صدقت ، وإنك لنبي ثم انصرف . فقال رسول الله ﷺ : (لقد سألني هذا عن الذي يسألني عنه ومالي بشيء منه علم حتى أنبأني الله عز وجل)[99]. وفي هذا دليل على اهتمام اليهود بهذا العلم ، وتحفظهم من أن يعلم أحد عن أمر هذه النار لكونها علامة ودليل ، حتى إنه لا يعرف بأمرها عندهم إلا نبي ورؤوس الأحبار عندهم كما دل عليه هذا الخبر . والنار والدخان من المفصل الذي يعلمه أحبار اليهود ، فكيف بابن صياد أو إبليس أو الدجال قل ذلك إن أردت فكلهم في الباطل متحدون .

(97) قال الحافظ ابن حجر : وحديث حذيفة بن أسيد في النار ، في ظاهره يعارض حديث أنس ، فان فيه آخر الأشراط النار ، وحديث أنس أول الأشراط . ويحتمل أن تكون النار في حديث أنس كناية عن الفتن اهـ الفتح (82/13) و (379/11) قلت : الصحيح أن النار في حديث أنس التي تكون من المشرق ، هي النار التي جاء ذكرها في حديث خالد بن معدان وكثير بن مرة ، وهي نار فتنة صدام العراق . وحشرها للناس حشر معنوي وليس حسي كالنار المذكورة في حديث حذيفة بن أسيد ، وإنما يكون حشرها لا بذاتها بل لما يقع في هذه الفتنة من البلاء بهذا الجيش الغاشم ، وكان الأمر كما أخبَرَ نبي الله ، فقد فر أكثر الناس إلى المغرب أرض الجزيرة

(98) رواه البخاري في المناقب وغيره من الصحيح . الفتح (272/7) .

(99) الطبراني في الكبير(88/2) .

وأما باعتبار كونه صار من الخفي على خلق الله في هذا الجيل التعيس ، فذلك لأن الله قدر أن يتعلق به أمر عظيم وهو الفصل بين الحق والباطل ، وهذا الفصل لا يأتي إلا بغتة على حين غفلة من الناس ، اللهم إلا حفنة خاصة من اليهود كما كان الأمر قديما يخصون أنفسهم بشيء من علم الأنبياء يتكاتمونه بينهم ، وقد يطلعون على بعض من ذلك قادة حرب النجوم وأصابع هوليود ومهندسي التاريخ !! ، وفي الحقيقة هذا ما خُبِّئ لابن صياد ، وليس في قلب النبي إلا العلم بتفصيل ذلك كله .

وأما بخصوص ابن صياد ، فأنا لا أشك في أن ابن صياد إبليسَ تمثَّل بصورة بشر ، ومن ذلك جاء علمه بهذا السر ! ، أو أن يكون تلبس بذلك الطفل وقد علم رسول الله ﷺ تلك الحقيقة فكان ذلك سببا لتلك المحاورة الثقيلة !! ، قال تعالى حكاية عن الشيطان يدعوه : ﴿ رب فأنظرني إلى يوم يبعثون . قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ إلى أن قال تعالى بعد ذلك : ﴿ قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين . إن هو إلا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾[100] ومن اعتقد أن إبليس يُنظَر بعد موت جميع من على الأرض إلى يوم أن يبعث الخلائق يوم القيامة فقد أخطأ ، وإنما الإنظار إلى يوم بعث المهدي ، يجمع الله له أهل الإيمان والتقوى من كل الأرض فيصبح الناس على فسطاطين كما في حديث ابن عمر المرفوع ، وتتجلى عند ذلك عظمة الله ويبقى الإيمان ظاهرا ، ومن كان على الكفر يبقى على كفره ، ويتعطل سبيل إبليس على أهل الإيمان والإسلام عند ذلك ولما كان عالما بهذه

---

(100) سورة ص (79–80) .

الحقيقة طلب الإنظار إلى ذلك الوقت الذي يتوقف عنده طمعه في الكسب . وابن صياد على جوابه لرسول الله ﷺ هو أعلم بهذه الحقيقة المستورة عن الكثير من الخلق.

وبالعودة إلى الكلام على آيات سورة الدخان فأقول : كل من قال من الصحابة أن تأويلها آخر الزمان ، يلزمه على هذا اعتقاد وجود رسول آخر الزمان ، فإن الآيات صريحة في هذا ، وأما على قول ابن مسعود فلا إشكال عنده ، فالرسول يكون عندها هو مُحَمَّد ﷺ ، ولم أجد حسب علمي لمن قال من الصحابة أن آيات سورة الدخان تأويلها آخر الزمان ، مخرجا من هذا الإشكال الوارد على هذا الاعتقاد ، إلا لترجمان القرآن العالم في تأويله ابن عباس رضي الله عنهما . قال سفيان بن عيينة في جامعه عن عمرو بن دينار : كان ابن عباس يقرأ : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث ﴾[101] وذكره البخاري في الصحيح معلقا بصيغة الجزم . قال ابن حجر : إسناده إلى ابن عباس صحيح[102] . وروى البخاري في الصحيح في كتاب الفضائل عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر)[103] وقال ابن عباس : لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا وهو فيكم كائن[104] . وعن المستورد بن شداد عن رسول الله ﷺ قال : (لا تترك هذه

---

(101) سورة الحج (52) .

(102) الفتح (7/42و51) .

(103) الفتح (7/42) .

(104) نعيم (1/38) ، والسنة للمروزي (25) .

الأمة شيئا من سنن الأولين حتى تأتيه) قال ابن حجر : ووقع في حديث عبدالله بن عمرو عند الشافعي بسند صحيح قوله : (لتركبن سنة من كان قبلكم حلوها ومرها)[105]. قال ابن حجر في شرح الحديث : محدثون جمع مُحَدَّث . قال الأكثرون هو الملهم ، الرجل الصادق الظن وهو من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدثه غيره به . وقوله في حديث أبي هريرة : (وإن يك في أمتي أحد) قيل لم يورد هذا القول مورد التردد ، فإن أمته أفضل الأمم ، وإذا ثبت أن ذلك وجد في غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولى ، وإنما أورده مورد التأكيد كما يقول الرجل : إن يكن لي صديق فإنه فلان ، لاختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الأصدقاء اهـ[106].

قلت : وعلى قراءة ابن عباس لآية سورة الحج ، فإنه كان فيمن سبق يرسل المحدث وليس بنبي ، وقد جاء عن ابن عباس وغيره أن ما كان فيمن سبق سيكون في هذه الأمة مثله ، فصح تخريج اختيار ابن عباس أن الدخان كائن آخر الزمان ، على قراءته أن المحدث كان يرسل في الذين قبلنا وليس هو بنبي ، وعلى قول ابن عباس هذا واختياره يسلم له القول بأن تأويل آيات سورة الدخان إنما يقع آخر الزمان وأن الرسول المذكور في الآيات هو المهدي الذي بشر رسول الله ﷺ الأمة بأن خروجه يكون آخر الزمان عند اختلاف وزلازل وفتن ، فكما أنه جاز إرسال من ليس بنبي فيمن سبق ، ففي هذه الأمة جواز

---

(105) الفتح (301/13) ، رواه المروزي في السنة (25) ، وعن ابن مسعود : أنتم أشبه الناس ببني إسرائيل .. ، ولا كان فيهم إلا سيكون فيكم مثله . السنة المروزي (25) . راجع (225/1).

(106) الفتح (50/7) .

أن تكون هذه السنة أولى ، وذلك لكثرة بعث الأنبياء فيمن سبق مقابل ما لأمة مُحَمَّد من فضل وليس لها إلا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا كله تأويلا لاختيار ابن عباس أن الدخان من المنتظر ، وقراءته لآيات سورة الحج ، وإذا كان في علم الله أن الدخان المذكور في السورة ليس هو كما ذكر ابن مسعود أن ذلك خيال خيل لكفار قريش من شدة الجوع ، بل هو دخان مبين على الحقيقة وليس بخيال ، وأنه يكون في آخر الزمان ، فعند ذلك لا يمكن أن يكون هذا الرسول إلا المهدي المبشر ببعثه في آخر الزمان ، فهو المستحق لهذا الوصف ، وهو من أمر الله وعلمه[107] ، وهو المنصور المؤيد بإذن الله ، كما نصت الأحاديث على ذلك ، وليس من شرط الرسالة أن يأتي الرسول بشريعة ناسخة .

ومما يشهد أيضا في الكتاب العزيز لتخريج اختيار أن الدخان إنما يكون في آخر الزمان ، وأن هذا الرسول إنما ينازع ويتولى عنه الناس في ذلك الزمان ، قوله تعالى :﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا ﴾[108]والقبلية في الآية صريحة لا لبس فيها .

فإذا تقرر هذا من الآية وفهم لزم الآتي : هو أن الله تعالى ذكر في كتابه عن القرى أنه لا يهلكها إذا أراد ذلك من دون أن يرسل إليهم رسولا يذكرهم ،

---

(107) ورحمته سبحانه ولدنه ، قال تعالى : (واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيرا) سورة الإسراء (80) .

(108) سورة الإسراء (58) .

وأن تلك سنته في جميع القرى من غير استثناء ، فقال : ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾[109]ولا شك أن القرى المعذبة في آخر الزمان سنة الله فيها آكد وذلك لأن أمرها مكتوب في الكتاب لزاما وحتما ، قال تعالى : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا ﴾[110]قال السيوطي : ما منعهم إلا إرادة أن تأتيهم سنة الأولين من الخسف أو غيره أو يأتيهم العذاب قبلا في الآخرة ، فأخبر أنه أراد أن يصيبهم أحد الأمرين ، ولا شك أن إرادة الله مانعة من وقوع ما ينافي المراد اهـ[111] . فإرسال الرسول قبل الإهلاك سنة من سنن الله . وقال تعالى : ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءُون . فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾[112]ويقول سبحانه : ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾[113]وقال : ﴿ استكبارا في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله . فهل ينظرون إلا سنة الأولين .

---

(109) سورة القصص (59) .

(110) سورة الكهف (55) .

(111) الإتقان للسيوطي (38/2) .

(112) سورة غافر (83–85) .

(113) سورة الأحزاب (62) .

فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾[114]والآيات في هذا المعنى كثيرة .

فإن قيل قد صح الإرسال لجميع القرى وتحقق برسول الله ﷺ لجميع الخلق وبإرساله تحققت سنة الله في أنه لا يعذب هذه القرى إلا بإرسال الرسول ، وقد كان ذلك به عليه الصلاة والسلام ، قيل يمنع من ذلك وجهان:

الأول : الاختلاف في تأويل آيات سورة الدخان ، وأن القول بأن ذلك كائن في آخر الزمان ، يقتضي أن هذا الرسول يكون في آخر الزمان ، إذ كيف يمكن اعتبار الدخان في آخر الزمان ، ومع هذا يؤمر عليه الصلاة والسلام بارتقاب خروجه .

الثاني : لقوله تعالى : ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون . فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم . قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين . ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين ﴾[115]وقوله : ﴿ ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين . قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون . فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴾[116]وهذا في الظاهر ليس خطابا لمعاصري النبي من الكفار ، ولا يمكن أن يكون إلا لقوم آخرين ، فلم يبقَ إلا من توعدهم الله عز وجل بسنة

---

(114) سورة فاطر (43) .

(115) سورة يونس (101–103) .

(116) سورة السجدة (28–30) .

الأولين ويدل على ذلك ما هو أصرح مما سبق ، ففي سورة العنكبوت قال تعالى :﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾[117]وهذا الأجل المسمى كما في الآية هنا ، منصوص عليه في آية سورة الإسراء في قوله : ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا ﴾[118]هذا هو المراد بالأجل ، ولا يصح القول بأن هذا في المتقدمين ، فما زال رسول الله ﷺ يتقبل توبة من تاب منهم ، وكذلك لم يعرف في السابقين من يصح القول بأنه أصابهم ما أصاب الذين خلوا من قبلهم ، لا في زمان رسول الله ﷺ ولا بعد زمانه .

وقبل أن أختم هذا الفصل أنبه على فائدة جليلة وهي : أن قوله تعالى في سورة مُحَمَّد :﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها . فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ لها تعلق بما ورد في سورة الدخان : (أنى لهم الذكرى) وقوله في ختام السورة :﴿ فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ﴾ فالمنفي في سورة مُحَمَّد ، قد أبهم في سياق الآية ، وهو التذكر المنصوص عليه في سورة الدخان ، وعلة عدم الانتفاع ، الإعراض عن الذكر وتبين حقيقته مع ما يسر الله تعالى ببعث هذا الرسول وتيسير الذكر على لسانه ، ولكن هيهات وقد تولوا عنه وعن ما يسر الله سبحانه على لسانه من بيان الذكر ، قال تعالى مخاطبا رسوله بقوله : ﴿ إن علينا جمعه وقرءانه . فإذا قرأناه فاتبع قرءانه . ثم

(117) سورة العنكبوت (53) .

(118) سورة الإسراء (58) .

إنَّ علينا بيانه ﴾[119]والمراد بالبينة هنا لا عموم الكتاب ، بل خصوص الأجل المسمى والوعد الحق ، وهو ما لم يأتِ تأويله بعد لقوله تعالى : ﴿ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون. إتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ﴾[120]ولقوله سبحانه : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة . رسول من الله يتلو صحفا مطهرة . فيها كتب قيمة . وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾[121] قال مجاهد : منفكين يعني منتهين ، وهو قول قتادة[122]. وأهل الكتاب لم يتركوا وينفكوا عما هم فيه من باطل وضلال ، وتأويل هذا لم يأتِ بعد ، والبينة في أول السورة التأويل ، والبينة التي اختلفوا بعدها هي العلم والخبر .

(119) سورة القيامة (16–19) .

(120) سورة الأنعام (105–106) .

(121) سورة البينة (1–4) .

(122) تفسير ابن كثير (571/4) .

الفصل الثالث

عن بسر بن عبيد الله الحضرمي قال : حدثني أبو إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول : كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ، إنّا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟. قال : (نعم) . قلت : وهل بعد هذا الشر من خير ؟ . قال : (نعم ، وفيه دخن) . قلت : وما دخنه ؟ . قال : (قوم يهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر) . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ . قال : (نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها) . قلت : يا رسول الله صفهم لنا ؟ . فقال : (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا) . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ . قال : (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ . قال : (فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) متفق عليه[1] . قال ابن كثير : روي هذا الحديث من طرق كثيرة عن حذيفة ، رواه أحمد وأبو داود والنسائي من طريق نصر بن عاصم عن خالد بن خالد اليشكري الكوفي عنه مبسوطا ، وفيه تفسير لما فيه من مشكل . وقال : وأهل الحق هم أكثر الأمة ، ولا سيما في صدر الزمان الأول ولا يكاد يوجد فيهم من هو على بدعة ، وأما في الأعصار المتأخرة فقد يجتمع الجمع الغفير على بدعة ، وقد يخلق الحق في بعض الأزمان المتأخرة عن عصابة يقومون به ، كما قال في حديث حذيفة : (فإن لم يكن لهم إمام ولا

---

(1) رواه البخاري في المناقب والفتن راجع الفتح (615/6) و (35/13) ، والنووي (236/6) .

جماعة فاعتزل تلك الفرق كلها) . والمقصود أنه إذا ظهرت الفتن فإنه يسوغ اعتزال الناس حينئذ كما ثبت في الصحيح : (فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ، ودع أمر العوام) اهـ[2].

والبخاري رحمه الله روى الحديث في كتاب الفتن وبوب له : كيف الأمر إذا لم تكن جماعة . قال الحافظ ابن حجر : والمعنى ما الذي يفعل المسلم في حال الاختلاف من قبل أن يقع الإجماع على خليفة . ونقل عن البيضاوي قوله في الحديث : إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان ، وعض على أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة . ونقل الحافظ في الشرح أيضا عن الطبري قوله : وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابا، فلا يتبع أحدا في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر ، وعلى ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث اهـ[3]. والبخاري يختار رحمه الله في الترجمة الاعتزال في حال انعدام جماعة المسلمين ولذلك أعقب تلك الترجمة ، بكراهة تكثير سواد الفتن وجواز التعرب في الفتنة وهذا من لطيف عنايته بفقه الحديث ، وحسن تبويبه رحمه الله .

ومن المعلوم في زماننا انعدام وجود جماعة المسلمين وإمام المسلمين ، والمراد من القول جماعة المسلمين ، كلهم لا بعضهم مما يُرَى هنا أو هناك أنهم

(2) نهاية الفتن لإبن كثير (16/1) .

(3) فتح الباري (36/13) .

جماعة من دون سواهم من الناس ، وهذا بعينه التفرق والتحزب ، ودع عنك ادعائهم رابطة الإسلام أو العروبة فهم بهذا الادعاء من أكذب خلق الله ولا يخدعون إلا أنفسهم والرعاع ، وإنما رابطة الإسلام الحقيقية على ما شرع الله ورسوله ﷺ ، لا على ما شرع ضباط العسكر ! وأمراء آخر الزمان ! ، بل حقيقة هؤلاء أنهم فرق وطوائف وأحزاب ، وليسوا جماعة للمسلمين كما نص الحديث ، وعلى هذا فمذهب البخاري رحمه الله في مثل زماننا هذا الاعتزال ، وفي هذا تكذيب لأدعياء ينتسبون لأهل الحديث وينكرون الاعتزال في زماننا هذا ، وهذا إمام أهل الحديث رحمه الله على خلاف ما ذهبوا إليه ، ولا يعارض هذا اختياره رحمه الله في الصحيح أن الجماعة هم أهل العلم لسببين :

الأول : أن جماعة العلماء على قول البخاري لا وجود لها اليوم ، وذلك لقبض العلم أصلا وقبضه قبض العلماء ، والموجود اليوم ممن يتوهم بعضهم أنهم من العلماء ، إنما هم أدعياء جهلة وشرذمة متفرقة ، يحتاج أحدهم البراءة من أن يكون من رؤوس الجهل والضلال الذين أخبر رسول الله ﷺ عن خروجهم آخر الزمان عند قبض العلم وظهور الفتن وتقارب الزمان فضلا عن أن يعدوا من العلماء .

والثاني : أن الإمامة الكبرى كما نص الحديث لا وجود لها ، فكيف يكون هناك جماعة مع عدمها ، هذا لا يكون أبدا ، فعدم وجود الإمام وأهل الشوكة والحل والعقد ، دليل على عدم وجود الجماعة ، وأعني بالإمامة ، الإمامة العامة لكل المسلمين ، والجماعة العامة لكل المسلمين ، ولا أعني ما هو

حاصل اليوم ، فهم أشبه بقطعان غنم متفرقة شاردة أكل الذئب راعيها وليس هناك من يجمعها ، أيقال عن مثل هؤلاء جماعة ، قطعا لم يرد البخاري هؤلاء حين قال الجماعة هم أهل العلم ، وحتى لو سلم بأنهم أهل علم أو فيهم أهل علم ، فعدم سعيهم لجمع المسلمين ليكونوا جماعة واحدة دليل على أنهم ليسوا أهل علم ، بل هم يومئذ أهل تفرق وتشرذم وضلالة ، وهم كذلك . وقد جاء عن عمر ﷺ قوله : لا جماعة إلا بإمارة [4].

ولفظ حديث حذيفة في الصحيحين قصر الرواة في ضبط لفظه على عادة أكثرهم ، وتساهلهم في ذلك ، فقد كان بعضهم يروي بالمعنى ويحذف تارة فيفسد وهو لا يشعر . والحديث هذا العظيم الجليل من الأحاديث الخبرية ، يخبر فيه رسول الله ﷺ بما يكون في آخر الزمان ، وقد أُفسِدَ معناه بالرواية بالمعنى والاختصار والتأويل الباطل ، حتى حمله أكثرهم على الصدر الأول للمسلمين كقتادة وغيره ، وهذا كله بغير علم ، ومما أفسد لفظ الرواية في الصحيحين طرح ذكر الدجال من آخر الحديث ، وكذلك ذكر خليفة الله والهدنة والدخن ، ومن أجل هذا يتعين على الناظر للحديث لمعرفة ما دل عليه أن يجمع ألفاظه ويعتبر ذلك كله ، والحديث رواه أبو داود عن اليشكري ، واجتهد رحمه الله في جمع ألفاظه ، فقال بسنده عن قتادة عن نصر بن عاصم عن سبيع بن خالد عن حذيفة قال : قلت يا رسول الله : أرأيت هذا الخير

---

(4) رواه الدارمي (79/1) في سننه عن تميم الداري عنه ولفظه : (لا إسلام إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بإمارة ، ولا إمارة إلا بطاعة) . وهذا الحديث شاهد في معناه لحديث كرز ، فبانتفاء الإمارة تنتفي الجماعة وبانتفاء الجماعة ينتفي الإسلام ، وهذا يكون بشمول الفتن للناس ، و لهذا أخبر في حديث كرز بأن عندها منتهى الإسلام وذكر الاعتزال ، ولا تكون الخيرية في العزلة إلا عند انتفاء الجماعة التي تقوم بواجبات الإسلام .

الذي أعطانا الله أيكون بعده شر كما كان قبله ؟ . قال : (نعم) . قلت : فما العصمة من ذلك ؟ . قال : (السيف) . قلت : يا رسول الله ، ثم ماذا يكون ؟ . قال : (إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه ، وإلا فمت وأنت عاض بجذل شجرة) . قلت : ثم ماذا ؟. قال : (ثم يخرج الدجال) رواه أبو عوانة عن قتادة من غير ذكر الهدنة ، إلا أنه ذكر الخليفة والدجال ، ورواه من طريق عبدالرزاق عن معمر عن قتادة ، قال بعد السيف : (بقية على أقذاء وهدنة على دخن) ورواه عن حميد وهي متابعة لقتادة عن نصر بن عاصم قلت : بعد هذا الخير شر ؟. قال : (فتنة وشر) . قلت : بعد هذا الشر خير ؟ قال : (يا حذيفة ، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه) قال ذلك ثلاث مرات . قلت : هل بعد هذا الشر خير ؟ قال : (هدنة على دخن ، وجماعة على أقذاء ، فيها ، أو فيهم) . قلت : يا رسول الله ، الهدنة على الدخن ما هي ؟ . قال : (لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه) . قلت : يا رسول الله أبعد هذا الخير شر ؟ . قال : (فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار ، فإن تمت يا حذيفة وأنت على جذل خير لك من أن تتبع أحدا منهم)[5]. وهذا ما قيده رحمه الله في سننه من ألفاظ حديث حذيفة ، وجرى فيه ما جرى على ما في الصحيحين من تصرف بالمعنى والحذف ، وبمقابلة ألفاظ الحديث ما بين نسخة سنن أبي داود ومستدرك الحاكم يتبين الاختلاف في ألفاظ الحديث ، فعند الحاكم عن أبي عوانة بسنده المذكور عند أبي داود وفيه : هل للسيف من بقية ؟ . قال : (نعم) . قلت : ثم ماذا ؟ .

(5) أبو داود (95/4) ، وروى حديثه حميد الطيالسي من غير ذكر : (وجماعة على أقذاء) (ص59) .

قال : (هدنة على دخن) . قال : (جماعة على فرقة [6] فإن كان لله عز وجل يومئذ خليفة ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع وإلا فمت عاضا بجذل شجرة) . قلت : ثم ماذا ؟ . قال : (يخرج الدجال) . وفي رواية حميد عند الطيالسي[7]، لم يذكر (جماعة على أقذاء) كما ذكر أبو داود : (هدنة على دخن ، وجماعة على أقذاء) وفي رواية هشام الدستوائي عن قتادة ذكر بعد السيف قوله : (يكون هدنة على دخن) . قلت : فما يكون بعد الهدنة ؟ . قال : (دعاة الضلالة فإن رأيت يومئذ لله خليفة فالزمه ، فإن لم ترى خليفة فاهرب حتى يدركك الموت) وعند الطيالسي وأبي داود عن أبي التياح كما لفظ الدستوائي[8].

ومن المؤسف حقا ، وهو مما يعد من الأمثلة السيئة على تقصير بعض أهل الحديث ، وتلاعبهم بحديث رسول الله ﷺ ، بحجة الرواية بالمعنى ، أن أبا داود أثبت في سننه لفظ عبدالرزاق عن معمر بعد تحريف قوله في الحديث بعد السيف (نعم ، تكون إمارة على أقذاء وهدنة على دخن) . قلت : ثم ماذا ؟ . قال : (ينشأ دعاة الضلالة ، فإن كان في الأرض يومئذ خليفة) الحديث ومع

---

(6) وهذا نظير ما جرى في سنن أبي داود ، فإن كان هذا في الرواية تفسيرا لمعنى الهدنة على الدخن فلماذا طرح من رواية قتادة قوله : (أمارة على أقذاء) كما هو وارد عند عبدالرزاق ، وذكر تفسير الهدنة . فكيف يجوز هذا التحكم بالحديث طرحا وإضافة .

(7) أبو داود الطيالسي في مسنده (ص 59) ، ورواه الحاكم في المستدرك عن حميد عن ابن قرط وعن أبي عوانة عن قتادة (432/4) .

(8) الطيالسي (ص59) ، وأبو داود (96/4) .

تحريف إمارة [9] إلى بقية ، حذف كذلك تمام الحديث وفي آخره ذِكرُ الدجال ، وهذا كفيل بإفساد الرواية ، وفيه مخالفة لأمر رسول الله ﷺ بأداء الكلام كما سُمِع ، فرب مبلغ أوعى من سامع .

(9) الذي ألجأ بعضهم إلى هذا الصنيع هو اعتقادهم عدم جواز الطعن بالأمراء والتعرض لسيرتهم ، وقد يكون سبب التحريف هذا ، التقية وخوف بطش الولاة إلا أنه لا يجوز تحريف كلام رسول الله ﷺ لا لهذا ولا لذاك ، وأصل الرواية عند عبد الرزاق في مصنفه ، وفيها قوله : (إمارة على أقذاء) ولم يقل بقية ولا جماعة ، ولعله من أجل هذا يقال لعبدالرزاق شيعي ، أما من يطعن في الصديق وعمر وعثمان وعلي ، ويقال لهؤلاء شيعة فلان وفلان ، فلا والله هؤلاء شيعة الشيطان الذين فرقوا الأمة . والحاصل أن من حمل هذه الأحاديث على غير إمارة وإمارات تكون في آخر الزمان خاصة ، فقد إلتبس عليه الأمر ولم يفهم كلام رسول الله ﷺ . وهناك ما هو أفظع من فعل أبي داود في السنن ـ أو شيخه وهو احتمال بعيد ـ وهو ما أقدم عليه أحمد رحمه الله حين كذب حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قوله : (يهلك الناس هذا الحي من قريش) . قالوا : فما تأمرنا ؟ . قال : (لو أن الناس اعتزلوهم) متفق عليه ، قال أحمد لابنه في مرض موته الذي مات فيه : اضرب على هذا الحديث ، فإنه خلاف الأحاديث عن النبي ، يعني قوله : (اسمعوا وأطيعوا واصبروا) وفي كتاب الورع (ص36) ذكر لأحمد هذا الحديث فقال : هو حديث رديء أراه ، هؤلاء المعتزلة يحتجون به ، يعني في ترك حضور الجمعة . ومثله فعله مع حديث ابن مسعود أنكره ، وهو مرفوع إلى رسول الله بسبب قدح هذه الأحاديث في أمراء يكونون بعده . قال أحمد في الحديث : هذا غير محفوظ وهذا الكلام لا يشبه كلام ابن مسعود وابن مسعود يقول : اصبروا حتى تلقوني . وليت أحمد فعل ما فعله ابن عمر حين أنكر رواية ابن مسعود هذه . روى مسلم في الصحيح عن أبي رافع قال : فحدثته ابن عمر فأنكره علي فقدم ابن مسعود فنزل بقناة فاستبقني إليه عبد الله بن عمر يعوده فانطلقت معه فلما جلسنا سألت ابن مسعود عن هذا الحديث فحدثنيه كما حدثته ابن عمر . ورواه ابن حبان فزاد : فلما سمعه من ابن مسعود خرج وهو يقلب كفه وهو يقول : ما كان ابن أم عبد يكذب على رسول الله .وأنكر رد أحمد لحديث ابن مسعود ابن الصلاح والنووي . ومما لا شك فيه أن الأمر كان ملتبسا على أحمد ، ولا زال أثر هذا في مقلدة الحنابلة ، وأدعياء الحديث في زماننا ، وما زالوا وفيهم عقدة ولاة الأمر .ولو علم أحمد وجه الروايتين لعدل عن قوله في الحديثين ما قال . وأما أمر رسول الله ﷺ للأنصار بالصبر عند الأثرة فزمانه أول الإسلام وقيام الدين ، وحديث ابن مسعود وأبي هريرة وقته آخر الزمان عند ذهاب الدين ، ولا تناقض بين كلام رسول الله أبدا ، وإنما التناقض والتضاد ما زال في أدمغة الحنابلة ومدعي الانتساب لأهل الحديث ، وقد حان الوقت لتعديل ذاك الاعوجاج في تلك الأدمغة الجافة عديمة الفطنة ، ورحم الله الإمام أحمد رحمة واسعة ، فقد إلتبس عليه هذا الباب إلتباسا شديدا ، ولم يكن يحمل أحاديث الباب إلا على معتقده في وجوب طاعة ولاة الأمر والتمسك بالجماعة وكان ينفر من مذهب الحسن بن حيي ويعجبه مذهب سفيان ، في حين أن مذهب سفيان في الحقيقة من أعجب وأشد المذاهب في زمان الفتن والاختلاف وهو القائل : لا أقاتل إلا مع نبي ، وإن مر بك ==

والحاصل أن هذا الحديث من أعلام نبوة سيدي وإمامي رسول الله ﷺ ، وقد وقع الأمر على وفق ما أخبر الصادق المصدوق وفي هذا الحديث فوائد جليلة وأنباء عظيمة ، ومداره على خبر : (الهدنة ، والدخن ، والإمارة على

==المهدي فاقعد في بيتك حتى يجتمع الناس !! . ومن المعلوم أن الناس لم يجتمعوا في زمن بني العباس ، وهم في زماننا أشد اختلافا !! . ولما لم يسلم لأحمد مذهب سفيان فهو في المتأخرين أبعد من قرص الشمس ، وحقيقة مذهب سفيان على الضد من مذهب هؤلاء الحدثاء وأشياخهم رؤوس الجهل والضلال ، والتفصيل في هذا الباب يحتاج لمزيد بيان ليس هذا مكانه . ومن أعجب ما وقفت عليه لأحمد في هذا الأمر ما ذكره الخلال في السنة (ص 93) أن أحمد علق على حديث معاذ : (إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاء وفتنة ، ولن تروا من الأئمة إلا غلظة ، ولن تروا أمرا يهولكم ويشتد عليكم إلا حضره بعده ما هو أشد منه ، أكثر أمير وشر تأمير) قال أحمد : اللهم رضينا . وهذه شنيعة كبيرة أسأل الله تعالى أن يغفرها له ، والكلام في الحديث إنما خرج مخرج الخبر عن أمر يكون ، وهو أمر مكروه عند الله ولا يرضاه فكيف يرضى به أحمد لو كان يعي والله تعالى يقول : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) (16 الإسراء) . وقوله : (أكثر أمير وشر تأمير) دال على أن الكلام خرج على سبيل الإخبار عما يكون آخر الزمان من أشراط الساعة ، ذلك لأن كثرة الأمراء من علامات الساعة ، كما فصلت في كتابي هذا وقد روي هذا المعنى عن جماعة من أصحاب رسول الله ، منهم عبد الرحمن الأنصاري رفعه : (من اقتراب الساعة كثرة الأمراء وقلة الأمناء) وعن ابن مسعود : كيف بكم إذا لبستكم فتنة ، يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير ، وتتخذ سنة ، فإن غيرت يوما قيل : هذا منكر . قالوا : ومتى ذلك ؟ قال : إذا قلت أمناؤكم وكثرت أمراؤكم . وعن المنتصر قال حدثنا عبدالله بن عمرو عن غزو الترك للعرب فقلت له : هل بين يدي ذلك علامة ؟ قال : نعم ، أمارة . قلت : وما الأمارة ؟ قال : الأمارة العلامة ، هي إمارة الصبيان ، فإذا رأيت إمارة الصبيان قد طبقت الأرض إعلم أن الذي أحدثك قد جاء . وعن الصديق رضي الله عنه قال : هذه الإمارة التي ترى اليوم يسيرة ، قد أوشكت أن تفشو وتفسد حتى ينالها من ليس لها بأهل . وعن حذيفة رفعه : (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس) . قلت : فكيف أصنع إن أدركت ذلك ؟ . قال : (تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع) وسبق الإشارة لحديث حذيفة هذا وهو حديث عظيم فيما سيكون من الشر في آخر الأمة ، وهذا المذكور هنا من ألفاظه رواه مسلم والبيهقي والحاكم وهو وكل ما سبق ذكره في هذا المعنى موافق لما روى ابن مسعود وأبو هريرة ، وإن ذلك إنما هو في إمارات تكون آخر الزمان على رؤوسها يكون هلاك الناس . والواقف على أحاديث أبي سعيد وكعب بن عجرة وعابس الغفاري يدرك ذلك ولا شك ، وعلى هذا لا وجه لإنكار أحمد لحديث أبي هريرة وابن مسعود ، وما أشبه إنكار أحمد لحديث ابن مسعود بإنكار الحجاج لذلك حتى إن بعضهم سمعه وهو يخطب ويقول : ابن مسعود رأس المنافقين لو أدركته لسقيت الأرض من دمه . ومن أجل ذلك كانت بين بنى أميه وبينه نفرة .

أقذاء ، والفتنة العمياء الصماء ، ودعاة الضلالة ، وخليفة الله ، والاعتزال ، وكذلك الدجال) وكل هذه الأخبار من المؤكد أنها بمجموع الأحاديث تكون آخر الزمان ، ومن ادعى غير ذلك احتاج للبرهان على هذا النفي ، وإلا كان متقولا بغير حق على الله ورسوله ﷺ . ومن الثابت أن خروج الدجال إنما يعقب خروج المهدي وهذا لا ينكره من عرف الأخبار وآمن بصدقها ، وليس من اللائق بالمؤمن أن يقول بتعيين أخبار رسول الله ﷺ إلا بحجة وكذلك لا يقول بالنفي إلا بحجة وبينة ، ومن حجة القول بتعيين ما ورد في هذا الحديث المهيب من أخبار ، خروج الدخن الذي هو الدخان على ما ورد في الحديث وغيره كما سبق ذكره ، والمعنى من الحديث أنه متى كانت هناك فتنة وشر واختلاف ، تتفرق فيه قلوب الناس ويظهر فيه دخان ، وتقع خلال ذلك الهدنة ، ويظهر دعاة الضلالة ، فليعلم عند ذلك المسلم أن هذا ما دل عليه الحديث ، وكل هذا قد حصل ولا ينكر ذلك إلا من أزاغ الله قلبه ، وزيادة على ما قرر فيما سبق أقول بأن الحديث دل على الآتي :

أولاً : قوله أن العصمة من ذلك السيف ، وفي هذا إشارة إلى وقوع الفتنة والهرج التي يعقبها الإمارة على أقذاء وهدنة الدخن . والعصمة بالسيف معناه والله أعلم إن سلم السياق من الحذف والتحريف ، هو إشارة إلى قرب تحقق كف الشر وليس في ذلك إطراءً لسيف الفتنة والاختلاف والهرج ، ألا تراه يقول بعد ذكر السيف ، فإن كان لله خليفة في الأرض ، مما يدل على أن ذكر السيف والعصمة ليس للفتنة والاختلاف . وسيأتي لاحقا الكلام عن هذه الفتنة وبيان كيف أن أول الشر كما في حديث حميد قوله : (فتنة وشر) ثم قال بعد ذلك : (هدنة على دخن) وحديث عبدالرزاق قبل الهدنة السيف ،

أن ذلك عائداً على هذه الفتنة بعينها ، والتعليق على إشكال ورود ذكر السيف قبل الهدنة .

ثانياً : الإمارة على أقذاء والهدنة على الدخن . فأما الإمارة على أقذاء ، فيكفي لبيان حقيقة أمرها ثلاثة أحاديث عن رسول الله ﷺ ، أحدهما صحيح والآخران في أسانيدهما مقال ، إلا أن واقع الحال يشهد بأنهما مما حدث بهما رسول الله ﷺ :

فالأول : حديث ابن عمر في ذكر فتنة الأحلاس والسُّرى وقوله : (ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع ، ثم فتنة الدهيماء) وقد فسر بعضهم هذا الحرف ولم يأتِ بشيء ، ولعل تفسيره للعامة لم يحن بعد ، من أجل أنه مما تقصر عن إدراكه عقول العقلاء فضلا عمن هو محروب في عقله وبصيرته[10]، وهذا الحديث صحيح وقد سبق تخريجه .

والثاني : حديث أبي ذر رواه الطبراني في الأوسط ونعيم بن حماد في الفتن واللفظ له عن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (أنه سيكون رجل من بني أمية أخنس بمصر يلي سلطانا ثم يُنزَع منه فيفر إلى الروم فيأتي بالروم إلى أهل الإسلام فتلك أول الملاحم)[11]. وروى نعيم أيضا في معناه عن عبدالله بن

---

(10) ذكرت تفسيره في ردي على منافق بريدة أبي حصان راجع كتاب (فتح المنان ص131) .

(11) رواه نعيم في كتاب الفتن عن أبي النجم (484/2) ، ورواه من وجه آخر عن أبي ذر (477/2) ، ورواه معنان عن عبد الله بن عمرو (491/2) ، وذكره الهيثمي وقال : رواه في الأوسط ، وأبو النجم لم أعرفه وابن لهيعة فيه ضعف (321/7) . أخرجه السيوطي من طريق الروياني ، وابن عساكر في تاريخه ، في الحاوي (91/2) . ومن==

عمرو . والمصر هنا غير ممتنعة عن الصرف ، وهي تعني أي مصر من الأمصار ، وليس المراد مصر الفراعنة ، ولا يلتفت وهو الراجح عندي لذكر الإسكندرية كما ورد ذلك في هذا الحديث من طريق آخر ، والأقرب أن يكون من قول بعضهم في تأويل الحديث وقد أدرج مع الحديث من تلك الطريق ، وهي مذكورة عند الروياني في مسنده وابن عساكر في تاريخه ، وصنيع نعيم في روايته للحديث في كتاب الفتن يشعر بأن ذلك من الوليد بن مسلم ، فقد روى الحديث عن ابن لهيعة معلقا ومن طريق آخر رواه عن ابن وهب عن ابن لهيعة من غير ذكر الإسكندرية ، وكذلك رواه الطبراني من دون ذكرها ، مع ما علم من حرص نعيم على استقصاء الألفاظ والطرق . وأما قوله في الحديث : (أخنس) فقد نقل إبراهيم الحربي عن الأصمعي قوله : الخنس ، تأخُرُ الأرنبة في الوجه[12] . وكل ظبي أخنس ، وكذلك يقال للثور الأسود الوحشي وهو مشهور به عند العرب ، قال سويد بن كراع العكلي :

كأخنس موشي الأكارع راعه بروضة معروف ليال صوارد[13]

==المعاصرين من ذهب إلى أن المراد بهذا الحديث ما حدث في غزو العراق للكويت ومنهم : مُحَمَّد عارف في كتابه المهدي ، وعد هذه الحادثة من المبشرات بقرب ظهوره وقال : أحدث صدام فتنة الخليج وأظن أنها أول الفتن ، وخاصة إنه تم بعدها مؤتمر السلام بمدريد وهو توطئة لاستقبال أمير السلام الذي يترقبونه عام (2000) . المهدي بينات وعلامات (ص40) . وجزم مُحَمَّد عيسى مستدلاً بهذا الحديث أن هذه الفتنة هي أول الملاحم . احذروا المسيخ (ص151) . .

(12) الغريب للحربي (1040/3) .

(13) كتاب الإختيارين للأخفش (433) .

وقال بشر بن أبي خازم :

كأخنس ناشط باتت عليه بحرة ليلة فيها جهام

فأصبح ناصلا منها ضحيا نصول الدر أسلمه النظام[14]

قال الأخفش : كأخنس ، أي كثور وحش في أنفه خنس ، وهو تطامن الأرنبة . وتفريعا على احتمال صحة الحديث في هذا القرشي ، فالله أعلم هل أراد تشبيهه بالغزال أم بالثور الوحشي الأسود ! .

والحاصل أن الحديث فيه أن هذا الأخنس سواء فهمنا من الحديث تشبيهه بالغزال أو الثور الأسود ، فهو علم وأمارة لهذه الفتنة .

والثالث : حديث ابن عمر ﷺ قال : دعا رسول الله الحكم بن أبي العاص فقال عنه : (إن هذا يخالف كتاب الله وسنة نبيه ، ويخرج من صلبه من فتنته يبلغ دخانها السماء)!![15]. والإمارة على أقذاء التي يكون وجودها عند هدنة الدخن سياق الحديث دال على أنها تقع عند الفتن التي فيها يظهر دعاة الضلالة ، والحديث صريح على أن الهدنة والدخان دليل على تعيين الإمارة والدعاة ، وقد جاء في وصفها أحاديث كثيرة ، وكان يعدها رسول الله ﷺ من أشراط الساعة وأظهر علاماتها .

---

(14) كتاب الإختيارين للأخفش (612) .

(15) قال الهيثمي : رواه الطبراني (245/5) .

وأظهر ما يدل على تحقق هذه العلامة الدالة على قرب قيام الساعة كثرتها، قال ابن مسعود ﷺ : كيف بكم إذا لبستكم فتنة ، ووصف من حالها ، فقالوا : ومتى ذلك ؟ قال : إذا قلت أمناؤكم وكثرت أمراؤكم[16]. وعن عبدالرحمن الأنصاري عن رسول الله ﷺ قال : (من اقتراب الساعة كثرة المطر وكثرة الأمراء وقلة الأمناء)[17].

وهل ينكر عاقل اليوم كثرة المطر والأمراء ، إنه الوحي أيها الأعمى ، إنه الوحي أيها الأعمى . وعن ابن عمرو وكان يحدثهم عن غزو الترك للعرب فقال : إذا رأيتم إمارة الصبيان قد طبقت الأرض اعلموا أن الذي أحدثكم قد جاء[18]. وغير هذا كثير مما روى الصحابة ﷺ وأصحها حديث أبي هريرة قال : سمعت رسول الله يقول : (هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش سفهاء) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي ، وعند نعيم في الفتن : (هلاك أمتي على رأس إمرة أغيلمة من قريش)[19] .

(16) رواه عبد الرزاق في المصنف (359/11) ، والدرامي (64/1) ، وابن وضاح في البدع (34) ، وابن بطة في الإبانة (594/2) .

(17) ذكره الهيثمي وقال : رواه الطبراني (334/7) .

(18) رواه الحاكم (535/4 و460) ، ورواه نعيم في الحلية مختصراً (291/1) .

(19) الفتن (407/1) .

وقد جاء في تعيين وقت هذه الإمارة أنها في آخر الزمان أحاديث منها عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال : (إذا اقترب الزمان كانت إمرة الصبيان)[20].

وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال : (ومن أعلام الساعة وأشراطها ملك الصبيان وظهور المعازف والكبر)[21]. وعن عابس الغفاري وقد عوتب لتمنيه الموت عند الطاعون فقال : أبادر خلالا سمعتهن من رسول الله ﷺ تكون في آخر الزمان يتخوفهن على أمته : (إمارة السفهاء وكثرة الشرط واستخفاف بالدم وقطيعة الرحم ونشو يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليس بأفقههم في الدين ولا بأعلمهم ، وفيهم من هو أفقه منه وأعلم ، يقدمونه يغنيهم غناء)[22]. وهذا الحديث الصحيح جمع بين وصف الإمارة والنشؤ ، كما جمع حديث حذيفة السابق بين ذكر الإمارة وهؤلاء فقال : (ثم ينشأ دعاة الضلالة) وقد نص الحديث على أن ظهورهم يعقب الهدنة ، وهذا دليل على أن وجودهم من أظهر العلامات في تعيين هذه الهدنة ، كما أن الهدنة والإمارة علامة على تعيين هؤلاء الدعاة والناشئة الصغار ، وأيضا يعد حديث حذيفة نص في تعيين زمن المهدي وأن مبعثه يعقب هذه الهدنة والفتنة ، وأن وجوده إنما يكون بين أظهر هؤلاء الدعاة الضلال ، فمتى ما ظهر هؤلاء بعد الهدنة والدخان وأصبح وجودهم ظاهر لا يخفى ، فاعلم أن وجود المهدي قد أصبح

---

(20) ذكره الهيثمي (328/7) .

(21) ذكره الهيثمي (325/7) ، وأشار إليه صاحب الميزان وفيه : (وتكثر الشرط) (258/2) .

(22) ذكره بهذا اللفظ الهيثمي (319/2) ، والحديث رواه الطبراني في الأوسط (393/1) ، وأحمد في المسند ذكره في نهاية الفتن ، قال تفرد به أحمد (27/1) ، وصححه أبو عمر في التمهيد (147/18) ، ولفظ الأوسط : إمرة الصبيان .

حقيقة لا تخفى ، فوجودهم دليل على وجوده[23]، لقوله عليه الصلاة والسلام : (تكون إمارة على أقذاء وهدنة على دخن ثم ينشأ دعاة الضلالة فإن كان لله خليفة فالزمه) .

واعلم أخي المؤمن أن حديث حذيفة لم ينفرد بالجمع بين ذكر هؤلاء الأمراء والدعاة الحدثاء ولا كذلك حديث عابس الغفاري ، بل هناك أكثر من حديث جمع بين ذلك مما يفيد أن المصير واحد محتوم ، فعن معاذ ﷺ قال : يكون في آخر الزمان قراء فسقة وأمراء كذبة . وفي لفظ : وقراء فسقة سمتهم سمة الرهبان وليس لهم دعة ، فيلبسهم الله فتنة غبراء مظلمة يتهوكون فيها تهوك اليهود في الظلم[24].

ومن المعلوم أن الخوارج لهم سمت كذلك ، وقد جاء عن قتادة ما يشعر أن هؤلاء الحدثاء الدعاة هم الخوارج الذين جاء على ذكرهم أكثر من حديث ،

---

(23) وهم أمارة لوقته وعينه ، كما أن الفتنة والدخان والهدنة كل ذلك جعله الله تعالى أمارات في تعيين زمانه ومكانه وعينه . وعلى هذا فكل من يقول وينكر أن هذا هو زمان مبعث المهدي فهو مبطل مفتري على الله ورسوله ﷺ ، وليس القول بأن هذا زمان مبعثه ضلاله ، بل إن منكر ذلك هو الضال المضل الغافل ، يؤيد ذلك ويشهد له اقتران كثرة الزلازل واختلاف الناس ، وهي من أظهر الأمارات على مبعثه ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره ، والواقع يصدق ذلك ويشهد له .

(24) رواه عبد الله بن أحمد بإسناده عن معاذ ، كما في كتاب الزهد لأبيه (ص261) ، وذكره أحمد عن مكحول في كتاب الورع (ص94) ، وذكره الهيثمي في الزوائد عن معاذ مرفوعاً ، وقال : رواه البزار (236/5) . وجاء عن أبي هريرة مرفوعا ما يشهد لحديث معاذ . قال الهيثمي رواه الطبراني في الصغير والأوسط (236/5) . والتهوك : التحير . وأما قوله : دعه . فمأخوذ من السكون ، يقال لمن لا يبالي بما تكلم ، لسانه قليل الدعة . وربما قال : رعه ، من التورع . قال الحسن : ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة . المصنف لعبد الرزاق (364/3) .

روى عبد الرزاق في المصنف عن قتادة قوله قال النبي ﷺ : (سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، وسيأتي قوم يعجبونكم أو تعجبهم أنفسهم يدعون لكتاب الله وليسوا من الله في شيء ، يحسبون أنهم على شيء وليسوا على شيء) قالوا: وما سمتهم ؟ قال : (الحلق والسمت) والسمت يعني لهم سمت وخشوع[25].

وسيأتي قريباً زيادة إيضاح لحديث قتادة هذا ، وبيان أن المراد به الدعاة الذين يخرجون بعد الهدنة . وقد صح عن علي ﷺ فيمن ذكرهم حديث قتادة ، أنهم يخرجون آخر الزمان فقال : سمعت رسول الله يقول : (يخرج قوم آخر الزمان أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)[26]. وقوله في الحديث : (أحداث الأسنان) يفسر ما جاء في حديث عابس

---

(25) ذكره عبد الرزاق في المصنف (154/10) ، والحديث موصول وسيأتي تخريجه قريبا . وقد أشار إليه أبو داود في سننه من طريق قتادة عن أنس رفعه وفيه : (سيماهم التحليق والتسبيد) قال أبو داود : التسبيد استئصال الشعر (244/4) ، ورواه أحمد عن رباح عن معمر من هذا الوجه وفي آخره قوله : التسبيت يعني استئصال الشعر . ورواه عن أبي سعيد مرفوعا وفيه : قيل ما سيماهم قال : (الحلق أو التسبيت) وهذا يدل على أن ما ورد عند عبد الرزاق في هذا الحديث أن سمتهم : (الحلق والسمت) قد تصحفت على هؤلاء إلى التسبيد عند أبي داود ، والتسبيت عند أحمد . ولعل معمر اختلف على قتادة في تجويد هذه الكلمة ، فقد روى عبد الرزاق عنه أنه كان يكره حلق الرأس ويقول هو التسبيت. وما ذكره عبد الرزاق في المصنف عن قتادة مفسراً هو المعتمد . راجع السنة لأحمد (284) ، ومسائل أحمد لابن هانئ (150/2) .

(26) متفق عليه رواه أحمد في المسند والفضائل والسنة ، ورواه النسائي في سننه والخصائص ، وأبو داود في سننه (244/4) ، وأبو يعلى (226/1) ، وغير هؤلاء . وهو من أشهر الأحاديث في الخوارج ، وقد إلتبس على الناس هذا الحديث ولم يفرقوا بينه وبين خبر الذين قاتلهم علي يوم النهروان ، ورسول الله ﷺ أخبر عن هؤلاء وهؤلاء ونص علىأن خروج الحدثاء إنما يكون آخر الزمان . وقوله آخر الزمان على الظاهر والحقيقة ، فلا يصح إدعاء أنهم هم الذين قاتلهم علي مع كون النبي نص على خروجهم آخر الزمان ، هذا لا يستقيم ، وهؤلاء إنما هم خوارج هذا

الغفاري ، وقوله : (ونشوا يتخذون القرآن مزامير) . وما جاء في حديث حذيفة : (ثم ينشأ دعاة الضلالة) قال ابن الأثير : قوله (ونشؤ يتخذون القرآن مزامير) يروى بفتح الشين جمع ناشئ ، يريد جماعة أحداثا . وقال إبراهيم الحربي : والنشأ أحداث الناس قال نصيب :

ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشأ الصغار[27]

ومن الأحاديث التي جمعت ذكر هؤلاء ، ما روي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قوله : (يكون في آخر الزمان أمراء ظلمة وفقهاء كذبة)[28]. وعن عبد الرحمن الأنصاري عن رسول الله ﷺ : (من اقتراب الساعة كثرة القراء وكثرة الأمراء)[29]. وعن حذيفة قلت لرسول الله ﷺ : متى يترك الأمر

الزمان ، الحدثاء السفهاء والصفات المنصوص عليها في الحديث لم يتميز بها الخوارج على علي وإنما هي محققة في خوارج عصرنا هذا ، وها هي محققة بهم كما أخبر رسول الله ﷺ وهي من أظهر صفاتهم ويشهد لبعض ما ورد فيه== ==من صفاتهم عدة أحاديث ، كحديث عابس وأبي سعيد رضي الله عنهما ، وكلها نصت على خروج هؤلاء الأحداث آخر الزمان .

(27) الغريب للحربي (880/2) ، وابن الأثير في النهاية (51/5) .

(28) ذكره الهيثمي (236/5) ، ورواه الطبراني في الصغير (340/1) والأوسط ، وصححه ابن حبان .

(29) ذكره الهيثمي (337/7) ، فانظر أخي المؤمن من حولك الآن هل ترى كثرة القراء ، وانظر حولك أيضاً هل ترى حولك كثرة الأمراء . نعم والله إن الأمر كما أخبر عليه السلام كلهم كثر ، ووجودهم مشاهد لا يخفى ، وإن كان الأمر كما أقول فخذ حذرك فقد وقع الأمر ، وانظر لنفسك واتق الله ، واحذر هؤلاء القراء الفسقة فإنهم أشرار كما أخبر رسول الله لما سأله حذيفة : متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قال : (إذا أصابكم ما أصاب بني إسرائيل ، إذا داهن خياركم فجاركم ، وصار الفقه في شراركم ، وصار الملك في صغاركم ، فعند ذلك تلبسكم فتنة تكرون ويكر عليكم) رواه الطبراني في الأوسط (128/1) سيأتي تخريجه ، وهو حديث مطابق للواقع ودال عليه .

بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قال : (إذا أصابكم ما أصاب بني إسرائيل ، إذا صار الفقه في شراركم ، وصار الملك في صغاركم فعند ذلك تلبسكم فتنة تكرون ويكر عليكم) وعن أنس مثل حديث حذيفة وفيه : (وتحول الملك في صغاركم والفقه في أراذلكم) وعند أحمد : (والعلم في رذالكم)[30].

وعن حذيفة عن رسول الله ﷺ قال : (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس) قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ . قال : (تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ، فاسمع وأطع) وفي لفظ : (تسمع وتطيع للأمير الأعظم)[31]. وهذا من الألفاظ التي وردت عن حذيفة

---

(30) رواه الطبراني في الأوسط (128/1) ، ويشهد له حديث أنس رواه أحمد وابن ماجة وابن عدي في العلل عن مكحول عن أنس (394/2) راجع نهاية الفتن لابن كثير (37) ، وذكره الحافظ في الفتح فقال رواه ابن أبي خيثمة عن مكحول عن أنس (301/13) ، قال ابن عدي يرويه عن مكحول عن أنس حفص بن غيلان ، صدوق لا بأس به . قال أبو حاتم : حديث أنس معلول روي عن مكحول عن كثير بن مرة عن رجل من أصحاب النبي . وقال : هذا أشبه . العلل (412/2) .

(31) رواه مسلم (238/12) ، والبيهقي في السنن (157/8) ، والحاكم (502/4) ، والطبراني في الأوسط (423/3) ولفظه عند الحاكم والطبراني : (تسمع وتطيع للأمير الأعظم) ومن غير هذا الوجه جاء فيه أن هذا== ==الإمام هو (خليفة الله) وفي لفظ (خليفة لله) قال : ويعقبه خروج الدجال ، وهذا لا يصح حمله على غير المهدي المنتظر . وقد حمله بعض الجهال على وجوب طاعة ولاة الأمر، يريد ولاته هو في هذا العصر وهذا باطل من أوجه :

أولاً : الحديث خبر وهو في تعيين المهدي الذي لا يصح وصف غيره بأنه خليفة الله أو لله بحال ، وحمله على غيره لا يجوز ، ومن فعل ذلك فقد جهل وافترى .

ثانيا : نص الحديث على أن هذا الإمام الأعظم إنما يكون بين أئمة لا يهتدون بهدي رسول الله ولا سنته ، ومن استدل بالحديث على طاعة ولاته في هذا الزمان ، احتاج إلى أن ينظر إلى ولاته هل يهتدون بهدي المصطفى ﷺ ويتبعون سنته ، وإلا ثبت أنه مفتري على رسول الله ولا يخاف الله تعالى ، إذ أن حقيقتهم عكس ذلك . وهذه حقيقة

في هذا الحديث العظيم وقد سبق التعليق عليه ، ولا مانع من إعادة ذكر بعض ما ورد فيه من وصف لحال هؤلاء الدعاة الأشرار حتى يعلم المؤمن أن كل هذه الأحاديث إنما وردت فيهم ، ولفظ حديث حذيفة المتفق عليه هو : (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) قلت : صفهم لنا ؟ . قال : (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا) وفي لفظ اليشكري قال بعد الهدنة : (تكون فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار) وجاء عن أبي هريرة في وصف هذه الفتنة التي تعقب الهدنة ويخرج فيها هؤلاء قوله : (تمور مور البحر تنتشر حتى لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته)[32].

هذا المفتري لعنه الله وأمثاله دأبهم توطئة دلالة النصوص لولاة الجور والظلم والردة ، من غير خوف من الله ولا== ==حتى حياء وقد تساهل بعض الأئمة رحمهم الله كأحمد وابن تيمية بالاستدلال على طاعة ولاة الأمر بعدة أحاديث ، ومنها هذا الحديث ، ومرادهم دلالته على الطاعة لولي الأمر ، وهو استدلال في غير محله بخصوص هذا الخبر بعينه ، وأما الاستدلال بوجوب الطاعة للأئمة بالمعروف المستحقين للطاعة فيكون بنصوص أخرى غير هذا الحديث ، لأنه من أحاديث الأخبار ، وهو نص بولاية المهدي ، ولهذا لما قلد هذا الجاهل بالاستدلال بالحديث وأنزله على أئمته هو ، وقع بالمحذور بحمل الحديث على خلاف مراد الرسول عليه الصلاة والسلام .

ثالثا : نص الحديث لا يوجب طاعة الولاة الذين لا يهتدون بهدي النبي ولا يستنون بسنته ، وهذه حقيقة جميع ولاة هذا الزمان ، وما ذب عنهم إلا هؤلاء الذين هم بقلوب شياطين في جثمان إنس ، يفترون على الله ورسوله الكذب من أجل الكسب العاجل ، لعنهم الله وطمس بصائرهم جراء ما يصنعون في دين الله تعالى . والحق أن ولاتهم يستحقون الجهاد للقادر وليس الطاعة كما يدعي هذا المفتري ، وذلك بما ثبت عن ابن مسعود عن رسول الله قال : (يكون أمراء بعدي يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن) وفي لفظ : (يغيرون السنن ويظهرون البدع) رواه مسلم وأبو عوانة وابن بطة وابن حبان وغيرهم . وعن كعب قال رسول الله ﷺ : (أعاذك الله يا كعب من إمرة السفهاء ..) قال : (أمراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون علي حوضي) رواه الحاكم والطبراني وعبد الرزاق وابن حبان . وهذا الأفاك ممن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم هو وزمرته الخبيثة ، ورسول الله بنص الحديث بَرِأَ منهم . وعن معاذ قلت يا رسول الله : إن كان علينا أمراء لا يستنون بسنتك ولا يأخذون بأمرك فما تأمرني بأمرهم ؟ قال : (لا طاعة لمن لم يطع الله) رواه أبو يعلى مطولاً (102/7) .

(32) رواه نعيم في الفتن (56/1) ، وروى مثله عن علي مطولاً (238/1) .

وهذه الفتنة ، والدعاة الذين ينجمون فيها ، من أظهر العلامات الدالة على مبعث المهدي ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وقول الرسول في الحديث : (ثم ينشأ) يريد خروجهم وإقبالهم بالدعوة ، ومع ذلك فالنشأ أحداث الناس . يقال : فتى نشأ ينشأُ نشأً ، فهم ناشؤون من فورهم على الضلالة والزيغ ، لهم روغان كروغان الثعالب ، وقد أشار رسول الله ﷺ إليهم في حديث علي الذي رواه سويد بن غفلة : (سيخرج أقوام في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام) الحديث ، وروي مثله عن ابن مسعود وأبي برزة الأسلمي مرفوعا وفيه : (سيماهم التحليق يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح ، هم شر الخلق والخليقة)[33] ، وفي حديث قتادة الموصول عن أنس عن رسول الله ﷺ قال : (يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء) . قالوا : فما سيماهم ؟ . قال : (التحليق)[34] وذكره عبدالرزاق عن قتادة وفيه تفسير ، قالوا : وما سمتهم ؟ قال : (الحلق والسمت) قال : يعني يحلقون رؤوسهم ، والسمت يعني لهم سمت وخشوع[35]. قال أبو عبيد : والسمت يكون في معنيين ، حسن الهيئة والمنظر في الدين ، وليس من الجمال والزينة ، ولكن يكون له هيئة أهل الخير ومنظرهم ، وأما الوجه الآخر ، فان السمت الطريق[36].

---

(33) روى حديث أبي برزة أبو داود الطيالسي في مسنده (124) ، وروى حديث ابن مسعود أحمد (404/1) ، والترمذي (481/4) ، وابن ماجة في المقدمة (168) ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(34) وصله مُحَمَّد بن غيلان عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس رفعه : (يكون في آخر أمتي قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم) رواه عنه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (284) ، ورواه أبو يعلى عن أنس (337/5) ، ورواه موصولا عن أنس أبو داود في سننه (244/4) باختصار ، وأدخل بعضهم لفظ حديث أنس وأبي سعيد بعضه ببعض .

(35) المصنف (154/10) .

(36) غريب الحديث (384/3) .

قلت : وهؤلاء الدعاة على المعنيين يوافقون الحديث ، فلهم هيئة ومنظر الصالحين في الدين ، من تطبيق السنن الذاتية الظاهرة ، إتباعا لها وأما الطريق والنهج وهو المعنى الثاني فهم أكثر الناس ادعاء أنهم على طريق الرسول ﷺ ، وقول رسول الله في صفة هؤلاء : (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا) . يريد أنهم يتكلمون بالدين والخير ، كما أفاده قوله في حديث علي : (يقولون من خير قول البرية) وقوله في حديث قتادة : (يدعون إلى الله وليسوا من الله في شيء) وفي لفظ : (يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء) وقوله : (من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا) المعنى أن ظاهرهم الصلاح ويتكلمون بالدين ، لا أنهم عرب بالجلد واللسان ، كما فهم البعض ذلك ، ومن ثم صرف دلالة الحديث إلى غير هؤلاء ، بل يريد ظاهرهم وقولهم ، مثل قوله بالحديث الآخر عن ثوبان قوله : (لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون بحسنات أمثال الجبال فيجعلها الله هباءً منثوراً) قالوا : صفهم لنا ؟ قال : (إنهم إخوانكم من جلدتكم ، يأخذون من الليل كما تأخذون)[37].

وأظهر صفات هؤلاء الدعاة حداثة السن ، وقد اتفق على ذكرها فيهم عن رسول الله ﷺ علي وابن مسعود وأبو برزة ، والأخير ذكر في حديثهم زيادة في صفتهم يجدر التنبيه عليها فقال : سمعت رسول الله بأذني ورأيته بعيني أتي بمال فقسمه ، فجاء رجل أسود مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان ، فقال : والله ما عدلت . فقال رسول الله : (لا تجدون أحدا بعدي أعدل عليكم مني) ثم قال : (يخرج في آخر الزمان كأن هذا منهم سيماهم التحليق ، يخرجون

(37) رواه الطبراني في الصغير (237/1) ، ومسند الشاميين (393/1) ، وابن ماجة (4245) .

حتى يخرج آخرهم مع المسيح)[38]. وأفاد هذا الحديث بأن زي الرجل أبيض وهو مجزوز الشعر . وقوله : (كأن هذا منهم) يريد والله تعالى أعلم صفة ملبسه وشعره ، مع ما أخبر أنهم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ، والحق الذي لا مرية فيه عند من هدى الله قلبه أن هذا كله محقق في صفة هؤلاء ، لا يخالفون الحديث فيما وصَف قدر أنملة ، لا في سفاهة العقول وحداثة السن وهي الصفات الفاشية فيهم ، ولا في ملبسهم الأبيض الذي يتميز به سكان الجزيرة على الخصوص ، وكذلك إدامتهم على جز الشعر[39]وحلقه ، فما أكثر مزيني الشعر في زمانهم ، حتى باتت إطالة الشعر مما ينكر عندهم ، فهل بعد هؤلاء قوم يعنيهم الحديث ، وهؤلاء بهذه الصفات فشوا بما لا يخفى من حالهم بعد الهدنة وهذه الفتنة ، ويظهر ذلك بجلاء في أتباعهم من حدثاء الأسنان ، وهم من بعد الفتنة والهدنة ما زالوا بازدياد ، وقد روى طلحة بن عمرو البصري عن رسول الله ﷺ قوله : (وليأتين عليكم زمان يغدا على أحدكم الجفان ويراح ولتلبسن مثل أستار الكعبة) قالوا: يا رسول الله نحن اليوم خير منا أو يومئذ ؟ قال : (أنتم اليوم خير منكم يومئذ يضرب بعضكم رقاب بعض) وفي لفظ : (بل أنتم اليوم خير إخوان ، وإنهم يومئذ يضرب بعضهم رقاب بعض)[40] رواه الحاكم وذكر فيه قول أبي حرب : هل تدري ما كان أستار الكعبة ؟ قلت : لا .

---

(38) رواه أبو داود ، والطيالسي في مسنده (124) .

(39) وقد جاء في بعض ألفاظ الأحاديث في ذكرهم قولهم : يا رسول الله ألهم آية يعرفون بها ؟ قال : (نعم ، التسبيد فيهم فاش) الغريب لأبي عبيد (267/1) ، والأضداد للأنباري (309) .

(40) وحديث ابن عمر وكرز يفيد أن هذا يكون في زمان الفتن ، قال ابن عمر قال رسول الله ﷺ : (الفتنة من ها هنا . وأومأ نحو المشرق . وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض) رواه مسلم وغيره . وعن كرز رفعه : (الفتن تقع كالظلل تعودون فيها أساود صبا ، يضرب بعضكم رقاب بعض) رواه عبد الرزاق وغيره ، وهذا يفيد أن الفتن والهرج إنما يقع في زمن هؤلاء المترفين ، ومن جهة المشرق ! .

قال : ثياب بيض كان يؤتى بها من اليمن[41]. وعن علي عن رسول الله ﷺ قال : (كيف إذا غدا أحدكم في حلة وراح في أخرى وتسترون بيوتكم كما تستر الكعبة ؟) . قلنا : نحن يومئذ خير ، نكفى المؤنة ونتفرغ للعبادة . قال : (أنتم اليوم خير منكم يومئذ)[42] .

وعن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال : (سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ، ويلبسون ألوان الثياب ، ويتشدقون في الكلام ، فأولئك شرار أمتي)[43]. وأرسل الحسن في هذا الباب عن رسول الله ﷺ قوله : (قوم يكونون بعدكم أنتم خير منهم يغدا على أحدهم بجفنة ويراح بجفنة ، ويغدو في حلة ويروح في حلة ، ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ، ويفشو فيهم السمن)[44]. وغير هذا الكثير مما جاء في وصف حال هذا الجيل التعيس ، الذي عظم فيه الكفر بالله والطغيان والنفاق والرياء وكفران النعم .

---

(41) رواه الحاكم (549/4) ، وأحمد في الزهد (33) ، والخطيب في الموضح (498/1) ، وله شاهد من حديث علي رواه الترمذي (645/4) ، وأبو يعلى (387/1) ، وابن إسحاق في السيرة (194) ، وعن الحسن : (ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ويفشو فيهم السمن) أحمد في الورع (189) ، وأبو يعلى (512/11) ، وقد زاد هنا صفة السمن وهي من الظواهر الفاشية في هذا الجيل ، وفي هذا زيادة تدل على أن هؤلاء من يريد النبي بوصفهم بتلك الصفات .

(42) رواه الترمذي (645/4 و 647) ، وأبو يعلى (387/1) ، وابن إسحاق في السيرة (194) .

(43) رواه الطبراني في مسند الشاميين (342/2) والكبير والأوسط من طريق أبي بكر وقد ضعف . وللحديث شواهد كثيرة منها حديث عروة بن رويم وفاطمة بنت حسين وبكر بن سوادة وأبي هريرة وغير هذا .

(44) أحمد في الورع ، وأبو يعلى (512/11) .

وقبل أن تعجب أيها الأعمى من إنزال هذه النصوص على هذا الجيل ، وهو الحق الذي لا مرية فيه ، فاعلم أن مصداق ذلك ليس بيد أحدٍ من دون الله تعالى ، فها هو عز وجل يُظهر عليهم السمانة تصديقا لكلام نبيه ، وقد وصفت منظمة الصحة العالمية السمن في العالم بأنه بلغ درجة الوباء في كثير من البلدان وذكرت المنظمة أن دراسات حديثة تشير إلى أن أكثر من نصف عدد البالغين في كثير من البلدان يعانون من زيادة الوزن والسمنة[45].

وحذرت دراسة مقارنة أعدها معهد التغذية الألماني من تحول الشعب الألماني إلى شعب من البدناء ، وتشير الدراسة إلى أن خُمس الشعب يعانون من السمنة المفرطة في حين يزيد وزن (50%) منهم عن الحد المقبول الذي يقرره السن والطول[46]. وقل مثل ذلك في العرب ، فقد ذكرت دراسة إماراتية حديثة : أن السمنة أصبحت العدو الأول للمرأة في الخليج العربي ، وذكرت الدراسة أن (38%) من نساء الإمارات يعانين من سمنة عالية[47]. وقال أستاذ العلوم الصحية في الكويت مصطفى حيات : أن السمنة مشكلة عامة ! يعاني منها الجميع ! ، وأشار إلى ارتفاع معدلات الإصابة بها ! وتعد من أمراض العصر اهـ[48].

(45) جريدة الوطن العدد الصادر يوم السبت (رقم 36/2106/7660 . تاريخ 1997/6/14).

(46) الشرق الأوسط (1998/3/2. 7034) .

(47) الرأي العام (1997/6/11 .10947) .

(48) الرأي العام (1997/6/14 . 10950) .

وهذا أنقله مصداقاً لتحقق كلام نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، وبيان أن هذا الجيل التعيس الشرير ، عليه من فوره أن يعود إلى الله ويتدبر كلام الله تعالى ورسوله ﷺ ويسترشد بهدي الله ورسوله وإلا بالطامة الكبرى فوق الرؤوس ومن أبى فالبطشة ! له حاضرة .

وأما بخصوص دعاة النار الذين وصفهم رسول الله ﷺ بحداثة السن وسفاهة الحلم ، وأنهم دعاة إلى جهنم ، يدعون إلى الله في الظاهر ويعرفون بالسمت وحلق الرأس ولباسهم الثياب البيض ، فهل جاء بعد الفتنة المشرقية وهذه الهدنة والدخان إلا هؤلاء !! ، ومن قال لا فقد كذَّبَ رسول الله ﷺ وافترى عليه وعلى الحقيقة المحسوسة ، ونفى ما لا ينفى بحال ، وليس للنافي إلا الظن والهواجس ، بل يعد قوله تكذيب صراح .

وهذا القول أعني بتحقق الأحاديث في هؤلاء وبالأخص ما ورد في حديث حذيفة ، هو خير من قول ابن باز في كتابه نقد القومية العربية ، وتأوله الحديث على دعاة القومية العربية والاشتراكية والرأسمالية . قال : حديث حذيفة العظيم الجليل يرشد إلى أن هؤلاء الدعاة اليوم يدعون إلى أنواع من الباطل وكلهم دعاة على أبواب جهنم ، وهذا الحديث من أعلام النبوة ودلائل رسالة مُحَمَّد حيث أخبر بالواقع قبل وقوعه فوقع كما أخبر[49]. وممن قال أيضا

(49) نقد القومية (ص29) ألفه في العام (1381هـ) تنفيراً من التيار القومي ، فقد كان في تلك الفترة خطراً داهماً يهدد الملكية في الجزيرة ، وقد طبع الكتاب بأمر ملك الجزيرة وبنفقة عبد العزيز بن باز ، إلا أن تلك النفقة لم تكن لوجه الله تعالى ، بل كانت لوجه الملك ولهذا طالب شيخه مُحَمَّد بن إبراهيم ، من الخاصة الملكية==

بتحقق تأويل حديث حذيفة في زماننا هذا الألباني : وهذا الحديث جليل عظيم ، لأن فيه تصريحا واضحاً جدا يتعلق بواقع المسلمين اليوم ، حيث أنه ليس لهم جماعة قائمة ! وإمام مبايع ! ، وإنما أحزاب مختلفة اختلافا فكرياً ومنهجياً أيضا . ففي هذا الحديث أن المسلم إذا أدرك مثل هذا الوضع فعليه حينذاك ألا يتحزب وألا يتكتل مع أي جماعة أو مع أي فرقة ، ما دام أنه لا توجد الجماعة التي عليها إمام من المسلمين[50].

وقد تكلم قبل هؤلاء في تأويل حديث حذيفة جماعة من أهل العلم منهم قتادة ، إلا أنه لم يتطرق لذكر دعاة النار مع أنه تأوله على زمان أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه [51]. ومن المتأخرين أحمد الدهلوي قال : ودعاة الضلال في

==بصرف المبلغ المنفق لطبع الكتاب ، وكان مقداره (3057) ريال ، لفضيلة عبد العزيز بن باز من أجل أنه كان فقير إلا أنه كان يجاهد في سبيل رد القومية . ومن حجته عليهم : أنهم يتخذون أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن ، حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام ، وهذا فساد عظيم وكفر مستبين وردة سافرة . قال : وكل دولة لا تحكم بشرع الله ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة ، يجب على أهل الإسلام بغضها ومعاداتها في الله ، وتحرم عليهم مودتها وموالاتها حتى تؤمن بالله وحده وتحكم شريعته . نقد القومية (ص43) . قلت : هذا كان مذهبه في حكم الدول التي تحكم القوانين الوضعية ، وقد أكد اعتقاده هذا في الفتوى التي أصدرها مع مجموعة مشايخ ، منهم الشيخ ابن إبراهيم ، وجاء في تلك الفتوى قولهم : من أعظم المنكرات التحاكم للقوانين الوضعية ، وذلك من أعظم النفاق ، ومن أعظم شعائر الكفر . وجاء في الفتوى : أيها المسلمون عادوا وابغضوا من أعرض عن شريعة الله أو تنقصها أو سهل في التحاكم إلى غيرها اهـ . باختصار . فتوى ابن إبراهيم (256/12) وقد رجع الشيخ عن هذا بعد موت معلمه ابن إبراهيم ، وصار عنده وعند أتباعه اليوم هذا معتقد الخوارج ! من بعد ما كان يوصي به في القديم ويعده المذهب الحق ، وقد صاح به في كتابه نقد القومية لما كان المقام في ذلك الوقت يتطلب تلك المقالة ، أما اليوم فقد احتيج لمقالة تناقض تلك ، وهكذا بات على دين الملوك ، طراراً على أبوابهم من زمن تأليف نقد القومية .

(50) (الدعوة إلى الله) لعلي بن حسن الحلبي (ص 98) .

(51) مصنف عبد الرزاق (343/3).

الحديث هم يزيد بالشام والمختار بالعراق ، ونحو ذلك . ونقل النووي في شرحه أن العلماء قالوا : هؤلاء الدعاة من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة[52]. والصحيح أن الحديث فيما يكون قبل الدجال ، والهدنة والفتنة المذكورة بالحديث كائنة قبله ، وقد دل حديث عوف بن مالك أن الهدنة تسبق الدجال أيضا ، وهذا يشهد لما جاء في حديث حذيفة أن الهدنة والدخن والفتنة ودعاة جهنم مما يقع آخر الزمان ، وبهذا يصح القول بأنه لم يوفق من تأول الحديث على أول الإسلام .

وأما قول ابن باز في الحديث على ما ذكر في نقد القومية قطعاً لا يصح ، فلا وجه لتعيين نشأة هؤلاء بعد الهدنة والفتنة ، ووصفهم بأنهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا وأنهم دعاة ، إلا ما ذكرت ، ويشهد لذلك حديث قتادة وغيره مما نقلت في هذا الفصل وغيره ، في ذكر هؤلاء الدعاة ووصف حالهم ، ثم إن الذين ذكرهم ابن باز لا وجه لتخصيص ذكرهم بعد الهدنة والدخن ، وإنما ظهر الناشئة الصغار هؤلاء وكثر دعاتهم بعد الفتنة والهدنة والدخان ، وأما القومية والاشتراكية ودعاتها فقد حطمت هذه الفتنة دعاتها وجعلتهم أذلة ، وكانت تلك الفتنة نعشهم الذي سمر على مذاهبهم ، والنبي ﷺ ما أخبر بظهور هؤلاء ونشأتهم بعد الفتنة المذكورة إلا للتعريف بحالهم والتحذير من فتنتهم لما قد يلتبس أمرهم على من لا علم له ، فإن أمرهم مما يلتبس على الكثير لدعوتهم لله في ظاهر الأمر ، وظهور سيما الصالحين عليهم ، وأما دعاة القومية والعلمانية ، فمثل هؤلاء لا يلتبس أمرهم إلا على من هو قاصداً تقحم الضلالة

(52) النووي (237/12) ، والإذاعة للقنوجي (60) ، والمقبلي في العلم الشامخ (519) .

أو من هو آية في الجهل والبلادة ، وفي وصف هؤلاء أنهم يكونوا في زمن الأئمة الذين لا يهتدون بهديه وسنته ، أبلغ حجة في أنهم إنما يخرجون في زمان المهدي ، ولهذا أمر بإتباعه إذا أدرك هؤلاء ووجد الخليفة المذكور ، وأما إذا لم يدركه لمانع ، أمره بعدم إتباع هؤلاء ولا هؤلاء ، وأرشده إلى الاعتزال ، وأمره لحذيفة بعدم اتباع هؤلاء ولزوم الخليفة إذا أدركه ، دال على أن هذا الخليفة لا كسائر الخلفاء ، مع إثباته صفة الإمامة لغيره من معاصريه ، وذلك لكون هؤلاء الدعاة إنما يخرجون ويقومون بين ظهراني أئمة وأمراء ، وقوله : (يقوم فيهم) فيه إضافتهم إلى هؤلاء الأئمة واعتبارهم منهم ، والأمر بالطاعة لهذا الخليفة والاعتزال عند عدم وجوده دال على منزلته ومعرفاً بأنه المهدي ، وكيف وقد زاد على هذا بأنه (خليفة الله) وإضافته إلى الله سبحانه إضافة تشريف وتكريم ، ومثل هذا لا يكون في آخر الزمان إلا للمهدي المنتظر ، وقد وردت أحاديث كثيرة في أن خروجه إنما يكون عند الفتن ، وقبل أن أنقلها في ختام هذا الفصل أحب أن أذكر ببعض الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ وأصحابه في صفة دعاة النار هؤلاء زيادة في بيان حالهم حتى يحذرهم الناصح لنفسه ، ويجتنبهم كما أمر بذلك رسول الله ﷺ ، وكذلك أنقل بعض الآثار في الاعتزال مما يشهد لما في حديث حذيفة من الأمر بالاعتزال والفرار من كل الدعوات عند وقوع هذه الفتن ، وأنه لا يتبع إلا (خليفة الله) إذا علم أو ظهر أمره للمسلم بتمكين الله تعالى له في الأرض ، وهذا هو الحق الواجب إتباعه في زمان الفتن ، وكل ما خالف هذا فهو ضلال وجهل .

ومن الأحاديث في صفة هؤلاء ما ذكره عبدالرزاق وابن وضاح عن ابن مسعود قال : عليكم بالعلم قبل قبضه ، وقبضه ذهاب أهله ، وستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم[53].

وسبق وأن بينت أن أوان قبض العلم تقارب الزمان وظهور الفتن وهو هذا الزمان ، وليس هناك من يزعم الدعوة لكتاب الله تعالى إلا هؤلاء الجهال وجمهورهم من الحدثاء السفهاء أخزاهم الله ، وفي الصحيحين عن ابن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون) وعند مسلم : (ويبقى في الناس رؤوساً جهالاً..)[54].

وهؤلاء الرؤوس هم كبار دعاة اليوم أخزاهم الله ، يقولون نحن علماء ورسول الله ﷺ يقول لا علماء في زمان الفتن فمن نصدق ! ، وبمعنى حديث ابن عمرو في قبض العلم بقبض العلماء ، جاء حديث مرداس الأسلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حفالة كحفالة(55) الشعير لا يباليهم الله باله) وفي لفظ آخر : (لا يعبأ الله

---

(53) رواه الدارمي في سننه (54/1) ، وابن وضاح في البدع (25) ، وأبو عمر بيان العلم (193/2) .

(54) الفتح (13 /382) ، والنووي (224/16) ، ورواه الطيالسي (302) ، وعبد الرزاق في المصنف (256/11) ، وأحمد (162/2) ، والترمذي وابن حبان وغيرهم من طرق عدة .

(55) قال البغوي : الحفالة الرذالة ومثلها الحثالة ، والفاء والثاء يتعاقبان كقولهم ثوم وفوم . وقوله : (لا يباليهم الله باله) أي: لا يرفع لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً . شرح السنة (393/14) . وهؤلاء هذه حالهم في الدنيا ،==

بهم شيئا)[56] قال الحافظ ابن حجر : وجدت لهذا الحديث شاهداً من رواية الفزارية امرأة عمر ، بلفظ : (تذهبون الخير فالخير ، حتى لا يبقى منكم إلا حثالة كحثالة التمر ، ينزو بعضهم على بعض نزو المعز) أخرجه أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر وله حكم المرفوع[57].

قلت : ومن شواهده ما رواه أبو الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : (يقبض الله عز وجل العلماء قبضا ويقبض العلم معهم ، فينشأ أحداث ينزو بعضهم على بعض نزو العير على العير ، ويكون الشيخ فيهم مستضعفا)[58]. وهذا فيه تأكيد لصفة الاختلاف والتنازع بينهم ، وهي من آكد الصفات المتحققة فيهم على ما سأفصله لاحقا بحول الله تعالى .

==لا وزن لهم بين الناس ، ورويبضات سفلة أسلموا القيادة في الأمة لأشر خلق الله ، وحجروا عن أنفسهم معالي الأمور ، وما ذلك إلا لأنهم صاروا أسفل خلق الله ، مثقلون بالوهن يكرهون الموت والشهادة . ورحم الله عمر بن عبدالعزيز كان يقول : إذا ذهب هذا وضرباؤه لم يبق من الناس إلا رجاجة . يعني ميمون . ذكره أبو زرعة في تاريخه (249/1) . فكيف لو أدرك هؤلاء فماذا عساه يقول في الناس اليوم ، وفي ذكر هؤلاء جاء عن أبي هريرة مرفوعا : (لتنتقين كما ينتقى التمر من الجفنة فليذهبن خياركم وليبقين شراركم ، حتى لا يبقى إلا من لا يعبأ الله بهم فموتوا إن استطعتم) الحاكم (434/4) وفي هذا الغاية من التنفير عن هؤلاء الحثالة الأشرار .

(56) رواه البخاري في الصحيح كما في فتح الباري (251/11) ، وابن حبان (6813) ، والإمام أحمد (193/4).

(57) الفتح (252/11) .

(58) رواه الطبراني في الأوسط (531/2) ، قال الحافظ : سنده ضعيف ، وذكر مثل لفظ حديث أبي سعيد من غير ذكر الشيخ وهو يشهد لحديث أبي سعيد . وكذلك يشهد لأوله حديث ابن عمرو ومرداس والمستورد بن شداد ، وروي أيضا معنا عن أبي هريرة وعائشة ، واجتماع هذه الأسانيد يرفع عنها الضعف ويدل على أن لتلك الزيادة أصل في الخبر ولا وجه لوضعها على الخدري . راجع الفتح (252/11 و286/13) .

وهذا الحديث الأخير ولو ضعف سنده يشهد له ما سبقه ، إلا الزيادة في ذكر الشيخ الذي ضعف الحديث من أجلها وهي زيادة لا وجه لاستنكارها ، إذ أن النبي ﷺ إنما يكني عن المهدي فيها ، فهو الذي يدرك هؤلاء الأشرار ، ولا قوة إلا بالله الذي هو يعينه عليهم وعلى شرهم ، ولا وجه لذكر هذه الزيادة لو لم تكن من كلام رسول الله ﷺ ، فهل يضع الوضاعون مثل هذا !! ، فما حاجتهم لذلك ، وكذلك لا يُنكَر استضعافه قبل التمكين ، جريا على سنة الأنبياء بالابتلاء بأعداء الله كما كان ابتلاء المسيح عليه السلام بفقهاء اليهود .

وأنا أبشر هؤلاء الحدثاء السفهاء بقرب الذبح حين يقيم الله تعالى الخلافة في الأرض لما ثبت في الصحيحين وغيره عن علي عن رسول الله ﷺ قال : (سيخرج أقوام في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة) وعن أنس رفعه : (فإذا لقيتموهم فاقتلوهم)[59]. وفي لفظ : (يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه ، من قاتلهم كان أولى بالله منهم) وعن أبي برزة رفعه : (فإذا لقيتموهم فاقتلوهم هم شر الخلق والخليقة)[60]. وفي الأمر بقتلهم فائدة عزيزة ، ذلك أنهم مع كونهم خوارج مراق فكيف يأمر بقتلهم وقد ثبت عنه

(59) السنة لعبد الله بن أحمد (284) .

(60) الطيالسي (124) ، وعن ابن مسعود رفعه : (فإن قتلهم عند الله أجر لمن قتلهم) أبو يعلى (278/9) ، وعن علي مرفوعاً : (قتالهم حق على كل مسلم) رواه أحمد وأبو يعلى والنسائي في الخصائص وفي السنة لابن أبي عاصم ، وعن عائشة أنها سمعت رسول الله يقول : (إنهم شرار أمتي ، يقتلهم خيار أمتي) والآجري في الشريعة (34) ، قال الحافظ : رواه البزار وسنده حسن . الفتح (286/12) .

عليه السلام أن آخر الزمان تظهر الفتن ويكثر الهرج ، وقد أمر بالاعتزال وكف اليد واللسان ، وأخبر أن في سنوات الهرج القاتل والمقتول في النار ، وهؤلاء صغار السن ورؤوسهم إنما يكون خروجهم آخر الزمان عند ظهور الفتن[61].

فأقول : هذا الأمر بقتلهم والثناء على مقاتلهم يدل على أنهم يقتلون على يد المهدي ، بل الأمر له في هذا الحديث ، ولا يجوز بحال أن يعتقد بجواز قتل هؤلاء لغير المهدي ، وذلك لأن كل قتل ومقاتلة في سنوات الهرج إثم وباطل منهي عنه حتى يخرج ويمكن له ، عندها يعمل القتل وإنزال العقاب بأعداء الله عقوبة وعذاباً من الله تعالى للظالمين ، كما فعل موسى وداود ومُحَمَّد عليهم السلام بأعداء الله ، وهذا لا ينافي رحمة الله كما قد يفهم الجاهل ذلك ، لكون هؤلاء إنما خرجوا بعد آية الدخان ، وهي من الآيات العشرة المنتظرة التي إن وقع أولها انتفى نفع الإيمان بعدها وانتفى كسب الإيمان ، ما لم يكن ذلك قبلها ، لقوله تعالى :﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا . قل انتظروا إنّا منتظرون ﴾[62]وقوله سبحانه : ﴿ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون .فأعرض

---

(61) قال ابن حجر : وقيل أن أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان . يريد أحاديث النهي عن القتال في الفتن والتشرف لها . حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنما هي في طلب الملك ، وقد وقع في حديث ابن مسعود الذي أشرت إليه : قلت يا رسول الله ومتى ذلك ؟ قال : (أيام الهرج) قلت : ومتى ؟ قال : (حين لا يأمن الرجل جليسه) قال واختار الأوزاعي أن كل قتال بين المسلمين وليس هناك إمام للجماعة فالقتال ممنوع ، وتنزل الأحاديث في المنع على ذلك . الفتح (31/13) .

(62) سورة الأنعام (158) .

عنهم وانتظر إنهم منتظرون﴾[63]وقوله : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله. يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ﴾[64] وغير هذا مما هو منه صريح ومنه محتمل .

وفي هذا المعنى ما رواه مسلم في الصحيح وأحمد في المسند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض)[65]. روي من غير وجه عن وكيع وغيره . وهذا اللفظ المذكور هنا أورده مسلم من غير طريق وكيع. قال ابن كثير : رواه أحمد عن وكيع به ، وعنده : (والدخان)[66]. وعن ابن مسعود قال : التوبة معروضة ما لم يخرج إحدى ثلاث : ما لم تطلع الشمس من مغربها ، أو تخرج الدابة ، أو يخرج يأجوج ومأجوج[67]. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن

---

(63) سورة السجدة (29) .

(64) سورة الأعراف (51) .

(65) رواه مسلم (195/2)شرح النووي ، وأبو يعلى (31/11) والطبري في التفسير (103/8) والترمذي (264/5) قال : حسن صحيح .

(66) تفسير ابن كثير (217/2) .

(67) ذكره في الدر المنثور عن عبد بن حميد والطبراني (111/3) ، قال صاحب الفتح : أسند الطبري عن ابن مسعود أن المراد بالبعض ، يعني قوله تعالى : (يوم يأتي بعض آيات ربك) إحدى ثلاث الشمس أو خروج الدابة أو الدجال . قال الطبري : فيه نظر لأن نزول عيسى يعقب خروج الدجال ، وعيسى لا يقبل إلا الإيمان فانتفى أن يكون بخروج الدجال لا يقبل الإيمان ولا التوبة . قلت : . الحافظ . ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رفعه : (ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل : طلوع الشمس والدجال والدابة) الفتح (353/11) ، وروى البيهقي في الاعتقاد عن ابن مسعود : مضت الآيات غير أربع طلوع الشمس والدجال==

رسول الله ﷺ قال : (بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها أوالدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة)[68]وفيه أيضا من طريق قتادة عن الحسن عن زياد بن رباح عن أبي هريرة إلا أنه فيه بـ(الواو) وليس بـ(أو) وترجح رواية نعيم بن حماد لهذا الحديث عن أبي هريرة ، وقف رواية الشك في أيتهن التي تسبق الأخرى ، والقائل على الصحيح أبو هريرة ومن الجهل رواية الشك على الرفع ، وهو المثبت بالنسخة المطبوعة للفتن قوله : خمسا لا أدري أيتهن أول الآيات ، وأيتهن جاءت لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت في إيمانها خيرا ، طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ،

==والدابة ويأجوج ومأجوج . قال . وبها تختم الأعمال قال ثم قرأ (يوم يأتي بعض آيات ربك) (ص 217) ، ورواه نعيم في الفتن (663/2) .

(68) شرح النووي (87/18) رواه مسلم عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رفعه ، ولا يصح رفعه على الشك ، وإنما الشاك أبو هريرة ، والأجود رفع الحديث من طريق الحسن عن زيادة عن أبي هريرة من غير شك ، هذا هو الصحيح . والحديث رواه أيضا أبو يعلى في المسند (397/11) ، وأحمد (337/2 و372) ، رواه الطيالسي (332) وفي إسناده اختلاف . ومثله عن أنس رواه ابن ماجة (1348/2) ، وفي الكامل (2322/6) ، والداني في الفتن (981/5) . وهذا الحديث دال على أن آية الدخان منتظرة لا كما قال ابن مسعود ، والأمر ظاهر وقد ورد بإسناد مسلم لهذا الحديث ، حديث آخر لأبي هريرة يرفعه فيه الحث على المبادرة بالأعمال أيضا قبل الفتن التي كقطع الليل يصبح فيها الرجل مؤمنا ويمسي كافرا . وقد ثبت عن رسول الله أن هذه الفتن بهذا الوصف إنما تكون آخر الزمان ، وهذا فيه فائدة جليلة تؤيد القول بأن الدخان إنما يكون عند هذه الفتن ، ولا سيما إذا كان هو أول الآيات تحققاً ، وهو ما تقرر تفصيله في هذا الكتاب وأنه هو الدخان الذي أوقد ناره صدام ، وحث رسول الله الناس على المبادرة بالأعمال قبل الفتن ، وهذه الآية تدل على تعلق هذه العلامات والفتن بحكم قبول العمل ونفعه ، وذلك لانعدام نفع العمل عند تحقق الآيات تصريحا ، كما أفاده عدة أحاديث ، وتلميحاً بخصوص الفتن كما أفاده حديث أبي هريرة ﷺ بالحث على المبادرة بالعمل قبل الفتن التي كقطع الليل المظلم . وكذلك يشعر حديث أبي هريرة بتعاصر الفتن والآيات للاشتراك بهذا الحكم وهو نفي الانتفاع بالعمل ، ونص حديث أبي هريرة المرفوع هو : (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم) رواه مسلم وأحمد والترمذي ، وفي الباب عن أنس .

ويأجوج ومأجوج ، والدخان ، والدابة [69]. وكان قتادة يفسر الآية بحديث أبي هريرة : (بادروا بالأعمال ستا)[70]. وكان أبو هريرة ﷺ يقول : موتوا قبل أن تدركوا ما لا يستطيع المحسن أن يزيد إحسانا ولا يستطيع المسيء أن ينزع عن إساءته[71]. وعن ابن عمر ﷺ رفعه مثله وفيه : (وذلك بأن الله تعالى قال : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾)[72].

الحاصل أن هذا الأصل في عدم قبول الإيمان ، وكسب الإيمان والأعمال بعد الآيات هو جار على سنة من سبق من الأمم ، كقوم نوح ومن معه[73]، وموسى ومن معه ، ولقد تأكد هذا الأمر صراحة في حديث عبدالله بن عمر في قوله : (ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة ، فإذا قيل انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، حتى يصير الناس إلى فسطاطين ، فسطاط إيمان لا نفاق فيه ، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده) . ومعنى هذا الحديث اشتمل عليه كذلك حديث حذيفة بقوله : (تكون إمارة على أقذاء وهدنة على

---

(69) نعيم بن حماد في الفتن (653/2) .

(70) أخرجه عبد ابن حميد ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ عن قتادة ، ذكره السيوطي في الدر (110/3) .

(71) المستدرك للحاكم (508/4و552) .

(72) المستدرك للحاكم (508/4) ، ونعيم في الفتن (242/1) .

(73) وهو من لوازم الفتح الذي ورد ذكره في آية السجدة ، الفتح الذي يكون آخر الزمان ، وينتظره اليهود على أحر من الجمر ، وقد ألم بهم من طول انتظاره هوس شديد ، وأخذ مجامع قلوبهم حتى صار حياتهم وموتهم ، ويتأولونه على جميع الخلق ، وخيره خالصاً لهم من دون الناس ، وكانوا يستفتحون به على الكفار ، قال تعالى : (وكانوا يستفتحون على الذين كفروا . فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)(89 البقرة) . وجواب الله لهم في آية السجدة عن هذا الفتح ، بأنه لا يقبل إيمان من آمن بعد كفر ولا إنظاره ، صريح في أن هذا الفتح لم يأتِ بعد ، وهو كائن عند بعث المهدي .

دخن) قلت : ثم ماذا ؟ قال : (ينشأ دعاة الضلالة ، فإن كان لله في الأرض خليفة جلد ظهرك وأخذ مالك فالزمه وإلا فمت وأنت عاض على جذل شجرة) قلت : ثم ماذا ؟ قال : (ثم يخرج الدجال) وفي لفظ عبدالرحمن بن قرط عن حذيفة قال : في الثالثة فتنة واختلاف ثم فتن على أبوابها دعاة النار .

فانقسام الناس إلى فريقين فريق الإسلام والإيمان ، وفريق الكفر والنفاق ، إنما يكون عند هذه الفتنة والهدنة ، وهناك تتمايز الصفوف ، وكل يظهر على حقيقته ، فالكذب يظهر والنفاق كذلك ، حتى يسود كل قبيلة منافقوها ، وحتى القينات والمعازف ، والخمور تظهر وتفشو ، والزنى كذلك ، والواقع يصدق ذلك ويشهد له ، لا بل يجلي المراد بقول رسول الله ﷺ : (يظهر) فهذا الظهور الطاغي لكل شيء مما أخبر عنه عليه السلام آخر الزمان يدل على المراد ، بخلاف الإيمان الصادق الذي عند ذلك على العكس لا يتم له الظهور بعد ، فتجد أهله غرباء طريدي العدالة ! مستضعفون أينما حلت ركابهم ، وعندما يريد الله تعالى نصرة الدين وإظهار الحق المبين ، ينزل أمره وينصر عباده فيكون ذلك التمايز ويكون ذاك الخليفة ، ولهذا لما كان الأمر مما يسبق خروج الدجال نص على ذكره في حديث ابن عمر المشار إليه سابقا وكذلك حديث حذيفة . ولما كان هذا التمايز والتمييز راجع إلى تدبير الله عز وجل وصنع نفسه العظيمة جلت قدرته وعظمت صفاته سبحانه ، أضاف الخليفة إلى نفسه جل وعلا فهو الذي يدبر له الأمر سبحانه ، ويهيئ له ويبسط سبحانه ، ليرى الناس أيهما الحق ، اختياره هو ! ، أم انتخاب المخلوق !! ولهذا لن يكون البيان إلا له ! تقدست أسماءُه وعلت صفاته . قال حذيفة

ﷺ : قال رسول الله ﷺ : (إذا عمت الفتنة ميز الله أولياءه)[74]. وفي لفظ آخر : (يميز الله أولياءه حتى يطهر الأرض من المنافقين) . وعن سعد عن رسول الله ﷺ قال : (طوبى للغرباء إذا فسد الناس ، والذي نفسي بيده ليأرزن الإيمان بين هاذين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها)[75]. وهذا الرجوع إلى المدينة كما قال رسول الله ﷺ لن يكون إلا إذا خرج المهدي ، فبه يعود الإيمان إلى المدينة كما أتاها أول مرة ، يعود كما بدأ[76] مثل ما ذكر أمير المؤمنين على

---

(74) ذكره ابن عدي في الكامل (338/1) عن علي بن معبد عن إسحاق بن أبي يحيى عن الثوري عن منصور عن ربعي . ورواه تاماً الداني في الفتن (282/2) ، وقال في الفتح رواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية (330/9) . قال ابن عدي لا يرويه إلا إسحاق وهو منكر . وقال ابن حبان : إسحاق لا تحل الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار . وضعفه الدار قطني . قلت : لفظ الحديث : (يميز الله أولياءه وأصفياءه حتى يطهر الأرض من المنافقين ، ويتبع الرجل يومئذ خمسون امرأة ، كلهن تقول : يا عبد الله استرني ، يا عبد الله آوني) ولهذا شواهد ، من حديث ابن عمر وأنس ، وأما أوله فيشهد له حديث عمير بن هانئ عن ابن عمر رفعه : (.. ثم فتنة الدهيماء يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا حتى يصير الناس إلى فسطاطين : فسطاط إيمان لا نفاق فيه ، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا كان ذالكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده) ووجه الشاهد من حديث أنس الذي رواه البخاري وغيره قوله : (من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد) وعلى هذا لا وجه لإنكار هذا الحديث لمجرد رواية إسحاق له ، مع أن الحديث روي من وجه آخر عن حذيفة وفيه اختصار رواه أحمد بن حنبل كما نقل ذلك الخلال في السنة (334/1) .

(75) رواه أحمد (184/1) ، وأبو يعلى (99/2) ، وابن مندة في الإيمان رقم (424) . وفي الباب عن غير سعد وهو حديث متواتر فيه أن الإيمان عند غربة الدين يعود للمدينة كما بدأ . وها هو الدين اليوم غريبا ، ولم يبقَ إلا تحقق عودته إلى المدينة كما بدأ أول الأمر ، وهو أمر مرتقب الآن وقريب تحققه بإذن الله تعالى ، وقد عمل بهذا الحديث ابن مسعود ﷺ ، وذلك عندما تمرد الناس بالكوفة ، وبدأ اضطرابهم في زمن عثمان ، خرج إلى المدينة ، فلما أرادوا رده عن رأيه قال : سمعت رسول الله يقول : (يأرز الإسلام إلى المدينة) سأترككم والفتنة وآرز إلى بلدي ومعي ديني ! . . لو عاصره هؤلاء الحدثاء السفلة لقالوا تكفير وهجرة !! . ذكره سيف بن عمر في كتاب الردة والفتوح (ص 81) .

(76) والعود إلى الأمر الأول لا شك أنه سيكون بدعوة المهدي وأمره ، فبه يعود الدين غريبا كما بدأ غريبا وبه يعود الإيمان إلى المدينة كما الأمر الأول ، وتكون الهجرة إلى المدينة كما الهجرة الأولى . وهذا جابر بن عبدالله==

بن أبي طالب قال : ينقص الدين[77] حتى لا يقال : الله الله ، ثم يضرب يعسوب الدين بذنبه ، ثم يبعث الله قوماً قزعاً كقزع الخريف إني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم . رواه الأعمش عن إبراهيم التيمي عن الحارث عن علي ،

==يقول : يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم .. ، ثم ذكر الشام .. ، ثم قال بعد ذلك : قال رسول الله : (يكون آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عددا) وزاد أبو موسى بعد يعده عددا ، ثم قال : (والذي نفسي بيده ليعودن الأمر كما بدأ ليعودن كل إيمان إلى المدينة كما بدأ منها ، حتى يكون كل إيمان بالمدينة) رواه مسلم وأحمد والحاكم . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله : (منعت العراق درهمها وقفيزها .. ، وذكر الشام ، وزاد مصر كذلك) ثم قال : (وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم) والعود هنا يشمل الهجرة والاجتماع على رأس من بعد تفرق واختلاف . كما ورد في حديث أبي واقد الليثي قال : قال رسول الله : (إنها ستكون فتنة) قالوا : فكيف لنا يا رسول الله ؟ وكيف نصنع ؟ قال : (ترجعون إلى أمركم الأول) رواه الطبراني في الكبير (3307) والأوسط ، وله طريق آخر عند الطحاوي في مشكل الآثار (68/4) . قيده في كتابه . أعني تخريج هذا الحديث . التصفية والتربية (ص 8) حدث من هؤلاء وهو من تلاميذ الألباني المُرَاق ، وأصل أن العودة يجب أن تكون لتصفية وتربية شيخه ، والحق لا شك على خلاف ذلك ، بل العودة هي إلى ما ذكر رسول الله ، إلى الإيمان الصحيح الصادق والهجرة والاجتماع بعد الفتنة على الإمام المهدي ، كما جاء ذلك صريحا في مجموع ما نقلت من أخبار ، وكذلك ما روي عن أبي سعيد عن رسول الله : (يأوي إلى المهدي أمته كما يأوي النحل إلى يعسوبها ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورا ، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول ، ولا يوقظ نائماً ولا يهريق دماً) رواه نعيم . وخطب مُحَمَّد بن علي أصحابه فقال : عجلتم بالأمر قبل نزوله وأمر آل مُحَمَّد مستأخر والذي نفس مُحَمَّد بيده ليعودن فيكم كما بدأ . رواه ابن سعد (108/5) ويجمع هذا المعنى حديث الافتراق كما جاء في سنن الترمذي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله : (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة) قالوا : من هي ؟ قال : (من كان على ما أنا عليه وأصحابي) وفي رواية : (الجماعة) ومن حمل هذا على غير المهدي ومن معه فقوله رد ، وهو غير مبني على نور من الله تعالى . والحديث صريح أنه في الافتراق والاختلاف وهو كائن آخر الزمان عند الفتن ، والمهدي يعقب هذه الفتن والفرقة ، وما ترفع عن الأمة إلا به ، ولا تستحق أي جماعة أن توصف بهذا الوصف غير جماعته ، ومن نسب ذلك لغيره فهو كاذب جاهل دعي لابس ثوب زور .

(77) أخرجه الداني بلفظ : (لتملأن الأرض ظلما وجورا ، حتى لا يقول أحد : الله الله ، حتى يضرب الدين بجرانه) الفتن للداني (958/5) ، قال ابن الأثير : الجران باطن العنق ، أي قر قراره واستقام .

وقال وكيع : لم أسمع في المهدي بحديث أصح من حديث الأعمش[78]. وأشار أبو عبيد إلى هذا الحديث وذكر قول الأصمعي : اليعسوب فحل النحل وسيدها[79]. وذكر مثله حذيفة فقال : أو أردتم رد هذه الفتنة ، فإنها مرسلة من الله ترتع في الأرض حتى تطأ خطامها ليس أحد رادها ولا أحد مانعها وليس أحد متروك يقول الله الله إلا قتل ! ، ثم يبعث الله قوماً قزعاً كقزع الخريف[80].

وقد غمز أحد الحدثاء السفهاء بإسناد حديث علي هذا بعنعنة الأعمش وإبراهيم ، والإسناد جيد في هذا الحديث ، وهو محمول على الاتصال . وذكر عبدالله بن أحمد كلام وكيع في هذا الإسناد ولم ينكره ، ويعد هذا من أشد التوثيق لإسناد الحديث ، لا بل قال أحمد في هذا الإسناد ما بالكوفة أجود إسنادا منه[81]، ثم إن إبراهيم رواه عن أبيه كذلك[82]، وللحديث شواهد من غير حديث حذيفة فعن أبي الطفيل عن مُحَمَّد بن علي قال : كنا عند علي ، فسأله رجل عن المهدي فقال : هيهات ، ثم عقد بيده سبعا[83]، فقال : ذاك

---

(78) رواه عبد الله بن أحمد بإسناده إلى وكيع عن الأعمش عن إبراهيم عن الحارث عن علي . كتاب العلل (346/2) ، ورواه أبو عبيد عن أبي النضر عن أبي خيثمة عن الأعمش به . راجع الغريب لأبي عبيد (440/3 و 185/1) ، ورواه نعيم في الفتن عن الأعمش عن إبراهيم عن أبيه عن علي (390/1) ، ورواه عبد الرزاق من غير هذا الوجه باختصار شديد (373/11) .

(79) غريب الحديث (439/3) .

(80) المستدرك (503/4) وفي هذا شاهد لحديث علي وأن خروج المهدي سيكون عند الفتنة .

(81) كتاب العلل لأحمد بن حنبل (304/1) .

(82) رواه نعيم (390/1) ، وعنه ابن وضاح في البدع (77) .

(83) في هذا العقد سر من أسرار الدعوة المهدية ، كما أُسِرَّ له في هذا الجيل بأسماء المنافقين العتاة ، فقد أسر له مفهوم ذلك على إبهام ، وقد كاد الله أن يفصح عن ذلك لولا أنه اختص نفسه بعلم حقيقة ذلك سبحانه علام الغيوب . وله الإشارة بقوله : (..وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) سورة الروم ، وفي قوله تعالى :==

==(إنّا كاشفوا العذاب قليلا ! ..) سورة الدخان . وله أشير في قوله : (. . فإذا جاء وعد الآخرة ليسُئُوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مره وليتبروا ما عملوا تتبيرا) (الإسراء 7) ولم يكن وقوع ذكر الوعد في هذا الموضع من السورة اتفاقا هكذا من غير قصد للمعنى المذكور ، وفي هذا ما يرجح أن ترتيب آيات السور توقيفي . كذلك ليس هو اقتداء من غير معنى ، يعقد علي أصابع يده في خبر المهدي ، كما عقد رسول الله ﷺ يده في خبر المهدي قال أبو الصديق : أتيت أبا سعيد الخدري وهو قاعد في أصل منبر النبي وله حنين ، قلت : ما يبكيك ؟ قال : تذكرت النبي ومقعده على هذا المنبرِ وقوله : (إن من أهل بيتي فتى يلي الأرض وقد ملئت ظلما وجورا فيملؤها قسطا وعدلا ، يعيش هكذا . وأومأ بيده سبعا أو تسعا .) الشك من دون الخدري يقينا . ففي رواية الترمذي أن زيداً الشاك (506/4) . وسيأتي ذكر الرواية من غير شك مفصلة في قبض وبسط أصابع اليدين . والمشكل في الحديث قوله هنا : يعيش . وعند أبي داود : يملك . وهذا كله من تصرف الرواة وزياداتهم المفسدة للمعنى . والحديث رواه أبو داود والحاكم عن القطان عن قتادة عن أبي نضرة عنه ، ولفظ الحاكم : (يعيش هكذا . وبسط يساره وإصبعين من يمينه السبابة والإبهام وعقد ثلاثة .) وذلك عقد على صفة مخصوصة لإرادة عدد معلوم يتنزل منزلة الإشارة المفهمة . والنبي عليه السلام لو أراد الإخبار عن مدة ملكه لذكر ذلك ، فما وجه الإشارة بذلك دون النطق ، والرواية مقتصرة على الإشارة . ولعل من ذكر قول : يملك . فهم ذلك بالمعنى المتبادر إلى ذهنه ، وهو خطأ . وموافقة علي للنبي في عقد الأصابع ، يفيد بأن المقصود هو أخفى من مدة ملكه ، وقد جاء ما يثبت أن المراد ليس هو مدة ملكه ، بل أخص من ذلك ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله : (لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم حتى يرجعوا إلى الحق) قال : قلت : كم يكون ؟ قال : (خمس واثنتين) قلت : وما خمس واثنتين ؟ قال : (لا أدري) والقائل لا ادري أبو هريرة . رواه أبو يعلى (19/12) . وهذا ما يجب أن ينتهي إليه الجميع ومن جزم بأن مدة ملكه سبع سنين فهو قاف ما ليس له به علم ، بل هذا من أسرار الله تعالى : (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً) (الفرقان 6) . ولما كان هذا السر متعلق بالفتح والمهدي ، ولِهَ به يهود حتى جعلوه رمزهم المقدس . المناير السبع الشمعدان الشعائري . وعندهم في دانيال : ويثبت عهدا مع كثيرين في أسبوع واحد . الإصحاح (27/9) وفي مزامير داود كما في عهدهم القديم قوله : سر الرب لخائفيه وعهده لتعليمهم . (14/25) . قال ناقد النبوءات التوراتية م . ريجكسي : رقم سبعة السحري موجود على الدوام لدى الأنبياء القدامى . أنبياء التوارة (ص 274) ومن المتأخرين ممن جزم بأن مدة ملك المهدي سبع سنين ، وبنى على ذلك الفهم السقيم أوابدَ يروج بها لدعوته فيقول : ما أحسب المهدي يقدر . خلال سبع سنين . على أن يحدث من التغيير في العالم أكثر مما أحدث رسول الله خلال ثلاث وعشرين سنة .. وأنه سيظهر وقد تهيأ للعالم الإسلامي وضع صلح فيه أمر الأمة ، وتمت فيه مرحلتا (التصفية والتربية) ولم يبقَ إلا ظهوره ، وقال : وأما بقاؤنا راضين عن أوضاعنا متفاخرين بكثرة عددنا ، متوكلين على فضل ربنا أو خروج المهدي ونزول عيسى .. فذلك محال وضلال !!، لمخالفته لسنة الله الكونية والشرعية . أين!! . . وفي رده على من زعم أن الخلافة لن تعود قبل ظهور المهدي قال : فمن استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي ، وهذه خرافة وضلالة ! ، ألقاها الشيطان==

يخرج في آخر الزمان ، إذا قال الرجل : الله الله قتل ! ، فيجمع الله له قوما قزع كقزع السحاب ، يؤلف الله بين قلوبهم ، لا يستوحشون إلى أحد ، ولا يفرحون بأحد ، يدخل فيهم على عدة أصحاب بدر ، لم يسبقهم الأولون ، ولا يدركهم الآخرون ، وعلى عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر . قال أبو الطفيل : قال لي مُحَمَّد أتريده ؟ . قلت : نعم . قال : فإنه يخرج من بين هاتين الخشبتين قلت : لا جرم والله لا أريمهما حتى أموت . فمات بها . يعني مكة . . رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري ، ووافقه الذهبي[84].

ورواه ابن سعد عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل عن مُحَمَّد باختصار وأنه قال له : إلزم هذا المكان وكن حمامة من حمام الحرم حتى يأتي أمرنا ، فإن أمرنا إذا جاء فليس به خفاء كما ليس بالشمس إذا طلعت خفاء . وما يدريك إن قال لك الناس تأتي من المشرق ويأتي الله بها من المغرب ، وما يدريك إن قال لك

في قلوب كثير من العامة .. والمهدي لن يكون أعظم سعياً من نبينا ظل ثلاثة وعشرين عاما وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام وإقامة دولته ، فماذا عسى أن يفعل المهدي . هو بيطارك ويقطف ! . لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعا وأحزابا ، وعلمائهم إلا القليل منهم أتخذهم الناس رؤوسا . وأنت الذنب . لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ويجمع صفهم ، وهذا يحتاج إلى زمن مديد . لا بل يشتت كلمتهم ويفرق جمعهم الباطل ، فالهدم أسرع . فالشرع والعقل معاً يقضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين ، حتى إذا خرج المهدي ، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر . أي تحصيل حاصل ، إيه خلا لك الجو صفري ونقري . وإن لم يخرج فقد قاموا بواجبهم . أي بالتصفية والتربية . وإن لم يقبلوا تلك التصفية والتربية فما العمل!! اهـ . وهذا كله من الرأي الذي حذر منه رسول الله . وهذا الضال المضل ينسب إلى الأمر بالاعتزال وترك العامة كما أمر رسول الله ، الضلال ، فعليه من الله ما استحق ، ومن أجل هذا كبرت عليه رواية ابن عمرو بلزوم البيوت فعد هذه الزيادة معلولة ، مع ما لها من شواهد عديدة وروايات أخرى تدل بمنطوقها ومفهومها على وجوب الاعتزال عند الفتن وترك العامة وعامة أمورهم . راجع : (السلسلة 38/4 الصحيحة والضعيفة كما ورد في المقدمة ، وكتاب المهدي حقيقة لا خرافة 183) .

(84) المستدرك (554/4) .

الناس تأتي من المغرب ويأتي الله بها من المشرق ، وما يدريك لعلنا سنؤتى بها كما يؤتى بالعروس[85].

ومن شواهده ما رواه نعيم عن علي قال : لا يزال بلاء بني أمية شديد حتى يبعث الله العصب مثل قزع الخريف يأتون من كل ، ولا يستأمرون أميرا ولا مأمورا ، فإذا كان ذلك أذهب الله ملك بني أمية[86]. وحديث علي هذا مع

---

(85) الطبقات لابن سعد (97/5) .

(86) نعيم في الفتن (197/1) ، وروي كذلك عن علي قوله : ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أميه ، ألا إنها فتنة عمياء مظلمة (195/1) . وصح عن حذيفة في الحديث المرفوع حين سأل رسول الله عن الخير والشر بعده أنه قال : (بعد الهدنة : تكون فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار) وعن أبي هريرة رفعه : (ويل للعرب من شر قد اقترب ، من فتنة عمياء صماء بكماء ، القاعد فيها خير من القائم .. ويل للساعي فيها من الله تعالى يوم القيامة) أبو داود (102/4) ، ونعيم (176/1) ، وفي المصنف عن خباب رفعه : (.. الماشي خير من الساعي والساعي في النار) (119/10) وعن أنس بن مرثد رفعه : (ستكون فتنة بكماء صماء عمياء ، والماشي فيها خير من الساعي ، ومن أبى فيمدد عنقه) ذكره الآجري في الشريعة (44) ، وعن أبي هريرة في وصف هذه الفتنة يرفعه : (عمياء مظلمة تمور مور البحر تنتشر حتى لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته) نعيم (56/1) ، وروى الطيالسي (55) عن عمر : إنما أسألك عن الفتنة التي قبل الساعة تموج كموج البحر . وعن عوف يرفعه : (اعدد ستا بين يدي الساعة ..وفتنة لا يبقى من العرب إلا دخلته) رواه البخاري وغيره ، وعند نعيم بلفظ : (وفتنة تكون في أمتي)وعظمها (50/1) وهي بهذا اللفظ عند أحمد والطبراني . وعن سعيد قال : ذكر رسول الله فتنة فعظم أمرها ، فقلنا : لئن أدركتنا هذه لتهلكنا ، فقال رسول الله : (كلا إن بحسبكم القتل) . رواه أبو داود في السنن (105/4) ، وعن أنس رفعه : (ذكر الساعة وإن بين يديها أموراً عظاماً) عبد الرزاق (379/11) ، وابن حبان (470/1) ، وروى الطبراني عن وائل بن حجر قال : حضرت رسول الله وقد رفع رأسه نحو المشرق ثم رد إليه بصره فقال : (أتتكم الفتن تقطع الليل المظلم ، فشدد أمرها وعجله وقبحه !) الصغير (284/2) وعن ابن عمر مرفوعا: (.. ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة ، فإذا قيل انقضت تمادت ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا) الحديث رواه أبو داود وغيره . وعن أبي سعيد رفعه : (..ثم تكون فتنة كلما قيل انقطعت تمادت حتى لا يبقى بيت إلا دخلته ولا مسلم إلا صكته ، حتى يخرج رجل من عترتي) رواه نعيم (58/1) ، وعن أبي الجلد : (.. ثم تكون فتنة فلا يبقى لله محرم إلا استحل ، ثم يجتمع الناس على خيرهم رجلا تأتيه إمارته هنيئا وهو في بيته) المصنف لعبد الرزاق (372/11) . وهذه==

حديث الرجل الذي يطرد من سلطانه ويأتي بالروم ، وحديث الرجل الذي يبلغ دخان فتنته السماء ، يفيد أن لبني أمية ملك في آخر الزمان ، وإذا خرج المهدي أذهب الله سلطانهم . ولقد صح في هذا المعنى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (هلكة أمتي على رؤوس غلمة سفهاء من قريش) متفق عليه وهذا لفظ حديث سماك عن أبي هريرة[87]. وفي الصحيح عن سعيد بن عمرو

==الأحاديث وغيرها دالة على أن الفتن تكون أعظم وأشر في آخر الزمان ، يؤكده ما ورد في صحيح مسلم عن حذيفة يرفعه : (تحدث عن الفتن يعدها منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا) وعلى هذا كما دل حديث ابن عمرو وأبي سعيد وأبي الجلد ، أن هذه الفتن تسبق خروج المهدي وأن من صفاتها أنها سوداء مظلمة وعمياء تمور كموج البحر ، وتستحل فيها المحارم ، وتنتشر حتى تدخل بيت كل عربي ، وتلطم كل مسلم على وجهه . ويدل حديث حذيفة على أنها تكون بعد الهدنة وعن عوف بن مالك أنها كائنة قبل الهدنة ، وفي ظاهر هذا التعيين مخالفة بين الحديثين ، والصحيح انه لا خلاف بين الحديثين في هذا الباب ، فالناظر إلى واقع حال الفتن في زماننا يرى أن منها ما يسبق الهدنة ومنها يأتي بعدها ، ويصح القول في وصف كل منها بالشمول والانتشار ، ودليل ذلك ما ورد في حديث حذيفة كما جاء في صحيح مسلم قوله : (منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا) وقد فصل كما ذكرت ذلك في أكثر من موضع أمر هذه الثلاث حديث ابن عمر وسماها : (بالأحلاس ، والسرى ، والدهيماء) وفي حديث سعيد عند نعيم نص على اسم الأولى ولم يفصل خبر الأخريات مع أنه وصفها بالانتشار حتى تدخل كل بيت ، وفي هذا التفصيل يزول ما قد يتبادر إلى الذهن مما ظاهره التعارض بين الحديثين حديث عوف وحذيفة . وعلى هذا فالمراد بحديث عوف هو فتنة السرى ، فتنة صدام كما سبق تفصيله ، وأما حديث حذيفة فالمراد بها فتنة الدهيماء وهي الفتنة التي تعقب فتنة السرى ، وتكون بعد الهدنة ، وهي كما أسلفت الهدنة التي أُجْبِرَ صدام على الرضوخ لذلها وخزيها .

(87) لفظه في الصحيح : (هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش) وذكر الحافظ عن ابن بطال أن علي بن معبد أخرجه في كتاب الطاعة والمعصية من رواية سماك عن أبي هريرة : (على رؤوس غلمة سفهاء من قريش) الفتح (9/13) ، ورواه عنه بهذا اللفظ نعيم في الفتن (407/1) عن شعبة عن سماك عن مالك بن ظالم عن أبي هريرة . وخالفه عبد الرحمن بن مهدي عن سماك فقال : عبد الله بن ظالم ، رواه أحمد في المسند .== ==قال الرازي هذا وهم من عبد الرحمن ، هو مالك بن ظالم . الضعفاء للرازي (326/2) قال ابن حجر : (قوله هلاك أمتي) المراد بالأمة هنا أهل ذلك العصر ومن قاربهم ، لا جميع الأمة إلى يوم القيامة . قلت : مراد ابن حجر بالعصر ، عصر يزيد وما بعده ، وهو قول فاسد مبني على تأويل فاسد ، فالأمة لم تهلك في ذلك الزمان ولم يحل عليها غضبه سبحانه ، والذي دعاه لهذا القول اعتبار صحة قول من تأول الحديث على زمان يزيد ومن أتى بعده ، وهذا تأويل باطل . والمراد بالهلاك عذاب الله تعالى الذي يحيق بالمجرمين من هذه الأمة ، وهذا لا يكون==

قال أبو هريرة : لو شئت أن أقول بني فلان بني فلان لفعلت . قال سعيد : فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم غلمان أحداثا قال لنا : عسى هؤلاء أن يكونوا منهم ، قلنا : أنت أعلم [88] .

قلت : هذا السائد عند الناس قديما ، أن هؤلاء خرجوا في أول الإسلام ، وأولهم يزيد ، وهو ظن البخاري وجرى على هذا في تبويب كتاب الفتن ، وهذا تأويل فاسد ، وهو تحريف لأخبار رسول الله ﷺ ، بل هؤلاء ولاة آخر الزمان .

وقد وهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى أيضا حين ضرب على هذا الحديث ، من أجل الأمر باعتزال هؤلاء الأئمة ، ظناً منه أن هذا في حق الولاة في أول الإسلام ، ولم يدرِ أن تأويل الحديث على غير ما فهم هو وسائر الناس ، وإنما المراد بالحديث ولاة يكونون آخر الزمان هلاك الأمة على رؤوسهم وبأيديهم ، وأكثر ما جاء في بني أمية في هؤلاء ، ومنها ما نقلته آنفا .

وعن جابر أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة : (أعاذك الله من إمارة السفهاء) قال : وما إمارة السفهاء ؟ قال : (أمراء يكونون بعدي لا يهدون

==تأويله إلا في آخر الزمان على ما أسلفت تفصيله ، ومن حمل الحديث على مثل ما ذكر الحافظ ابن حجر فقد وهم ، وهو صنيع البخاري في كتاب الفتن كما هو ظاهر من ترتيب أبواب الفتن قبل هذا الباب ، والحق في هذا أن خروج الأئمة الحدثاء السفهاء إنما يكون آخر الزمان كما نصت على هذا عدة أحاديث ، منها حديث عابس الغفاري وكعب بن عجرة وغيرها . راجع (99/1) .

(88) الفتح (9/13) .

بهديي ولا يستنون بسنتي ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم ، فأولئك ليسوا مني ولست منهم ، ولا يردون علي حوضي ، ومن لم يصدقهم على كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون علي حوضي)[89]. ومثله عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عمر وحذيفة . قال حذيفة قال رسول الله ﷺ : (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس) قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال : (تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع)[90]. وعن عابس الغفاري وكان تمنى الموت بالطاعون ، فأنكر عليه فقال : إني أبادر خلالا سمعتهن من رسول الله تكون في آخر الزمان يتخوفهن على أمته فيقول : (بادروا بالموت ستا إمرة السفهاء[91]وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافا بالدم وقطيعة الرحم ، ونشو يتخذون القرآن مزامير يقدمونه يغنيهم وإن كان أقل منهم فقها)[92]. وعن أبي

---

(89) رواه عبدالرزاق في المصنف (346/11) ، وابن حبان (440/1) ، والطبراني في الصغير(274/1) ، والحاكم (422/4) ، وغيرهم . والملاحظ هو أن ابن حبان والطبراني قاموا بحذف لفظة سفهاء من الحديث ، وأما عبد الرزاق والحاكم فأثبتوها ، وهذا الصنيع بألفاظ الحديث داخل فيما قررته من قبل بتلاعب بعض المحدثين بألفاظ حديث رسول الله بحجة الرواية بالمعنى وجواز الاختصار والحذف ، وفي هذا كما هو ظاهرٌ إفساد لحديث رسول الله ، فإن إمارة السفهاء من أشراط الساعة ، وحذفها من خبر كعب بن عجرة يفسد المعنى ، وهو على خلاف وصية الرسول في تبليغ الحديث كما سُمِعَ .

(90) سبق تخريجه في حاشية رقم (31) من هذا الفصل .

(91) رواه الطبراني في الأوسط بلفظ : (إمرة الصبيان) وفيه : (ونشو يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليس بأفقههم ، ولا أعلمهم ولا بأفضلهم ، يغنيهم غناء) (393/1) ، وهذه الرواية تفيد أنهم مع كونهم حدثاء فهم سفهاء العقول كذلك ، ومن العجيب أن جمعت هذه الصفات لهؤلاء الولاة ولدعاة الضلالة ،== ==مع كونهم يخرجون في وقت واحد ، ويعد اقتران وجودهم في هذا العصر من أكثر العلامات المؤكدة على تحقق الأحاديث في وقتنا .

(92) سبق تخريجه في حاشية رقم (22) من هذا الفصل .

أمامة رفعه : (سيكون في آخر الزمان شرط ، يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله ، فإياك أن تكون من بطانتهم)[93]. وهذا فيه دليل على أن هذه الخلال إنما تقع في آخر الزمان ، وعن معاذ عن رسول الله ﷺ : (خمس إذا أدركتموهن فإن استطعتم أن تموتوا فموتوا ، إذا تهوون بالدم وبيع الحكم وقطعت الرحم وكثر الشرط واتخذت الأمانة ميراثا)[94]. وأظهر هذه الخلال تحققاً في زماننا كثرة الشرط .

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : (ويل للعرب من شر قد اقترب ، يوشك العرب أن تصبح في شر بين شرين ، إن عصوا قتلوا وإن أطاعوا دخلوا النار) وعنه بلفظ : أعوذ بالله من إمارة الصبيان . قالوا : وما إمارة الصبيان ؟ قال : إن أطعتموهم هلكتم ، وإن عصيتموهم أهلكوكم[95]. موقوف عليه . وفي معجم الطبراني عنه ﷺ قوله : في كيسي هذا حديث لو حدثتكموه لرجتموني ، ثم قال : اللهم لا أبلغن رأس الستين . قالوا : وما رأس الستين ؟ قال : إمارة الصبيان ، وبيع الحكم ، وكثرة الشرط ، والشهادة ، ويتخذون

---

(93) رواه الطبراني في مسند الشاميين (310/1) ، قال ابن حجر : إسناده صحيح . القول المسدد (ص80) .

(94) رواه الطبراني في مسند الشاميين (445/1) ، ورواه الحاكم بلفظ : (أن يظهر التلاعن على المنابر ويعطى مال الله على الكذب والبهتان وسفك الدماء بغير حق وتقطع الأرحام ويصبح العبد لا يدري أضال هو أم مهتد) (423/4) .

(95) لفظه الأول رواه سعيد بن مسلمة عن إسماعيل بن أبي أمية عن سعيد المقبري عن أبي هريرة . قال أبو حاتم منكر . ذكره عبد الرحمن بن مُحَمَّد الرازي في علل الحديث (413/2) ، ورواه ابن أبي شيبة عن سماك عن أبي الربيع عن أبي هريرة بلفظ : (ويل للعرب من شر قد اقترب . إمارة الصبيان . إن أطاعوهم أدخلوهم النار ، وإن عصوهم ضربوا أعناقهم) (245/15) ، وأما لفظه الآخر رواه الداني في الفتن (475/2) .

الأمانة غنيمة ، والصدقة مغرما ، ونشو يتخذون القرآن مزامير . قال حماد : وأظنه قال : والتهاون بالدم [96]. وهذا يشهد لحديث عابس الغفاري ، وما ظنه حماد ذكره عابس في حديثه ، والمراد الهرج الذي يكون آخر الزمان .

وهذه العلامات بمجموعها متحققة في زماننا ، وإنكارها إنكاراً للحقائق والبديهات ، وتحققها آكد شيء على أننا في آخر الزمان ، زمان تحقق تأويل الأخبار ، وذكر عمير بن هانئ عن أبي هريرة قوله : تشبثوا بصدغي معاوية ، اللهم لا تدركني سنة ستين[97]. وعنه مرفوعا : (تعوذوا بالله من رأس السبعين ومن إمارة الصبيان) وقال : (لا تذهب الدنيا حتى تصير للكع بن لكع)[98]، والحديث الأخير المرفوع لا يصح رفعه إلى رسول الله ﷺ ، وهو قول باطل ، إنما ذكره أبو هريرة بتأويل واجتهاد منه ﷺ ومن رفعه أخطأ في ذلك ، وهذه العلامات التي كان يتخوف من إدراكها ، إنما تحققها في زماننا وليس كما كان يظن هو ، وقد كان يفرط في هذا ويتقارب الأمر جداً حتى جاء عنه قوله : وكيف لا أتمنى الموت وأنا أخاف ! أن تدركني ستة : التهاون بالذنب . هذا لعله تصحيف والصحيح الدم . وبيع الحكم ، وتقاطع الأرحام ، وكثرة الشرط ، وفشو الخمر ، ويتخذون القرآن مزامير[99]. وعن أبي عبيد قال : كنت أصب على أبي هريرة من إداوة وهو يتوضأ فمر رجل فقال : أين تريد ؟ قال : السوق ، فقال : إن استطعت أن تشتري الموت من قبل أن ترجع فافعل . ثم قال :

---

(96) الأوسط (236/2) .

(97) رواه أبو زرعة في تاريخه من وجهين (231/1) .

(98) رواه أبو يعلى ، قاله ابن كثير في التاريخ (234/8) ، وقال الهيثمي رواه أحمد والبزار (223/7) .

(99) رواه ابن سعد في الطبقات (337/4) .

لقد خفت الله مما استعجل القدر[100]. وروى عبدالرزاق والحاكم عنه قوله : ويل للعرب من شر قد اقترب ، على رأس الستين تصير الأمانة غنيمة والصدقة غرامة والشهادة بالمعرفة والحكم بالهوى[101]. وعنه : ويل للعرب من شر قد اقترب إمارة الصبيان ، إن أطعتموهم أدخلوكم النار ، وإن عصوهم ضربوا أعناقهم[102]. وكل من اعتقد أن أمر هؤلاء الأمراء الحدثاء السفهاء كائن في أول تاريخ المسلمين ، يعد مقلداً لأبي هريرة .

وقد بقيت مدة متحيراً من تعيين زمن هؤلاء الولاة على رأس الستين أو السبعين ، كما نقل عن أبي هريرة ، وجزمه بذلك ، والزمن تكفل الكشف عن بطلان هذه الفتوى ، وبان أن للأمر مدة ، إلى أن وقفت على طبقات ابن سعد وفيها ما يفيد بأن أبا هريرة حرص على أن يتلقى عن كعب الأحبار ، وكان يقول له : لمثل هذا جئتك[103]. وروى أبو زرعة الرازي في تاريخه عن أبي سلام أنه قال : قدمت بيت المقدس فنزلت على عبادة بن الصامت ، فدخلت المسجد فوجدته وكعبا جالسين ، فسمعت كعبا يقول : إذا كانت سنة ستين فمن كان عزبا فلا يتزوج[104]. فزال عجبي وحسبت أني أدركت العلة . ثم إنه لا يستغرب من أبي هريرة أن يتلقف هذا عن كعب وقد كان يتلهف إلى إدراك

---

(100) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (349/13) ، وابن سعد في طبقاته (337/4) .

(101) عبد الرزاق (373/11) ، والحاكم (483/4) .

(102) سبق تخريجه .

(103) ابن سعد (332/4)، وكان يذاكره في أخبار بني إسرائيل ويحدثه كما ورد في صحيح مسلم النووي (124/18).

(104) التاريخ (374/1) .

عيسى عليه السلام ليحدثه عن رسول الله ﷺ ، فقد كان ﷺ شديد اليقين بقربه من إدراك الساعة ، على عكس هذا الجيل التعيس الذي بالحقيقة هو مدركٌ لقرب الساعة ومع هذا يمرقون من التيقن بقربها ، وكأنهم أُوصوا شرعاً بتمني طول الأمل بالتعمير بالدنيا ، وهذا عجب من حال من ينتمي إلى ادعاء حب الآخرة ولقاء الله تعالى ، وهم منهمكون في حبهم للدنيا والركون إليها .

وللحق أقول هنا أن أبا هريرة لم ينفرد بتعجل قرب وقوع الأمر بل الكثير من الصحابة كان يظن من يقينهم بها رضوان الله عليهم وشدة إيمانهم بقرب وقوع الساعة حتى بلغ الأمر ببعضهم إلى الحد الذي كانوا يعتقدون أن الذي يقتله الدجال هو عمر بن الخطاب ! إلا أن أبا هريرة كان ينص على الستين أو السبعين ، وهذا معتقد راسخ عند اليهود ، وقد تبين أنه اعتقاد كعب الأحبار ، واليهود من هذا الاعتقاد في شك مريب ، فقد جاء في تلمودهم عن ربيهم يوسف قوله : وها قد مرت سابوعات عديدة ولم يأت بعد ![105]. وبهذا يتبين أن دخول هذا القول على أبي هريرة من قبل كعب والله أعلم . وكذلك رفع خبر السبعين عن أبي هريرة لا يجوز ، وذلك لكون التاريخ أبطل هذا الهراء المنسوب إلى رسول الله ﷺ ، ومع هذا حدث الإمام مسلم رحمه الله عن بسر بن سعيد قوله : اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة ، فيحدث عن رسول الله ويحدثنا عن كعب ، ثم يقوم . فأسمع بعض من

(105) التلمود والصهيونية لأسعد رزوق (ص230) .

كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله[106].

الحاصل أن هذه الأخبار التي ذكر بها هذه الصفات حجة في تعيين زماننا أنه آخر الزمان ما يوجب العودة إلى الله وشدة الحرص على الحق فليس بعد هذا الأجل أجلاً آخر ، ويكفي ما ذكر بأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة من التحذير من هذا الزمان ، والأمر بالمبادرة بالموت والأعمال الصالحة وفي هذا أبلغ تخويف وآكد تحذير من شر الفتن الواقعة آخر الزمان ، لما تشتمل عليه من شرور عظيمة لا طاقة للمؤمن في التصدي لها ، بل أمر بالفرار وطلب السلامة على ما مر سابقا من آثار .

ومن أكثر ما أخبر عنه تجليا في عصرنا أمر هؤلاء النشؤ الذين يتخذون القرآن مزامير يغنونه غناء ، ويشربونه كشربهم للماء ولا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين يقبضون الدنيا بالأيدي والنواجذ ! ، ولما كان هؤلاء قد خرجوا في زماننا هذا وعلمت هذه الصفة فيهم وغيرها ، تعين على من يخشى الله أن يصدق خبر رسول الله ﷺ فيهم ، خوفاً من أن يدخل فيمن لا يُصَدِّق رسول الله ﷺ فيما أخبر عنه من علم الغيب ، وقد وقع الأمر في الخارج كما أخبر عليه الصلاة والسلام ، وهذا لو انفردت الأخبار بذكرهم فكيف وقد جاء ذكرهم مع جملة أخبار هي واقعة كما نص على هذا رسول الله ﷺ ، كخبر

---

(106) التمييز للإمام مسلم (ص175)مكتبة الكوثر .

الفتنة والهدنة والدخان ، وغيره مما ورد ذكره عنه عليه السلام وعن الصحابة الكرام .

كما يعد وجود هؤلاء الحدثاء السفهاء من أظهر وأصرح العلامات الدالة على وقت خروج المهدي ، وأنه سيكون مستضعفاً بينهم ، بل إن سائر العلامات المذكورة ، تحققها مجتمعة لهو أدل شيء على تعيين زمان خروجه ، كما نصت الأحاديث على ذلك وآيات الكتاب العزيز ، ولا يغفل عن دلالات هذه البراهين إلا جاهل غافل ، ومن قامت عليه الحجة في بيان وجه هذه الأدلة وما دلت عليه وأصر على عدم الإيمان بها ، فهو مكذب لله ورسوله ﷺ وداخل في جملة من قال الله تعالى فيهم : ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾[107] وقوله : ﴿ أنّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين . ثم تولوا عنه وقالوا معلَّم مجنون ﴾[108] .

وسبق وأن ذكرت أن أظهر صفات هؤلاء الاختلاف فيما بينهم[109] ورد هذا من حديث أبي سعيد[110] ، وامرأة عمر[111] ، إلا أن حديث أبي

---

(107) سورة محمد (18) .

(108) سورة الدخان (13-14) .

(109) قال سليمان بن المغيرة ثنا حميد عن عبدالله بن الصامت عن أبي ذر عن رسول الله : (إنه سيكون من بعدي من أمتي قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق والخليقة) قال سليمان : وأكثر ظني أنه قال : (سيماهم التخالف) طبقات ابن سعد (30/7) .

(110) سبق تخريجه في حاشية رقم (58) من هذا الفصل .

سعيد أُنكرت الزيادة الواردة فيه وهي قوله : (ويكون الشيخ فيهم مستضعفاً) . وكما قلت سابقا لا وجه لذكر الشيخ هنا إلا أن يكون المراد به المهدي فهو الذي يكون بعثه عند حلول الفتن وقبض العلم ، والحديث إنما يخبر عن إدراكه لهؤلاء ، وإني لأعد من أكبر الشواهد لصحة هذه الزيادة في الحديث وجود هؤلاء الحدثاء كما نصت الأخبار على وجودهم بالصفات التي نراها محققة فيهم اليوم ، وهل ينكر بروز هؤلاء في زماننا ، وبالأخص بعد فتنة صدام وانبعاث الدخان ، لقد أصبحوا ظاهرة لا تخفى . يسمونها الصحوة ! زعموا . كذلك من أبرز صفاتهم وصفات رؤوسهم الضالة ، إفتائهم بالرأي وقياسهم الأمور بعقولهم الضعيفة . مثل قول بعضهم وهو يتقحم ما يعد كفراً بالشريعة [لا أترك ذلك لغيري لعلي أصلح !] . وكثر بسبب هذا خلافهم فيما بينهم ، وتناطحوا تناطح الثيران ، ويعد هذا التنازع فيما بينهم من أبرز كذلك علامات تعيين زمن المهدي ، وذلك لإخبار الرسول عليه السلام كما في حديث أبي سعيد عنه قال : (أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل)[112]. واقتران وقوع الزلازل وكثرة الاختلافات في الناس اليوم من أصرح الدلالات على وقته .

---

(111) ذكره ابن حجر من رواية الفزارية إمراة عمر بلفظ : (تذهبون الخير فالخير حتى لا يبقى منكم إلا حثالة كحثالة التمر ينزو بعضهم على بعض نزو المعز) وقال أخرجه أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر له حكم المرفوع . الفتح (252/11) ذكره شاهداً لحديث مرداس الأسلمي . ومما يشهد له أيضا حديث أبي هريرة عن رسول الله : (لتنتقين كما ينتقى التمر من الجفنة فليذهبن خياركم وليبقين شراركم حتى لا يبقى إلا من لا يعبأ الله بهم ، فموتوا إن استطعتم) رواه الحاكم في المستدرك (434/4) .

(112) رواه أحمد في المسند (37/3و52و98) ، قال السلمي وأخرجه البيهقي في البعث والنشور ، وأبو نعيم في صفة المهدي . عقد الدرر (ص 240) . وقال الهيثمي : رواه أبو يعلى والترمذي باختصار . الزوائد (313/7) .

وحتى لا يقال بأنني ممن يفتري عليهم ويقول عنهم ما ليس فيهم ، فإنني أنقل هنا شهادة من لا ترد شهادتهم عند هؤلاء ، وأولهم الألباني وهو رأس فيهم ، قال عن حالهم واختلافهم بعد فتنة صدام (فتنة السرى) : واقع المسلمين قد تجلى في هذا الحديث النبوي الشريف . يريد حديث رسول الله ﷺ : (يوشك أن تداعى عليكم الأمم) . بأقوى مظاهره وأجلى صوره ، في الفتنة العظيمة ! التي ضربت المسلمين ، ففرقت كلمتهم وأوهنت عزمهم ، وشتتت صفوفهم ، ولقد أصاب طرف من هذه الفتنة القاسية جذر قلوب عدد من الدعاة وطلبة العلم ، فانقسموا وللأسف الشديد على أنفسهم فصار بعضهم يتكلم في بعض ، والبعض الآخر ينقد الباقين ويرد عليهم .. وهكذا .. ولقد أثيرت أثناء الفتنة العمياء ! الصماء البكماء ! مسائل شتى اهـ[113].

والعجب أنه اقتبس من حديث رسول الله ﷺ أوصاف الفتنة بعينها التي أخبر رسول الله أنها واقعة في زمن هؤلاء بعينهم وهو لا يدرك هذا ، وهذا من أعجب ما يكون من حال هؤلاء . وأشار تلميذ الألباني المقرب في كتابه التصفية والتربية (ص18) إلى هذه الاختلافات ورجح أن من أسباب ذلك : الخصومة بين الإخوان نتيجة انتصار كل طرف لآراء متضاربة وتحليلات مختلفة . والواقع يشهد .. وليس لها من دون الله كاشفة ! اهـ . وقال في كتيب الرؤية الواقعية : وقد رأيت بأم عيني نذر هذا الحديث في مجالس كثيرة من الشباب ! ومناقشاتهم وكلامهم ، وذلك في زيارتي الأخيرة لبعض مدن جزيرة العرب . وإني وعلى مدار عشر من السنوات كررت فيها الزيارة لهذه البلاد لم ألحظ شيئا من

(113) سؤال وجواب حول فقه الواقع (ص32) .

مقدمات ذلك التحريش ، ولم أرى بوادر تشير إليه أو بوارق تنذر به إلا هذه السنة !! اهـ[114] .

قلت : لأن هذا من مقدمات خروج المهدي وعلاماته ، والأحاديث قد نصت على أن خروجه إنما يعقب هذه الفتنة والهدنة والدخان ، ويكون بين ظهراني هؤلاء الشباب الذين ينزو بعضهم على بعض نزو العير وسبق وأن ذكرت كلام الألباني في حديث حذيفة الذي هو صريح في تعيين زماننا أنه زمان بعث المهدي فقال في الحديث : وهذا الحديث فيه تصريحا واضحاً جداً يتعلق بواقع المسلمين اليوم ، حيث أنه ليس لهم جماعة قائمة وإمام مبايع ، وإنما هم أحزاب مختلفة اختلافاً فكرياً ومنهجيا أيضا اهـ .

ولا يفوتني نقل صرخة أبي زيد المدوية التي أطلقها في الشكوى من هذه النزاعات المعاصرة بين هؤلاء فقال : وفي عصرنا الحاضر يأخذ الدور في هذه الفتنة ! دورته في مسالخ من المنتسبين إلى السنة متلفعين بمرط ينسبونه إلى السلفية ظلماً لها ، فنصبوا أنفسهم لرمي الدعاة بألسنتهم الفاجرة المبنية على الحجج الواهية ، واشتغلوا بضلالة التصنيف اهـ[115] .

---

(114) رؤية واقعية (ص34) .

(115) تصنيف الناس (ص28) .

وقول عبدالرحمن عبدالخالق عن هذا الأمر : وهذا الانشقاق في صف أهل السنة لأول مرة حسبما نعلم يوجد في المنتسبين إليهم من يشاقهم !! ، وجند نفسه لمثافنتهم ، ويتوسد ذراع الهم لإطفاء جذوتهم ... ، فلو رأيتهم مساكين يرثى لحالهم وضياعهم ، وهم يتواثبون ويقفزون ، لأدركت فيهم الخفة والطيش في أحلام طير! . وقال : وقد كان تدميره الأشد (يريد المدخلي[116]) في السلفيين خاصة . لأنهم تربية أمه المرضعة إن أطاعوا رضعوا وإلا النعل حاضرة . فقد فرقهم جماعات وأحزابا وأهواء اهـ[117].

(116) لقد هاجمه المدخلي وضيق عليه كما كان هو من قبل يهاجم ويتسلط على خصومه ، فانقلب الحال عليه عقوبة له من الله تعالى . وجمع المدخلي عليه من كل جهة وأظهر من أقواله ما يعتقد أنها آثام وزلات لا يجوز السكوت عنها حتى عده بسببها من دعاة الضلالة . ومما فات المدخلي أن عبدالرحمن يفتي بالرأي الذي أرداه في المهالك ، من ذلك أنه أفتى بأن تأويل حديث حذيفة في اعتزال دعاة الضلالة عند الفرقة وعدم وجود خليفة لله ليس هذا أوانه ، ولم يكتفِ بذلك النفي حتى قال : ومن حمل هذا الحديث على اختلاف جماعات الدعوة ، فقد أخطأ خطأً عظيماً ، بل ضل ضلالا بعيداً . (الفرقان –15) ومن المعروف أن ابن باز قال بتحقق الحديث هذا في نقد القومية ، إلا أنه تأول أن الدعاة هم دعاة القومية ، وضرب صفحاً عن تأويل باقي الحديث إيماناً ببعضه دون بعض . وأما الألباني فقد جزم بأن الحديث واقع على هذا وجزم بالاعتزال لعدم وجود الجماعة والإمام ، إلا أنه راوغ في تقرير ماهية الاعتزال ، ويعد الألباني على كلام عبدالرحمن ضل ضلالا بعيداً ، ونُقِلَ كلامه للألباني ولم يعجبه . ومن أعظم ما لعبدالرحمن من رأي دعواه أن القرآن ليس فيه مخرج لما وقع فيه أهل الإسلام من تفرق وتشرذم إلى دول وشعوب ونسب إلى كتاب الله تعالى أنه ليس فيه مخرج عملي يخرجهم من هذه الشرور ، ثم لما وقعت فتنة صدام صرح للإذاعة البريطانية بأن المخرج من تفرق المسلمين إلى دويلات تحصرهم بحدودها المصطنعة هو إبقاؤهم على ما هم عليه ،وهذا هو المخرج عنده ، فعاد إلى أن المخرج في عقله ورأيه الذي يراه ، وأما كتاب الله فلا مخرج فيه لأعظم نازلة وقعت بالمسلمين ! ، وهذا الاعتقاد كفر وردة عن الإسلام ، وفي هذا أصرح مثال من هؤلاء يعبر عن صفتهم المذكورة في حديث ابن عمرو المرفوع : (فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون) (شريط مفهوم النقد الذاتي . شريط لقاء خاص مع إذاعة لندن) .

(117) الرد الوجيز (ص54و71) .

وقال غيره : إن من المحزن حقا أن ترى دعاة السلفية وقد تنازعوا أمرهم واشتد الخلاف ! بينهم ويحق لنا أن نتساءل : لمصلحة من تؤجج هذه الفتنة ؟ لمصلحة من يستمر الخلاف ؟! اهـ[118] .

أبداً لا مصلحة لأحد في ذلك ، إلا أن الأمر برمته أوقعه الله تعالى تصديقا لما أخبر رسوله عليه الصلاة والسلام ، من وقوع الخلاف في هؤلاء وغيرهم ، من الأحزاب المتفرقة الكثيرة والجماعات العديدة التي أكثر أتباعها من حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام الذين نجم طالعهم بعد هذه الفتنة والهدنة والدخان والتصالح مع الروم ، وكل هذا تصديقا لأخبار رسول الله ﷺ ، ولن يمكنوا من قطع وإنهاء هذه الخلافات ، لأنه واقع بقدر الله ، وعلامة أجراها في حالهم ليعتبر ويفهم العقلاء ما الذي يجري ، وما حال هؤلاء وما قارنها من علامات هذا الزمان على ما سبق تفصيله وما سيأتي ، إلا برهاناً على أن الخلق يعيشون زماناً قرب التمكين للمهدي المنتظر به ، ألا ترى أيها الأعمى دلالة التواتر والاقتران ظاهرة غير خافية لمن هدى الله بصيرته وأنار قلبه . روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : (أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل)[119]. وهذا من أعجب الأحاديث في وصف الحال في زمانه ، وذلك أن الاختلاف ما زال في الأمة ، والزلازل كذلك ، إلا أن اقتران ذلك مع شدته هو وجه الدلالة وإلا لم يكن أي معنى من تعيين هذه العلامة لوقته ، وهذا ما لم يدركه الكثير من البشر

(118) الأنباء (7237–9يوليو1996) " ثقوب في الثوب الأبيض للحركة السلفية في الكويت 11 " .

(119) سبق تخريجه .

، لا بل لا اعتبار عند هؤلاء لتلك الدلالة ، وهي مرادة من خبره عليه الصلاة والسلام حين بشر الأمة بتعيين وقت خروجه .

والاختلاف بدلالته على تعيين زمان المهدي حاصل من خلاف الدعاة الحدثاء ، ومن أجل ذلك وردت أحاديث بخبرهم على سبيل التعيين فأتت بوصفهم وعلاماتهم المميزة الدالة على تعيينهم على جهة الخصوص من دون سائر الأمة ، وأما من جهة دلالة الاختلاف على العموم ، فمن يستطيع أن ينكر حقيقة مدى الخلاف الواقع في عالم اليوم ، الذي لا نظير له ، من ابتداء انهيار الشيوعية وحرب الخليج الثانية ، التي نصت عليها آيات القرآن كما في سورة الدخان والروم[120]، والكثير من الأحاديث .

وأما بخصوص الزلازل وهي علامة قدرية لا مدخل لإرادة البشر فيها ، وتعد من أدل العلامات على صدق دعوة المهدي ، ولهذا نص عليها رسول الله ﷺ ، يبعث الله تعالى المهدي ثم يتبع ذلك الزلازل ، ليكون ذلك تصديقا له وتنبيها على أن هذا أوان بعثه . وجاء بالعدد رقم (445) شهر (1993/8) من مجلة المسلمون : أنه في اليوم (4و5) من الشهر الثاني لعام (1993) سجلت المراصد في المنطقة حوالي مائة هزة أرضية خفيفة ، ونقلت المجلة عن د . الصباغ من الجمعية العلمية في الأردن قوله : إن الهزات الأرضية التي سجلتها

(102) وهذا هو الصحيح في تفسير آيات سورة الروم . وقوله في الآية : (غلبت الروم . في أدنى الأرض) يريد طرف جزيرة العرب من ناحية الخليج العربي ، والآية نص في تعيين مكان القتال مع الروم . وسيأتي زيادة تقرير في أمر الروم في (158/1) في هذا الجزء من الكتاب وما بعدها .

المراصد الأردنية بشكل تعاقبي لم يسبق أن تم رصدها خلال السنوات العشر الأخيرة ، وأن حدوث هذه الهزات بشكل متعاقب ومكثف ليس من المعتاد حدوثه ، واعتبر أن ما حدث ظاهرة نادرة ! خاصة أن قوة الهزات تقارب بعضها ، وفترة تعاقبها كانت بفاصل زمني غير متباعد ، ووضح أن منطقة وادي الأردن قد يتأثر بمثل هذه الهزات ولكن ليس بالكثافة والتعاقب الذي حدث مؤخرا ! . وذكرت المجلة في مقالتها : أنه رصدت في مصر حوالي ألف هزة أرضية منذ وقوع زلزال القاهرة المدمر في (1992/10/12) اهـ .

وزلزال القاهرة المذكور الذي يعد إعلاناً من الله تعالى على خروج المهدي ، إلا أن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ، فقد جاء وصفه على لسان د. فاروق الباز مدير مركز الاستشعار عن بعد بجامعة هيوستن الأمريكية بأنه : غريب للغاية ، ومفاجأة لجميع علماء العالم لوقوعه في منطقة ثابتة . وأكد عدم وجود أسباب جيولوجية حقيقية لوقوعه وأشار إلى أن سبب الغرابة في وقوع الزلزال ، أن المصدر الأساسي المتوقع لأي زلزال في مصر ، يقع على بعد (400) كيلو متر خارج القاهرة ، في منتصف البحر الميت اهـ[121]. قال تعالى

(121) جريدة الوفد (1992/10/19) عن مجلة السنة لمحمد سرور ، وفيها كتب عبد العزيز الشيخ مقالته عن الزلزال فقال : في مصر زلزال فوق العادة .. ولكن العلمانيين لا يفقهون . أن يقع زلزال في مصر .. فهذا أمر عجيب ، وأن يكون مركز الزلزال في القاهرة ، فهذا شأن غريب ، وأن يكون هذا الزلزال شديداً ومدمراً فهذا شيء رهيب مريب ! . ولكن أن لا يكون هذا الزلزال عبرة للطغاة والغافلين ، فهذا أدعى للغرابة والاستراب والتعجب ا هـ . العدد (26) . قلت : بل إن الإسلاميين أيضا لا يفقهون العبرة منه ولا يعلمون . فهو زلزال لا كسائر الزلازل ولهذا جاء على ذلك النحو ،وحقيقته أنه إعلان عن أمر المهدي وخروج خبره لجزيرة العرب ، وقد تسبب ذلك بالهيجان وعلا نباح الكلاب في كل الأرجاء ، ثم همدت النعرات بعد ذلك إلا أن الزلازل لم تزل تدك أركان المعمورة ، والكوارث تتوالى على الخلق ، وما زالت الناس لا تدرك العبرة من كل هذا .

:﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون . إنّا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾[122][123] . وقال : ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطورا ﴾[124]وهذه الآية لا يكون تأويلها إلا إذا خرج المهدي ، فإن الله تعالى يزلزل ويعذب بين يديه الكثير من القرى ، والحال في العالم الآن شاهدة على تحقق تأويل هذه الآية ، والأمر في هذا لا يخفى وهو واقع اليوم تحت أنظار العالم أجمع مما بلغوه من تطور في وسائل الإعلام ، فالزلازل والأعاصير والفيضانات وأنواع العذاب ، وما هو آتي أعظم وأكبر ، وقد اشتد عذاب الله تعالى على أهل الأرض بعد مبعثه ! ، ومن المشاهد والثابت أن الله سبحانه في كل سنة يشد عليهم عذابه ، وهذه أقاليم أمريكا وأوربا وأفريقيا وآسيا شاهدة على ذلك .

ومن الغرائب عند الطبراني أنه زاد على رواية البخاري في حديث ابن عمر أن رسول الله سأل ربه أن يبارك في الشام واليمن . فقالوا له : وفي نجدنا يا رسول الله . فقال : (هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان)[125]. زاد الطبراني في روايته من طريق نافع عن ابن عمر : فقال رجل : يا رسول الله وفي

---

(122) سورة مريم (39-40) .

(123) عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : (إذ قضي الأمر وهم في غفلة) قال : (في الدنيا) متفق عليه ، وأخرجه أحمد ، والترمذي ، والطبري ، وأبو يعلى (364/2) واللفظ له .

(124) سورة الإسراء (58) .

(125) رواه البخاري ، والترمذي ، وغيرهم .

العراق ومصر . فقال : (هناك يطلع قرن الشيطان وثم الزلازل والفتن !)[126].

ومن الثابت للمتابع هو أن الزلازل أخذت بالتتابع في كل أنحاء الأرض بعد زلزال القاهرة ، حتى إنه وقعت عدة زلازل لأراضي لم تكن تتزلزل من قبل مثل الكويت وقطر على الخليج العربي ! [127]. وأصدر معهد ستراسبورغ الجيولوجي الدولي تقريراً يفيد بأن الأخدود الجيولوجي الأفرو آسيوي استفاق ! بعد سبات عميق ، وصارت الدول الواقعة على خطه مهددة بزلزال قوي[128]. وقالت الأخبار بأن الهزات الأرضية بلغت في مدينة العقبة الأردنية إلى (1400) هزة زلزالية أثارت الذعر لدى المواطنيين الذين باتوا في الشوارع[129]. وتميز زلزال نوفمبر هذا بالشمولية ونقلت أخباره كما يلي : أفاقت عدة دول في الشرق الأوسط صباح أمس على دوي زلزال قوي بدأ في خليج العقبة الأردنية وامتد من لبنان إلى حدود السودان مرورا بسوريا والأردن

(126) رواه في مسند الشاميين (270/2) .

(127) وفي هذه السنوات الأخيرة تزلزلت الكويت عدة مرات وكان الأمر مستغرب جداً ، حتى علل ذلك د . الباز بقوله : إن دولة الكويت آمنة زلزاليا وأن ما يحدث بها من هزات خفيفة نتيجة أمرين ، أولهما ضخ المياه والبترول والغاز من باطن الأرض ، مما يجعلها تهبط ! قليلاً فتحدث هذه الهزات . واعترف د. الباز : بأن الحقبة التي نعيشها الآن تتميز ! بحدوث زلازل كثيرة ! . الوطن الكويتية (1601 /7155–96/1/11) . وفي عصر يوم (96/3/13) زلزلت قطر بعد يوم من إعلانهم دعوة رئيس وزراء إسرائيل لزيارتها . إنها النذر ! . جريدة الحياة (12072–96/3/14) ، والقبس (96/3/14) .

(128) الوطن الكويتية (1995/11/24) .

(129) الشرق الأوسط (6212 – 1995/12/1) .

وإسرائيل والسعودية ومصر[130]. وتتابعت الزلازل بعد ذلك في شهر ديسمبر من العام (1995) وكذلك في شهر فبراير من العام (1996) . وقال د. حنفي دعبس : ما زالت توابع زلزال نوفمبر (1995) مستمرة حتى الآن ! ، مما يدل على عدم الاستقرار الشديد الذي يعاني منه باطن الأرض في هذه المنطقة . وأضاف أن توابع زلزال نوفمبر بلغت (15) ألف هزة أرضية آخرها زلزال أول من أمس[131].

ومما تناقلته وكالات الأنباء عن هذا الزلزال تحذير مدير الجيوفيزياء والخدمات الفنية بكلية المصادر الطبيعية بالمملكة الأردنية د. مُحَّد جرادات ، فقال : سيظل زلزال خليج العقبة الذي ضرب المنطقة العربية في نوفمبر الماضي هو الكابوس الدائم الذي يهدد بتدمير المنطقة . وقال : إن هذا الزلزال كان مفاجأة بكل المقاييس للوسط العلمي !! ، من حيث القوة المدمرة له والفترة الزمنية التي وقع فيها حيث من المعروف أن هذه المنطقة ـ منطقة خليج العقبة ـ تتسم بنشاط زلزالي من نوع العواصف الزلزالية ، أي تكون أعداد الهزات الأرضية كبيرة وتحدث في فترة زمنية قصيرة إلى حد ما ، وقال : لقد تجاوز عدد زلازل أحدث عاصفة زلزالية ضربت المنطقة في عام (1993) أكثر من (300) هزة أرضية وكانت في الغالب تسبق هذه العواصف الزلزالية مؤشرات تؤكد قرب حدوثهما بالمنطقة وفقا لما اعتاد عليه الوسط العلمي من تاريخ المنطقة ، حيث سبق لها أن تعرضت لعواصف زلزالية أعوام (69و83 و93) ، أي بمتوسط كل

(130) القبس (8054– 1416/7/1هـ 1995/11/23) .

(131) الشرق الأوسط (6296–1996/2/27) .

(10سنوات) تقريباً ، إلا أن الفترة بين عاصفة زلزال (93) وعاصفة زلزال (95/11/22) كانت قصيرة جداً علاوة على أنه لم يسبق لها أيت مؤشرات تدل عليها بل كانت مفاجأة في التوقيت ومفاجأة في كونها حدثت دفعه واحدة في أوقات متقاربة ! ، وأن زلزالها الرئيسي بلغ من القوة بالمنطقة ، ما لم يسبق أن صدر منها زلزال بنفس القوة من قبل ، وأعقبها حتى الآن أكثر من (2000) هزة أرضية فوق (3) درجات رختر ، أي هزات محسوسة للبشر ، بخلاف آلاف الهزات غير المحسوسة ولكن تسجلها محطات الرصد ، وهو الأمر الذي يستحق التحذير ! ويدعو للقلق ! ويحتاج إلى التفكير والتباحث ! بشأنه لمعرفة إلى أين تتجه المنطقة .

ويتساءل د. جرادات : ماذا يخبئ لنا اختصار التوقيت الزمني بين كل عاصفة زلزالية وأخرى !! ، وهل ستحدث عواصف زلزالية أخرى في وقت قريب من ذلك ؟ وما هو السر !! في كثرة أعداد الهزات التابعة ؟ ويؤكد لقد سجلت المحطات في أحد الأيام أكثر من (400) هزة متتالية وهي بمثابة عاصفة زلزالية مستقلة ، كيف يحدث ذلك ؟! اهـ[132][133].

(132) تحذير جرادات هذا كان في أواخر الشهر الأول من العام (96) وفي (1416/10/2هـ 96/2/21) وفي ثاني أيام عيد الفطر تزلزلت الأردن ومصر وإسرائيل ، وقبل ذلك في أول أيام العيد تزلزلت تركيا وباكستان .وفي (96/2/26) عادت الزلازل تهز مصر والأردن وإسرائيل وإيران . جريدة الشرق الأوسط (6295 – 96/2/22) والعدد (6294 – 96/2/21) والسياسة (96/2/27) والقبس (96/2/7) .

(133) الشرق الأوسط (6270–1996/1/28) .

وكل هذه الأسئلة تحتاج في رأي الدكتور مُحَمَّد جرادات إلى وضع إجابات لها ، والأمر في الحقيقة لا يحتاج لتفكير عند جرادات لو أن هذا الارصادي علم ما أخبر عنه رسول الله ﷺ في هذا الشأن وآمن لأدرك الحقيقة وعرف الجواب ، وهو أن الله بعث المهدي يقيناً ، فأوجب الله تعالى على الأرض أن تتزلزل لمقدمه كما أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام .

قال د. فاروق الباز : الحقبة التي نعيشها الآن تتميز بحدوث زلازل كثيرة![134]. وهذا يقر به الكثير ممن اختص برصد الزلازل في زماننا ، وإنه لمن المعلوم شرعا أن الزلازل لا تكون كثرتها إلا عند الأيام التي تسبق قيام الساعة ، الأيام التي أخبر رسول الله ﷺ أن فيها يقبض العلم ويتقارب الزمان ويكثر الهرج وتظهر الفتن وهذا الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ حاصل في زماننا هذا ولا ينكر ذلك أو يغفل عن إدراك دلالته إلا من طمس الله بصيرته وتقطعت دون الحق به سبل النفس والهوى والغفلة ، وهذه حال أكثر متديني الحدثاء ورؤوسهم من أشياخ السوء والجهل ، فضلا عن عامة الناس ممن لا تعلق لهم بما أُخبر عن وقوعه آخر الزمان ، والزلازل من الأمور القدرية كما ذكرت لا مدخل لأحد بها من دون الله ، وسبب نقلي في إثبات تحقق وتواتر الزلازل في هذا الوقت ، شهادات من لا علاقة لهم بالمباحث الشرعية ، ليعلم الجاهل مدى ثبوت هذه الحقيقة إلى الحد الذي لا ينكرها ولا يتفطن لها إلا الغافل أمثال هؤلاء الحدثاء وأشياخهم ، وحالهم وكأن النبي ﷺ لم يخبر عن ذلك نعوذ بالله من الجهل والغفلة .

---

(134) الوطن الكويتية (1996/1/11-7155/1601).

وبثبوت هذه العلامة القدرية يعرف أن هذا الوقت الذي تظهر فيه الفتن العظيمة على ما أخبر النبي ، وهو الوقت الذي يخرج فيه المهدي لقول رسول الله ﷺ : (يخرج عند اختلاف وزلازل) ولقوله : (يكون عند انقطاع من الزمان ، وظهور من الفتن رجل يقال له المهدي عطاءُه هينا)[135]ومعنى انقطاع

---

(135) رواه جماعة عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد . واللفظ المنقول عن أبي نعيم في عواليه ، وصفة المهدي كما نقل ذلك السلمي في عقد الدرر (ص131) . ورواه نعيم بن حماد وأحمد بهذا الإسناد ، وفيه : (يقال له السفاح) ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية مثل ما روى نعيم وأحمد ، ولم يذكر السفاح . ورواه أبو يعلى عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد ، ولم يذكر السفاح أيضا ولا المهدي ، إنما قال : (إمام يكون أعطى الناس) ورواه مسلم عن أبي نضرة عن أبي سعيد وجابر بلفظ : (يكون آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده) وقد تكلم بعض المتأخرين في هذا الحديث من أجل ذكر السفاح ، وضعفه مع احتمال أحمد لروايته وإدخالها في مسنده ، وهو يضعف عطية هذا إلا أنه لم يكذبه . والقول بسوء حفظه وتدليسه شيء واتهامه بالكذب أمر آخر . وكل من روى هذا الحديث حمله على الاتصال ، إلا أن بعضهم يجبن عن ذكر السفاح ، كما هو فعل أبي بكر بن أبي شيبة في مصنفه . قال ابن كثير في التاريخ : إسناده على شرط أهل السنن ولم يخرجوه ، وأما السفاح فقد تقدم أنه يكون آخر الزمان ، فيبعد أن يكون هو الذي بويع أول خلفاء بني العباس فقد يكون خليفة آخر وهذا هو الظاهر ، وقد تكون صفة للمهدي الذي يظهر آخر الزمان لكثرة ما يسفح أي يريق من الدماء لإقامة العدل ونشر القسط ، وتكون هذه الرايات السود المذكورة في هذه الأحاديث إن صحت هي التي تكون مع المهدي . وهذا كله تفريع على صحة هذه الأحاديث ، وإلا فلا يخلو سند منها عن كلام اهـ التاريخ (252/6) . قلت : اضطرب كلام ابن كثير في هذه الأحاديث مما يدل على أنها كانت ملتبسة عليه ، فقد جزم في مكان آخر بتأويل هذه الأخبار لبني العباس فقال : حديث الرايات السود التي جاء بها بنو العباس حين استلبوا الملك من أيدي بني أمية ..، وصارت للسفاح المصرح بذكره في حديث رواه أحمد في مسنده اهـ نهاية الفتن (9/1) . وهذه كذبة كبرى انطلت على الأمة غباوة إلى آخر الأمر . وقد ثبت عن ابن عباس قوله : منا المنصور والسفاح والمهدي يرفعها إلى عيسى بن مريم . رواه يعقوب بن سفيان من طريق المنهال عن سعيد عنه .ذكره ابن كثير في التاريخ (251/6) ، ورواه ابن أبي شيبة (513/7) ، والخطيب ونعيم والبيهقي . قال الذهبي إسناده صالح ، ذكره عنه السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص303) . وقال ابن كثير : صح عن ابن عباس ، وفي رواية حتى نسلمها إلى عيسى بن مريم ، وروي مرفوعا ولا يصح ولا وقفه أيضا . التاريخ (124/10) وهذا تحكم منه رحمه الله ، ولا وجه لتضعيف هذا الأثر عن ابن عباس من هذا الوجه لأجل هذه الزيادة . والحديث مروي من غير وجه عن المنهال ، ورواه بهذه الزيادة عن المنهال عبد الملك بن حميد ، رواه نعيم بن حماد ، وتابعه إبراهيم بن أيوب عند يعقوب بن سفيان ، وعبد الملك بن حميد وثقه ابن معين وغيره ، وإنكار ابن كثير لهذه==

الزمان هو تقارب الوقت ، كما بينت قبل قليل ، ويفيد تحقق ذلك ظهور الفتن ، وفي الصحيح أن ظهور الفتن إنما يكون عند تقارب الزمان[136]، وثبوت تحقق الزلازل والفتن ، وهي من جملة البراهين المنقولة لإثبات تعيين زمان المهدي ، الذي يفر من التزام ثبوته مع قيام البرهان على ذلك حدثاء ومشايخ السوء ، فرارهم من الأسد كالحمر المستنفرة ، وما ذلك إلا لسوء الباطن وتعاسة الظاهر ، وإلا ما تفسير هذا النكران لأخبار الرسول ﷺ وادعاء طول بقاء الدنيا وتسلط الباطل .

==الزيادة بسبب ما تأصل عنده أن هذه الأخبار في بني العباس ، وليس الأمر كذلك . وهذه الزيادة بعينها تفضح إدعاء بني العباس وتثبت أنهم أدعياء كذبة ، انتسبوا لهذه الأحاديث وادعوها لأنفسهم وهى ليست فيهم ولهذا انتهى أمرهم ولم يسلموا الأمر إلى عيسى مما يكشف حقيقتهم . ولفظ هذا الحديث يقينا ليس من كذباتهم ، وذلك لأن الكاذب حريص على أن لا يكون قوله للكذب سببا في كشفه ، وليس هناك ما يضطرهم لذكر عيسى عليه السلام . ومن أجل هذا تحرج من هذه الرواية ابن كثير وادعى ضعفها من هذا الوجه ، وهذا محض تحكم بالأخبار من غير دليل . وهؤلاء الأدعياء الكذبة هم أحقر من أن ينص على ذكرهم ويزكى أمرهم عليه الصلاة والسلام ، بل أجمل في ذكرهم ذماً وتحقيراً ، ففي حديث جابر بن سمرة عن رسول الله أنه قال : (لا يزال هذا الدين عزيزا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش) زاد أحمد وأبو داود في روايتهم من وجه آخر عن جابر : فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا : ثم يكون ماذا ؟ قال : (ثم يكون الهرج !) وقد وقع تأويل هذا الخبر كما نص على هذا عليه الصلاة والسلام فكان الهرج على يد بني العباس أشد على الأمة . وكذلك صح عن ابن مسعود عن رسول الله قوله : (فإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما !) وعن ابن مسعود : (إذا كانت سبعين رأيتم ما تنكرون) رواه عبد الرزاق (375/11) يريد الهرج . وكان في زمانهم الهرج والبلاء ، وطلب الأوزاعي في أول دولتهم وقيل له : ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة ؟ فقال : الأعمال بالنيات . وقيل له : ودماء بني أمية ما تقول فيها ؟ قال : لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث . وطلب للقضاء فامتنع . ذكره ابن كثير في التاريخ . وهذه سيرتهم كلها قتل وسلب وتزييف وكذب ، وكل هذه الأخبار تدل على سوء دولتهم ، وليس فيها مدح وثناء ، بل ذم وازدراء . ومن تاريخ استيلائهم والأمة ما زالت يزيف تاريخها ويذل دينها ، ولم== ==يخلف مهديهم عيسى ، بل خلفه الهادي والمهتدي ، هكذا يتسمون تماديا بالكذب والباطل ، وكلهم ضلال في تلك الدولة أدعياء فجرة . وهل الكذب على رسول الله ﷺ إلا مفتاح الشر .

(136) راجع (40/1) وما بعدها .

الحاصل أنه لا يقبل بعد ثبوت ما ذكرته مجرد الادعاء بالنفي ، كما هو مقرر عند أهل العلم في طلب البراهين ، فكما من المثبت يطلب البرهان كذلك من النافي ، وهيهات أن يتحصل ذلك ممن ينفي وينكر الحقائق .

بوب البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الفتن من الصحيح ، فقال باب : ظهور الفتن . وروى فيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج) . وعن عبدالله وأبي موسى مرفوعاً : (إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر الهرج) وفي الباب روى عن ابن مسعود قال : (بين يدي الساعة أيام الهرج ، يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل)[137]. وفي أول الصحيح ذكر عن أبي هريرة بأتم من هذا اللفظ وفيه : (لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج)[138].

سبق وأن أشرت إلى اختيار ابن باز في تعليقه على الحديث ، وأن معنى تقارب الزمان هو الحاصل في عصرنا من تطور المواصلات وغيره وقد مال إلى هذا التأويل الشيخ التويجري عليه رحمة الله ، وقولهما هو الحق إن شاء الله ، لما روى الطبراني عن رسول الله ﷺ في هذا المعنى قوله : (يتقارب الزمان وتنقض عراه ويكثر الهرج)[139]. وقوله لابن مسعود : (من أعلام الساعة وأشراطها

---

(137) الفتح (13/13و14) ، وروى هذه الأحاديث مسلم في كتاب العلم (222/16) شرح النووي .

(138) الفتح (522/2) ، ورواه مطولاً كذلك في (81/13) .

(139) ذكره الهيثمي (327/7) .

أن تواصل الأطباق وملك الصبيان وظهور المعازف)[140]. وهذا بين في زماننا لا يخفى يسافر المرء بساعات ما كان يقضى بأشهر فيما سلف من الأزمان ، وبهذا يصح القول بأن الزمن انتقضت عراه . وأما قوله بتواصل الأطباق فهذا أبين من أن يبين ، وهذا مما لم يقع أبداً إلا في عصرنا ، بعد اختراق الفضاء الخارجي وتجاوز ما يسمى الغلاف الجوي ، فتم الاتصال بين بني آدم من خارج الغلاف الجوي ، والأمر كما قلت أظهر من أن يبين لولا الابتلاء بهؤلاء وقد وردت الإشارة لهذا الأمر في كتاب الله سبحانه في أكثر من موضع كقوله : ﴿ لتركبن طبقا عن طبق . فمالهم لا يؤمنون ﴾[141] وهذا خطاب توجه لهذا الجيل الملعون قرن الشيطان ، ألا ترى كيف توعدهم الله جل وعلا بقوله : ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾[142]وهذا يعود إلى هذا الجيل ، فهو الذي بلغ بعضهم فيه السماء ، فتوعدهم الله بحلول العذاب ، لرد الإيمان واقتراف الكفران والعناد والتكذيب مع ما فتح الله لهم من العلم ما لم يفتح على سواهم من البشر .

وقل لي أين كفار قريش ومن قبلهم من ركوب الطباق ، ومما نراه اليوم في زماننا ، إنه هذا القرن أيها الأعمى . وكذلك أشار الله تعالى إلى هذا الصعود بقوله : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يرسل

(140) ذكره الهيثمي (325/7) وقال : رواه الطبراني وفيه سيف وهو ضعيف . وذكره الذهبي عن ابن النجار في ترجمة سيف ، وبين أن السائل الحسن البصري (258/2) .

(141) سورة الانشقاق (19–20) .

(142) سورة الانشقاق (4) .

عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾[143] والسلطان هنا العلم[144] والمعنى أنه متى ما كان منكم النفاذ كان منا لكم الإهلاك ، وهذا خبر حق وهو كائن لا شك في ذلك ، وقد صرح به عند أهل الكتاب ، وليست تجهيزات حرب النجوم عنا ببعيدة !. وسيأتي الكلام عن هذا في الفصل الأخير إن شاء الله تعالى .

وأصرح ما في كتاب الله تعالى وعيداً في هذا الباب هو قوله : ﴿ أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب . جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب . كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد . وثمود وقوم لوط وأصحاب لئيكة أولئك الأحزاب . إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب . وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق ﴾[145] وهذا الوعيد بالصيحة حق ، وهي واقعة وواجبة على أهلها ، وأنهم معذبون كما الأمم التي سبقتهم ، ومما يثبت أن هذا الوعيد لهذا القرن الملعون ، أن الله تعالى أكد الوعيد في موضع آخر من القرآن لهذا الجيل فقال : ﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض . وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون . فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين . ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ﴾[146] ومعنى الآيات : ارتقوا السماء وانظروا ماذا في السماء من آيات لم يطلع

---

(143) سورة الرحمن (33–35) .

(144) قال أبو عبيد : أقطار ؛ أطراف . غريب الحديث (133/4) .

(145) سورة ص (10–15) .

(146) سورة يونس (101–103) .

عليها غيركم لما وهبكم الله من سلطان العلم ، حتى مكنتم من الكشف عن عالم الذرة وأعماق المحيطات ، فغركم هذا وأطمعكم للتطلع للمجرات في السماء وبلوغ القمر والمريخ ، ولكن قطعاً لا نفع من ذلك ، فأنتم لا تؤمنون ولن تؤمنوا وقد قال سبحانه فيكم : ﴿ إنّ الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾[147] ثم قال بعد ذلك : ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ وهذا قطعاً لا يكون في كفرة قريش ، وذلك للقطع بنفي الإيمان عنهم والانتفاع بالآيات ، وإنما هذا يصح في قوم أرادهم الله سبحانه بقوله : ﴿ ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين . قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون . فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴾[148] .

فإن قال الأعمى : هذا قول عجيب . **قلت :** وأعجب منه مما جاء في هؤلاء القوم قوله سبحانه : ﴿ فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين . ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ﴾[149] ينتظر أن يقع عليهم مثل الذي وقع على من سبقهم ، وهذا لا يكون في الآخرة وهو ظاهر الآيات . فمن إذن هؤلاء الرسل ؟ وكم عددهم ؟! أم على قلوب أقفالها . وفي سورة يونس أمر هؤلاء بأن ينظروا ماذا في السماوات والأرض ، وفي سورة الأعراف جاء القطع بأنهم نظروا في ملكوت

---

(147) سورة يونس (96–97) .

(148) سورة السجدة (28–30) .

(149) سورة يونس (102–103) .

السماء والأرض فقال :﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾[150]وعسى في القرآن واجبة . وعن أبي الصهباء البكري ويعقوب بن زيد : أن عليا إذا حدث بافتراق الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة تلا فيه قرآناً . يريد آيات سورة الأعراف : ﴿ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون.. ﴾ ويقول : وهي التي تنجو من هذه الأمة[151]. وهذا الجيل بلغ المنتهى بالقدرة على الاطلاع والنظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض ، حتى مشت أقدام رسلهم على أرض القمر ونظر غواصوهم في أعماق المحيطات التي لم يمكن بشر من رؤية ذلك قبلهم قط وتمكنوا من رؤية الذرات وما هو أصغر من الذرة . وما ورد في سورة ص من ذكر إضافة ادعاء تملك السماء إلى هذا القرن ، الادعاء الذي أضيف لهم ، وسيق بصيغة الازدراء والتحدي المضمن الوعيد منه جل وعلا لهم بالهزيمة بقوله : ﴿ فليرتقوا في الأسباب . جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾ وفي هذه الآية أعظم برهان على أن هذا القرآن منزل من الله تعالى ، وأن رسول الله ﷺ رسول منه يوحى إليه من علم الغيب ما شاء . ومصداق الآية مشاهد في هذا القرن ، فهاهم قائمون بتملك السماء من خلال مدارات الأقمار الصناعية في الفضاء الخارجي ، وكل دولة دون الغلاف الجوي لها ملكية مجالها الجوي ، وقل مثل هذا في الحدود البحرية . وادعاؤهم التملك لما ذكرت لم يسبق له مثيل من قبل ، فصدق سبحانه وتعالى القائل : ﴿

(150) سورة الأعراف (185) .

(151) رواه عن أبي الصهباء مُحَمَّد بن نصر في السنة (23) ، والآجري في الشريعة عن ابن زايد (16) . وراجع الدر (250/3) .

أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ﴾[152] وقال : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون . ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ﴾[153] وقال : ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون. وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾[154] .

روى الطبراني رحمه الله تعالى في ذكر المهدي ما يشعر بأنه إنما يسلط على من هذه صفاتهم فعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ : (يليكم أئمة يملؤون الأرض عدواناً وجوراً ، ثم يليكم رجل يملأ ما بين السماء والأرض عدلاً كما ملئت عدواناً وجوراً)[155] رواه في مسند الشاميين وهو حديث مطابق لواقع هؤلاء مطابقة عجيبة ومثل هذا لا يمكن أن يتخيله كاذب ليضعه على رسول الله ﷺ ، بل لا يمكن أن يكون هذا إلا بوحي من الله تعالى لأنه مما لم يقع مثاله من قبل ، ولا يمكن أن يخطر على قلب بشر علمه أو إدراكه ، ولو لم نراه بأعيننا لم نصدق بحال إمكان وقوعه ، ولعل الجاهل يقول ربما هذا من مبالغات الشيعة في أمر المهدي .

(152) سورة الزخرف (50) .

(153) سورة الأنبياء (1–2) .

(154) سورة القلم (51–52) .

(155) رواه الطبراني في مسند الشاميين (134/1) .

فالجواب زيادة على ما سبق : أن هذا مهما بلغ في المغالاة لا يمكن أن يتخيل إمكان تحققه حتى يُصَيّرَهُ حديثاً في مناقب المهدي ، ومن أجل هذا ترك الحديث لمن فيه مقال حتى إذا ما رواه راوي قالوا : ما أكذب هذا الراوي .

والحاصل أن هذا ما كان ليدرك بحال في السابق إلا بالوحي ، وحقيقة تأويل الحديث إنما تصح في هذا القرن الذي ملئت به السماء بالمنكرات والأكاذيب والطغيان على الفطرة التي فطر الناس عليها ، فالطائرات تحمل المنكر إلى السماء ، والأقمار الصناعية تصب الشر من السماء صبا ، رقص وتسافد ولهو وطرب ، وكفر بالله لم يسبقه مثال ولم يتصوره خيال ، ورحم الله تعالى حذيفة فلقد قال : ليوشكن أن يصب عليكم الشر من السماء حتى يبلغ الفيافي ، قيل : وما الفيافي ؟ يا أبا عبدالله قال : الأرض القفر[156] .

فانظر رحمك الله إلى هذه الشياطين في جثث بني آدم وهم في البراري ينصبون الخيام يتلقفون بأجهزتهم اللاقطة من السماء وحي الشيطان ، وكفر كل مارد لعين عنيد ، ومما يجب على أهل الإسلام أن يعلموه هو أن الله سبحانه وتعالى ضرب لأهل الكتاب من اليهود والروم وأشياعهم من حثالة سائر الشعوب موعداً لن يخلفوه ، ونصب علامة لذلك وهو بلوغهم السماء والارتقاء في ذلك ، وهي علامة لا تخفى نقلاً وعقلاً ، نقلاً في وحي الله تعالى لأنبيائه ، وعقلاً إذا ما تحققت .

---

(156) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (110/15) ، والداني في الفتن (286/2) .

وهذه الأمارة مؤذن تحققها بقرب وقوع الأمر على هؤلاء وإهلاكهم وإبطال كيدهم ، بإظهار عزته وجلاله وقدرته سبحانه وتعالى في تدميرهم شر تدمير ، والآن على رأس هؤلاء الروم جبابرة الأرض ، الذين بلغوا السماء وصعدوا على ظهر القمر وأرسلوا آلاتهم إلى المريخ ، فحققوا بذلك أعظم برهان في تعيين زمان المهدي وتحقق خروجه الميمون المنصور بإذن الله تعالى ، وجاءت هذه الحقيقة صريحة عند هؤلاء أنفسهم فيما يؤمنون به أنه وحي من الله تعالى ، وسيأتي بحول الله تعالى تفصيل ذلك في آخر فصل من هذا الكتاب[157].

ومما أنزل في خبر هؤلاء في كتاب الله تعالى ويعتبر أصرح ما ورد عنهم في القرآن وفيه وعيد بهزيمتهم ، في سورة سميت باسمهم وهي سورة الروم ، وقد أتى الله سبحانه على ذكرهم في هذه السورة ، وأخبر عن انتصارهم على صدام العراق وجيشه ، صدام الظلمة ، كما نص على ذلك خبر رسول الله ﷺ الذي رواه ذو مخبر في التصالح مع الروم ، وتعد آيات سورة الروم نصاً في هذه الفتنة وقوله تعالى في السورة : ﴿ في أدنى الأرض ﴾ على سبيل التعيين المعرف بهذه الواقعة ، وأدنى الأرض يريد طرف الجزيرة العربية من الخليج العربي ، وهي أرض أهل الكويت ، المحل الذي دارت عليه وبسببه هذه الفتنة وهذه المعركة بما قدر الله تعالى عليهم في شخص صدام من الرعونة والظلم ، وكما قلت سابقا أن تحقق هذه الفتنة من جهة المشرق مع ما ذكر رسول الله ﷺ أن أرض المشرق أرض الفتن وما تقرر وفصل في سورة الروم ، فكل هذا جاء للتعريف بهذه الفتنة

(157) راجع (23/2) وما بعدها من هذا الكتاب .

وزمانها ، ومطابقة تفاصيل فتنة الخليج هذه لما ذكر الله ورسوله برهان على أنها المرادة بما ذكر بالكتاب والسنة ، ولا يضر ذلك تكذيب المكذبين ولا غفلة الغافلين ، والله يقول في محكم التنزيل : ﴿ فمالهم عن التذكرة معرضين . كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ﴾[158] .

ولا يجب أن يلتفت إلى ما هو مثبت في رسم المصحف على قراءة من قرأ بضم ﴿ غُلبت﴾ وفتح ﴿ سيَغلبون ﴾ ففي هذا قلب للنبوءة في الآية وتحريف للمعنى الذي دلت عليه ، وإنما الصحيح فتح ﴿ غَلبت ﴾ وضم الياء من ﴿ سيُغلبون ﴾ وهي قراءة أبي سعيد وعلي وابن عمر ، وحكى أبو حاتم عن هارون : أن هذه قراءة أهل الشام . وقد ورد عن أبي بن كعب ما يفيد أنه على خلاف اختيار ابن مسعود أن آية سورة الروم مضى تأويلها فقال في قوله تعالى : ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ﴾[159] قال : مصائب الدنيا والروم والبطشة أو الدخان . شعبة الشاك في البطشة أو الدخان رواه مسلم[160] . وعن ابن مسعود ﷺ : خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر . رواه البخاري ومسلم . وهذا وهم منه ﷺ والصحيح أن آية الدخان والروم والبطشة واللزام ليس مما وقع تأويله .

---

(158) سورة المدثر (49-50) .

(159) سورة السجدة (21) .

(160) شرح النووي (143/17) ، ورواه الطبراني في الأوسط عن شعبة بمثل إسناد مسلم باختصار في متنه ، وزاد : الدخان قد مضى . قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن شعبة إلا بدل اهـ . وقد رواه مسلم عن جماعة منهم غندر وساق لفظه من طريق ابن أبي شيبة عن غندر . الطبراني في الأوسط (141/2) ، ورواه الحاكم من طريق شاذان الأسود عن شعبة بمثل إسناد مسلم والطبراني وزاد فيه : البطشة أو الدخان ثم انقطع شيء ، فقال هو الدخان (427/4) .

وروى الترمذي غرائب ومراسيل فيها أن هذه النازلة كانت في زمان رسول الله ﷺ أول دعوة الإسلام . وذكر أبو الحسن علي بن عمر الدار قطني آثار عن ابن عباس في ذلك ورجح أنها مراسيل غير متصلة[161] .

والراجح أنها أقوال لمن أراد تفسير الآيات ، ولو كان ما ذكروه حقاً لم يقع الخلاف من أصحاب رسول الله ﷺ في قراءة الآيات ، بما يقلب المعنى رأساً على عقب ، ولما كانت الآيات على سبيل الخبر فلا يحتمل فيها هذا الاختلاف ومما يدل على عدم صحة هذا التفسير ما جاء في الآيات نفسها ويمنع صحة هذا التأويل ، لقوله تعالى في الآيات : ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[162] وظاهر إضافة النصر لله والفرح للمؤمنين في هذا الأمر لا يناسب أن يكون ذلك في نوازل الروم مع الفرس ، وإنما الحق أن يكون ذلك فيما بين المسلمين والروم ، لقوله تعالى : ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ وقد تأكد في ظاهر القرآن أمر هذا الوعد في أكثر من موضع قال الله عز وجل : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون . فتول عنهم حتى حين﴾[163] وقال سبحانه : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين . سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون . فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾[164] وقوله : ﴿

---

(161) العلل للدارقطني (1/212و214) .

(162) سورة الروم (4–6) .

(163) سورة الصافات (171–174) .

(164) سورة الزخرف (81–83) .

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾[165]وهذه الآية أصل حديث المهدي بأنه خليفة الله ، وقد وعد الله هذه الأمة أن يكون فيها هذا الخليفة كما استخلف في بني إسرائيل ، وقد كانت سنة الله في بني إسرائيل لما طلبوا أن يكون عليهم ملك كما للأمم غيرهم ، أنه هو الذي يعين هذا الخليفة ، وكانوا يلقبونه مسيح الله ، نسبة إلى اختيار الله له ، ومن هذا جاء لقب المسيح عيسى ، ووصف الدجال بالمسيح لادعاء اليهود له ذلك بالكذب والبهتان وادعاؤه هذا لنفسه . قال تعالى :﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون﴾[166]وهذا نظير قوله :﴿ ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين ﴾[167]وقال سبحانه :﴿ ولقد ءاتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب ﴾[168] أي في هذا القضاء وتأويل الكلمة والوعد ، وفي قوله تعالى : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى ﴾[169] أبلغ رد على إبطال ما اختاره ابن مسعود من أن اللزام يوم بدر ، وهذا وهم منه ﷺ ، وإنما اللزام صفة للعذاب المقضي على أهل الكتاب ومن سيكون من أشياعهم آخر

(165) سورة النور (55) .
(166) سورة يس (48–49) .
(167) سورة السجدة (28) .
(168) سورة هود (110) .
(169) سورة طه (129) .

الزمان ، وليس هو لكفار قريش كما ظن ابن مسعود ، وآيات سورة هود وطه والشورى[170] كلها في هذا الأمر ، وعيد شديد لهؤلاء جميعهم .

قال تعالى : ﴿ وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد ﴾[171]وقال أيضا في هذا المعنى : ﴿ ولقد أتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب . هدى وذكرى لأولي الألباب . فاصبر إن وعد الله حق ﴾[172]والوعد هنا والكلمة في قوله تعالى : ﴿ ولقد ءاتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب ﴾[173] سواء ، وعد وكلمة من الله بتعذيب هؤلاء وهزيمتهم ونصرة عباده المؤمنين وقوله تعالى في سورة الروم :﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ جار على هذا الأصل العظيم ، الوعد الذي تلقاه أنبياء بني إسرائيل وآخرهم عيسى عليه السلام ، وأمروا بأن يخبروا اليهود عن حقيقته وقد كان كما أمرهم الله تعالى ، وأدوا أمانة التبليغ ، إلا أن اليهود كتموا هذا الأمر وتواصوا على ذلك ، ومع تطاول الدهور باتوا على شك منه ، من أجل أنهم عادوا يصدقون كذبهم في أن هذا الوعد خاصتهم من دون الخلق ، وهذا من عجائب تلاعب إبليس بهم ، وقوله تعالى : ﴿ وإنهم لفي شك منه مريب ﴾ يريد شكهم في حقيقة تأويله ، هل هو لهم أو عليهم ، يخادعون الله بذلك ، وفي الحقيقة إنما يخدعون أنفسهم ، ولذا استحقوا قوله تعالى : ﴿ لا يؤمنون به حتى

---

(170) سورة الشورى (14) .

(171) سورة إبراهيم (8) .

(172) سورة غافر (53-55) .

(173) سورة هود (110) .

يروا العذاب الأليم . فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون . فيقولوا هل نحن منظرون . أفبعذابنا يستعجلون . أفرءيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوايمتعون ﴾[174] وقوله : ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جندا﴾[175] وقوله :﴿ ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ﴾[176] وقوله : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾[177] وفي هذا التصريح بأن موعد هذا الوعيد قبل الساعة ، فيه ينهزم الروم وأنصارهم شر هزيمة من الله تعالى القادر على كل شيء ، ومن السور التي تأكد فيها هذا الوعيد والوعد ، سورة مريم والحج والقمر وكذلك سورة الأنبياء بعدما ذكر يأجوج ومأجوج فقال : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾[178].

والحق في هذا أنه عند انقداح شرارة الفتنة الصدامية التي ثار لها الروم وتأججت بها نارهم واجتمعوا وأعوانهم من كل حدب وصوب ، فعند ذلك يكون قد تحقق اقتراب هذا الوعد الحق العظيم ، وقد فسر سبحانه هذا القرب

---

(174) سورة الشعراء (201–207) .

(175) سورة مريم (75) .

(176) سورة الحج (55) .

(177) سورة القمر (45–46) .

(178) سورة الأنبياء (96–97) .

في سورة الروم ببضع سنين ، والبضع معروف معناه في لغة العرب ، وحقيقته عدد معين محتمل بين طرفين ، جمع سره قبض رسول الله ﷺ وعلي أمير المؤمنين حين حدثا عن المهدي .

وما توهمه الكثير من الخلق في أن يأجوج ومأجوج جنس من البشر مخصوص ، لا بل ذهب بعض السذج إلى أن يأجوج ومأجوج هؤلاء ما هم إلا الذين ذكروا في سورة الكهف ، حتى لزمهم اعتقاد وجودهم أحياء إلى وقتنا هذا خلف السد المذكور لا يتمكنون من تجاوزه ، هذا الاعتقاد عجب ! وغريب على العاقل اعتقاد صحته وتصديقه ، ومن اعتقد بوجود هؤلاء اليوم فلا شك أنه ليس في عداد العقلاء المتبصرين ، ومن جملة هؤلاء الواهمين من اعتقد أن المذكورين في سورة الأنبياء هم من سيخرج على عيسى عليه الصلاة والسلام بعد نزوله ، والصحيح في ذلك أن هؤلاء هم الروم وأشياعهم لا من ورد ذكرهم في سورة الكهف ولا هم من يخرج على عيسى عليه السلام ، ويكفي لإثبات بطلان هذا الوهم ما ثبت في الصحيح عن زينب أنها قالت : استيقظ النبي من النوم محمراً وجهه وهو يقول : (لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا...) قيل : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : (نعم إذا كثر الخبث)[179] وهذا قطعاً لا يكون إلا قبل المهدي ، فقبله يكون هلاك العرب بوقوع الفتن والهرج كما ورد عن رسول الله ﷺ قوله : (من أشراط الساعة هلاك العرب)[180]. وقوله : (

(179) متفق عليه ، ورواه الترمذي ، والنسائي ، وغيرهم . راجع الفتح (11/13) .

(180) رواه الطبراني في الأوسط (265/3) ، والترمذي (3929) .

هلاك العرب على يد غلمة سفهاء من قريش) وقوله : (ويل للعرب من شر قد اقترب ، من فتنة عمياء صماء بكماء) وغير هذا كثير في هذا المعنى . قال ابن حجر : خص العرب بالذكر لأنهم أول من دخل الإسلام ، وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم اهـ .

ثم إن كثرة الخبث علامة من علامات الفتن والساعة ، وهو مما يكون قبل خروج المهدي فضلاً عن نزول عيسى ، ولا يصح القول أن في العرب هذا الخبث بعد نزول عيسى عليه السلام ، خصوصا على اعتبار أن المراد بالعرب هنا أهل الإسلام . وكذلك من المعلوم بالخبر أن العرب سيكونون قلة بعد نزول عيسى عليه السلام ، فكيف يصح إطلاق الخبث عليهم عند خروج يأجوج ومأجوج ، والإخبار عن هلاكهم ، وهذا مما لا يصح وقوعه إلا قبل عيسى وخروج المهدي المنتظر وتمكينه في الأرض . وروى الإمام أحمد عن عائشة ﵂ : أن رسول الله ذكر جهدا بين يدي الدجال ، قلت : فأين العرب يومئذ ؟ قال : (العرب يومئذ قليل) ![(181)] ، قال ابن كثير : تفرد به أحمد وإسناده صحيح[(182)] .

وثبت عن رسول الله ﷺ في تكالب الأمم عليهم ما رواه أبو هريرة قال : سمعت رسول الله يقول لثوبان : (كيف أنت إذا تداعت عليكم الأمم

---

(181) وفي صحيح مسلم عن أم شريك أنها سمعت النبي يقول : (ليفرن الناس من الدجال في الجبال) قالت أم شريك : يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال : (هم قليل) . (86/18) .

(182) ابن كثير في الفتن والملاحم (95/1) .

كتداعيهم إلى قصيعة الطعام يصيبون منه) قال ثوبان : أمن قلة بنا ؟ قال : (لا بل أنتم يومئذ كثير ، ولكن يلقي في قلوبكم الوهن) قالوا : وما الوهن ؟ قال : (حبكم الدنيا ، وكراهيتكم القتال)[183]. وهذا الضعف والانهزام من الهلاك وزمنه في العرب عند الفتن والشرور ، ومن تكالب الأمم خروج يأجوج ومأجوج ، ومن الفتن تسلط أئمة الجور والظلم ، وكل هذا إنما يكون قبل التمكين للمؤمنين .

وكذلك روي عن رسول الله ﷺ أن الخبث المذكور إنما يكون عند الخسف ، ومن المعلوم أن الخسف لا يكون بعد عيسى بل قبله ، روى الطبراني بإسناده عن أنس قال : ذكر في زمان رسول الله خسف قبل المشرق ، فقال بعض الناس : يخسف بأرض فيها المسلمون ؟ فقال : (نعم ، إذا كان أكثر أهلها الخبث)[184].

وكذلك من المعلوم أيضا في رد قول من توهم في خبر يأجوج ومأجوج ، أن الهلاك عند خروجهم في زمن عيسى عليه السلام ، إنما يختص بهم لا بالعرب ! فليتنبه لهذا ، وهذا في ظاهره يعارض ما ورد عن رسول الله ﷺ بقوله المشار إليه سابقاً : (ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا) ولا يمكن حمل هذا إلا على ما تقرر هنا وهو أن خروج يأجوج ومأجوج إنما يكون في زمان الفتن ، وزمنها مما يسبق زمن خروج المهدي ونزول

(183) رواه أحمد (278/5) ، وأبو داود (4297) .

(184) في الأوسط (500/2) .

عيسى عليه السلام ، فلم يبقَ إلا اعتقاد أن يأجوج ومأجوج الذين ورد ذكرهم في سورة الأنبياء إنما زمانهم قبل المهدي وعيسى؛ وبهذا يصح القول بأنهم الروم ، فهم الذين حشروا من كل حدب وصوب ، وورد عند ذكرهم اقتراب الوعد ، بينما نصت سورة الروم على أن هزيمتهم هي الوعد !! .

ومما جاء أيضا في تأكيد أمر هذا الوعد وأنه يكون في آخر الزمان ، ويكون عند ذلك خروج المهدي وتمكينه في الأرض ، قوله تعالى : ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليَسُئُوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾[185] وقال : ﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾[186] وهنا يجب على أهل الإيمان التنبه إلى أن أمر هذا الوعد قد التبس على الكثير من الجهلة وبلغ بهم التغافل إلى أنهم رأوا الله تعالى يأتي باليهود من كل مكان من العالم لإنزال وعده عليهم ، فيجحدون مع ذلك قرب تحقق الوعد الذي أُخْبِرَ عنه ، مع ما يرونه من تحقق الحشر جرياً والعياذ بالله إلى ما وقع به اليهود ، فقد ذكر الله سبحانه عنهم في هذا قوله :﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب﴾[187] وقال :﴿ ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتةً وهم لا يشعرون ﴾[188] وهؤلاء صاروا مثل اليهود ، لا يؤمنون

(185) سورة الإسراء (7) .
(186) سورة الإسراء (104) .
(187) سورة الشورى (14) .
(188) سورة العنكبوت (53) .

بهذا الوعد ، ولهذا سيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ، ألا تراهم أخي المؤمن يتكالبون على سلام اليهود الكاذب معاندة لأمر الله وجحدا لوعده بإهلاكهم مع قوله تعالى :﴿ وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾[189]ويقول : ﴿ أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾[190]وها هم أهل النفاق يبذلون جهدهم لتطمين اليهود ، ويأبى الله ذلك سبحانه ؛ والقوم أعلم بما أنزل عليهم ولهذا لا يجدون الأمن أبدا ، ولو جمعوا أسلحة الدنيا كلها ، فهم لا يدرون متى يؤخذوا ومن أين .

والذين شايعوا اليهود من المنافقين هم على خلاف سنة الله تعالى جحودا واستكبارا وإيثارا للدنيا على الآخرة ، حتى باتوا لليهود بمنزلة العبد ، وهم بذلك باتوا أضل سبيلا من اليهود أنفسهم ، فاليهود مع شكهم وريبهم من وعد الله تعالى قال تعالى فيهم :﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله ﴾[191]وأما هؤلاء فقد أدركوا ابتداء التأويل كما ذكر هذا في آخر سورة الإسراء ، من الإتيان باليهود حشرا من كل مكان ، لإمضاء المقدر عليهم وعلى كل أهل الأرض كما ذكر الله تعالى ذلك بقوله : ﴿ وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد ﴾[192] قوله : ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين... ألا إن لله ما في السموات

(189) سورة الأعراف (167) .

(190) سورة البقرة (114) .

(191) سورة يونس (39) .

(192) سورة إبراهيم (8) .

والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾[193]ومع هذا الإدراك تجد المنافقين لا يؤمنون بوعد الله ، فهم بذلك أضل من اليهود وأشر ، قال تعالى :﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون . هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾[194]وقال : ﴿ لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم . فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾[195]وجزم بعض القراء الفسقة بأن الوعد المذكور في ابتداء سورة الإسراء هو مما مضى تقليداً لأقوال قديمة وحسب مع أن واقع اليهود اليوم يدل على تحقق كلام الله تعالى في تلك الآيات من العودة والإمداد ، ما يبطل قول من قال بأن تأويل الآيات قد مضى ، ولإبطال هذا الجهل بكتاب الله تعالى أرد عليه من عدة أوجه :

الوجه الأول : هو أن القرآن صريح في أن هذا الوعد لم يأتِ بعد وقد جاء هذا في أكثر من آية ، كقوله : ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾[196]وقوله : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ﴾[197]وقوله : ﴿ إنَّ ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ﴾[198]وغير هذا كثير .

---

(193) سورة يونس (53–55) .
(194) سورة الأعراف (52–53) .
(195) سورة الشعراء (201–202) .
(196) سورة الزخرف (83) .
(197) سورة يس (48–49) .
(198) سورة الأنعام (135) .

الوجه الثاني : إلحاح اليهود بالسؤال عن وقت وقوع هذا الوعد ، وهذا لا يكون لما مضى كقوله تعالى : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . ما ينظرون إلا صيحة واحدة ﴾وقوله :﴿ قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون . ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾[199]ذرأهم بالشتات عن بيت المقدس ، ويحشرهم إليه إذا أراد تحقيق وعده ، فمنهم وبهم بدأ ، وفيهم يعود قدراً مقدراً بالحكمة والعدل .

الوجه الثالث : أن الله تعالى توعدهم عند تحقيق هذا الوعد أن يظهر عليهم المهدي ويسلطه عليهم ، فقال :﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين . فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون ﴾[200] أي تدعون أنه سيكون منكم ، وكنتم تستفتحون على الأمم بذلك . وقوله :﴿ سيئت ﴾ يريد أن بهذا إيقاع أشر الشر عليهم ؛ وقد جاء مفسرا في ابتداء سورة الإسراء بقوله تعالى : ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليَسُئُوا وجوهكم . وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾[201] أي كما دخلوه أول الإسلام ، وكان ذلك في خلافة الفاروق رضوان الله عليه من إمام عادل تقي نقي ورع ،

---

(199) سورة تبارك (24–26) .

(200) سورة تبارك (25–27) .

(201) سورة الإسراء (7) .

ومن المعلوم بديهة أن لا شيء يسوء اليهود مثل طردهم من فلسطين بعد قوتهم التي استكثروا بها في هذا القرن .

الوجه الرابع : أن هذا الوعد ما هو إلا لتمكين المهدي في الأرض وتسليطه على أعداء جميع الرسل ، ولهذا يحكم كل الأرض ويجري الله بحكمه العدل والحق ، ويكون الدين ظاهرا على جميع الأديان ، قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾[202] من قبلهم المراد به داود وسليمان وقبلهم يوشع عليهم السلام ؛ واليهود ينتظرون هذا الاستخلاف الثاني بلهفة شديدة ، مدعين أن هذا كائن فيهم ثانية كما في المرة الأولى مخادعة للذات وكذب على الله تعالى ، وستجد في تلمودهم الاعتقاد الراسخ بأن هذا الوعد سيجرى من الله تعالى خلاصا كالخلاص الأول من فرعون وقومه ، بل يعتقدون بأنه سيكون أعظم ، ويستدلون لذلك بقول نبيهم حجي : وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود ، مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول اهـ[203] .

وقد كذبوا بهذا الادعاء ، والحق هو أن نبينا استودع هذه النبوءة صلاة كل مسلم فأمرهم عند كل صلاة أن يقولوا : (اللهم بارك على مُحَمَّد وعلى آل مُحَمَّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم) وقد بورك على إبراهيم وآل

---

(202) سورة النور (55) .

(203) الإصحاح الثاني .

إبراهيم بالنبوة والكتاب وسيكون لآل مُحَمَّد مثل ذلك وكما استخلف من قبلهم من آل إبراهيم سيستخلف كذلك في الأرض من آل مُحَمَّد كما قال تعالى في سورة النور ، وكما ورد عن رسول الله ﷺ في هذا المعنى قوله : (لا تقوم الساعة حتى يستخلف رجل من أهل بيتي)[204].

والمراد بالبيت الثاني في نبوءة نبيهم هم آل مُحَمَّد ﷺ ، وتعظيم مجدهم سيكون في زمن المهدي ، فالبيت الأول في بني إسحاق والبيت الثاني في بني إسماعيل ، قال تعالى في بركة إسماعيل :﴿ وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الآخرين ﴾[205] أي من الشأن العظيم والبركة التي تلحق آخر ذريته، ومصداق ذلك فيما يثبت كذب اليهود فيما ادعوه من خلاص مزعوم مكذوب على الله وأنبيائه ، ما جاء على لسان نبيهم هوشع قوله : إني أدعو الشعب غير المختار مختاراً[206]. وهذا قطعا في بني إسماعيل فقد سبقهم إختيار بني إسحاق . وفي حزقيال قوله : سيعمل الله ميثاقا جديداً مع شعبه ليس نظير الميثاق الذي أعطاه لآبائكم فلم يفوا به ، وسيأخذ منهم قلبا من حجر ويعطيهم قلبا

(204) أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (84/1) راجع في زيادة تفصيل استخلاف المهدي (فتح المنان في رد أباطيل أبي حصان ص9)و(عمد النار والدخان ص24)و(الأجوبة الشرقية على التساؤلات اليمنية ص13)و(تعبيد الموارد ص40) .

(205) سورة الصافات (107–108) .

(206) الإصحاح الثاني ، وقد حرفت عند البروتستانت والكاثوليك حسب النسخ المطبوعة بالعربية ، والتصحيح من إنجيل عيسى الصحيح برواية تلميذه البار برنابا (ص124) .

جديدا[207]. وفي نبوءة دانيال عن آخر الأيام قوله : ويثبت عهداً مع كثيرين في أسبوع واحد[208]. والعهد والميثاق سواء ، وهذه الأخبار عن أنبياء بني إسرائيل تفضح ادعاءاتهم للخلاص والاختيار ، وإنما حقيقة الأمر أن هذا في بني إسماعيل وما جحدوه إلا حسداً من أنفسهم أن يبارك الله في بني إسماعيل نظير بركته في بني أخيه إسحاق فلعنة الله على الظالمين المفترين على الله ورسله وفي الزبور الممجد ما يكشف كذب هؤلاء أيضا فيما أخبر الله تعالى عنه فقال : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ﴾[209]وهذا الوعد في الزبور بين الله أمره في سورة النور بأوضح بيان وأصرح عبارة أنه كائن في أمة مُحَمَّد فقال : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾[210] وتأكيداً لهذا المعنى قال : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون ﴾[211]وقال :﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾[212]وقال أيضا : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي

(207) الإصحاح (19/11) وذلك لم تسلم النبوءة في حزقيال من عبث الكتبة ، فكلمة الميثاق حرفت إلى روحا جديداً كما ورد في النسخة المطبوعة الآن ، وهذا التزييف من جراء نقضهم للعهد والميثاق الذي أخذه الله عليهم ، فطرحوا ما يدل عليه وأثبتوا بدلاً منه هذا الكذب والهراء ، مخادعة لله ورسوله .

(208) دانيال الإصحاح (27/9) .

(209) سورة الأنبياء (105–106) .

(210) سورة النور (55) .

(211) سورة الصافات (171–173) .

(212) سورة المجادلة (21) .

الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون . إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ﴾[213]

والذكر المشار إليه في آيات سورة الأنبياء ما ذكره من قبل داود وإبراهيم وأخنوخ ويعقوب وموسى وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل عليهم الصلاة والسلام ، فقد أوحى الله إليهم خبر هذا الأمر العظيم الكائن آخر عمر الدنيا في أمة مُحَمَّد ، الأمة المرحومة ، وسيأتي بحول الله نقل بعض ما ورد في هذا الذكر المشار إليه ، ومما ثبت بيقين كما سيأتي تفصيل ذلك أن الله توعد اليهود بالعذاب آخر الزمان فكيف يكون النصر والتمكين لهم ، هذا محال أن يجمع لهم الوعد والوعيد ، كقول الله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه . ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب ﴾[214]وقوله : ﴿ ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب . وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾[215]

وقد فصل هذا الوعيد بما أوحى الله إليهم على أكمل وجه وسيأتي تفصيل ذلك . وفي هذا اتفق القرآن وكلام أنبياء بني إسرائيل على هذه الحقيقة اتفاقاً يكشف ويفضح كذب اليهود ومن شايعهم على السلام الكاذب في عصرنا هذا ، من ساسة هذه الشعوب الغبية البهيمية من حثالة البشر وسقط التاريخ .

---

(213) سورة مريم (39–40) .

(214) سورة هود (110) .

(215) سورة العنكبوت (53) .

الوجه الخامس : أن هذا الوعد ما هو إلا بشرى للمؤمنين ببعث المهدي ، وتمكينه في الأرض يقيم العدل ويرفع الجور ويعلي الدين ويدحر الباطل ، ومن أجل هذا قال رسول الله ﷺ : (أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل) وبشرى النبي بالمهدي وتمكينه ، نظيرها بشرى موسى وهارون لبني إسرائيل وهم تحت نير فرعون بالتمكين والظهور ، قال تعالى : ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلوة وبشر المؤمنين ﴾[216] ثم قال بعد ذلك سبحانه : ﴿ ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات ﴾[217]

فهذا ما كان من بشرى الله عز وجل لبني إسرائيل على لسان موسى وهارون عليهما السلام بالتمكين والنصر ، وأما بشرى الله تعالى للمؤمنين من هذه الأمة بالتمكين على لسان رسول الله ﷺ ، فقوله تعالى : ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾[218] وقال :﴿ وهذا كتاب مصدقٌ لساناً عربياً لتنذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ﴾[219] أي مصدق الذي بين يديه من الوعد بالتمكين للمهدي والمؤمنين من أهل الإسلام حين يحين الوعد ، كما فصل ذلك في زبور داود والذكر من قبله ، ولهذا وصف هذه البشرى بقدم الصدق كما وصف تمكين بني إسرائيل بمبوأ صدق ، بل أصرح شيء في هذا قوله تعالى : ﴿

---

(216) سورة يونس (87) .

(217) سورة يونس (93) .

(218) سورة يونس (2) .

(219) سورة الأحقاف (13) .

وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه ... بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾[220] أي تصديق الوعد الذي سبقه وتأكيده ورد دعواهم أنه افتراه بأنهم لم يحيطوا علما بحقيقة هذا الوعد ، ولما يأتيهم تأويله بعد ، وفيه أعظم برهان على أنه منتظر ولم يأتِ تأويله ، ومن أجل هذا كان رسول الله يبشر به وتبتهج له روحه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، بأبي وأمي هو وكما ذكرت سابقا ، لهذا الأمر أشار تعالى بقوله :﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ قال عبدالله بن عمرو : لتركبن سنة من قبلكم حلوها ومرها . رواه المروزي في السنة ، وقال ابن حجر : رواه الشافعي بسند صحيح . وعن ابن مسعود قال : ما كان فيهم شيء إلا سيكون فيكم مثله[221]. قال تعالى : ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون . هل ينظرون إلا تأويله ﴾[222]وهذا التفصيل للوعد بالكتاب ، جعله الله هدى ورحمة للمؤمنين المحسنين الأولياء ، وبشرى لهم . والمراد بالمؤمنين المهدي ومن سيكون معه ، فهو الذي يهدى بهذا التفصيل ويجعل له به هدى ونور وذكرى ، ولا تعجب من هذا أيها الأعمى ، ألم تقرأ قوله تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة . لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾[223] وقوله : ﴿

---

(220) سورة يونس (37-39) .

(221) سبق تخريج هذه الآثار في الفصل الثاني حاشية رقم (105) .

(222) سورة الأعراف (52-53) .

(223) سورة يونس (62-64) .

ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ وهذا في المهدي قطعا ، وأمره من كلمات الله التي لا تبديل لها ، وتفصيلها في الكتاب والذكر ، كما أنزل خبره على سائر الأنبياء ، وقد فسر النبي قول الله تعالى : ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ بأنها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له[224]. وقد بين أنها في آخر الزمان لا تكذب[225]، ومراد رسول الله ﷺ في هذا التفسير للآية اختصاص أمر المهدي بالرؤيا التي هي البشرى ولذا قيدها بآخر الزمان بعدم الكذب ، واستثناها من دون سائر الوحي بالبقاء من بعده من أجل هذا الأمر ، وتأكيداً لأمر هذه البشرى بالتمكين

---

(224) عن عبادة بن الصامت قال : سألت رسول الله عن قوله تعالى : (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) قال : (هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له) رواه مالك في الموطأ (958/2) ، والترمذي وابن ماجة والحاكم .

(225) متفق عليه عن أبي هريرة عن رسول الله قال : (إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب) رواه الترمذي من هذا الوجه ، ورواه من وجه آخر عن أبي هريرة بلفظ : (آخر الزمان) رواه عبد الرزاق عن معمر . وسبق وتقرر معنى اقتراب الزمان ، ورواية الترمذي تدل على أن المراد بذلك آخر الزمان كذلك ، فالتقارب معناه التقاصر ، والمراد ما فيه الناس اليوم من المقدرة على الانتقال السريع من مكان إلى آخر . فصار قوله يتقارب وآخر الزمان واحد ، ولهذا ورد اللفظين في الرواية . إلا أن الوصف بالتقارب أبلغ وأخص بالمعنى المراد . وهذا الحديث دال على اختصاص آخر الزمان بفضل الرؤيا عن سائر الأزمان ، ولابد من حكمة مراده من هذا ، اقتضت هذا التخصيص . والحق في هذا الباب ، هو أن بقاء هذا الجزء من الوحي بعد رسول الله ، واختصاصه بالصدق آخر الزمان ، ما هو إلا من أجل أمر المهدي وبعثه وتهيئته لهذا الأمر العظيم ، الذي لو نيل من دون هذا الاختصاص لكان فضل المهدي ينال بالاجتهاد وهذا ما لا يمكن بحال ، لأن الله يختص بفضله من يشاء ، وهذا الأمر ليس هو من الفضائل العامة التي قد ينالها أي مجتهد ، كلا فهو مما اختص الله تعالى به نفسه وجعله إليه من دون سائر الخلق ، فكما أن النبي لا يكون نبيا بالاجتهاد كذلك المهدي هذا لا يكون بالاجتهاد مهدياً ، ولهذا ضل كل مدعي للمهدية . وهذه هي الحكمة الداعية لاختصاص آخر الزمان== ==بفضل الرؤيا ، ومن أجل هذا جاء اهتمام رسول الله عند مرض موته على تأكيد أمر المبشرات والرؤيا . ولو فطن المؤمن لوجد أن هذا الزمان الذي أدركناه قد تواترت فيه المنامات والرؤى الصادقة من كل مكان ، ولا يمكن إلا أن يدل تواترها على قرب أمر عظيم ، وقد صرح بتوقع قرب حصول هذا من تخصص في تلقي رؤى المسلمين سواء في الإذاعات أو غيرها من وسائل الإعلام كالمجلات والجرائد .

للمؤمنين جاء سبحانه بعد قوله : ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليَسُئُوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾[226]بقوله : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾[227]وفي آخر السورة بعد قوله : ﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾[228] أتبع ذلك بقوله : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾[229] ثم جاء بعد ذلك بقوله :﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ﴾[230]وكل هذا تأكيداً لهذا الوعد والبشرى فافهم .

وأما قوله تعالى كما جاء في سورة الأنبياء : ﴿ اقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾[231] فقد أكد هذا الأمر سبحانه في أكثر من موضع كقوله :﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ﴾[232]وسماه الفتح في سورة السجدة : ﴿ ويقولون متى هذا الفتح

---

(226) سورة الإسراء (7) .

(227) سورة الإسراء (9) .

(228) سورة الإسراء (104) .

(229) سورة الإسراء (105) .

(230) سورة الإسراء (107–108) .

(231) سورة الأنبياء (97) .

(232) سورة يس (48–49).

إن كنتم صادقين ﴾[233]وتأكد أيضا قوله : ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) إلى قوله : ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق)[234]والضمير في هؤلاء يعود لجند الذين ادعوا ملك السموات والأرض الذين ارتقوا في الأسباب ، وهذا الوصف مطابق كما قلت لحال هؤلاء للحد الذي لا يمكن إنكاره بحال ، وما يثبت معنى الارتقاء في الأسباب ما ذكر عن فرعون قوله :﴿ يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا . وكذلك زُين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ﴾[235]وفي هذه الآية يعرف أن الارتقاء في الأسباب هو الصعود في السماء ومن جهل فرعون أن إرادته تعلقت بطلب بلوغ السماء من خلال البناء العالي ، فكيف به لو أنه أدرك ناطحات السحاب في زماننا ، أو لو أدرك ما نرى اليوم من القدرة على بلوغ السماء والكواكب ، أتراه يجن أو يموت ، إنها القوة والطغيان والتجبر على سائر أهل الأرض ولن يقدر على إزالة هذا إلا الله سبحانه ولذلك جعل هذا لنفسه وهو القادر على كل شيء .

وروى الإمام مسلم رحمه الله عن المستورد قوله : قال رسول الله ﷺ : (تقوم الساعة والروم أكثر الناس)[236]. ولا شك بأن المراد بهذا القوة على النفير والقتال كقوله تعالى : ﴿ وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا

---

(233) سورة السجدة (28) .

(234) سورة ص (11–15) .

(235) سورة غافر (36–37) .

(236) رواه مسلم في الصحيح (22/18) ، ونعيم في الفتن (480/2) .

﴿[237]حكاية عن حال اليهود في آخر الأمر ، وجعلهم أكثر قوة ومقدرة على القتال ، ومن اختصر رواية المستورد كما وردت في صحيح مسلم أخطأ في ذلك وأفسد المعنى باختصاره ، وقد ورد الحديث من وجه آخر بأتم من هذا اللفظ وسيأتي إيراده بإذن الله ، وكان عمرو بن العاص ينهى المستورد عن هذا الحديث لإنكاره ظهور النصارى على المسلمين وهذا ما فهمه عمرو من الحديث أن كثرتهم معناه ظهورهم بالقوة وليس المراد مجرد العدد ، وهذا نظير إنكار عقبة على عبدالله بن عمرو لمّا حدث بأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق ، فعارض عقبة بحديث الطائفة المنصورة[238]. ومثله ما وقع لعمر رضي الله عنه حين أخبر عن قول عبدالله في ظهور العجم على العرب ، فعارض عمر ذلك بحديث الطائفة المنصورة أيضا[239]. وقد أصر عمرو على إنكاره فأصر المستورد على أن ما يقوله إنما سمعه من رسول الله ﷺ عندها قال عمرو ما فهمه البعض على أنه مدح للروم ، وإن كان كذلك فقد وهم عمرو ، وليس في الحديث ما يشعر بهذا بل فيه ما هو على خلاف قوله والروم اليوم أهل الفتن وهم من أوقد نار فتنة صدام فتنة السرى وهم من دبر افتعالها وظلموا المسلمين وتسببوا بتدهور أحوالهم وضياع أمنهم من بعد ما كادوا يفنون بعضهم البعض بحروب دارت بينهم لسنوات أكلت أرزاقهم وأزهقت أرواح الكثير منهم ، ومما يمنع هذا الفهم تمام الحديث ، ففيه كما رواه الإمام أحمد بإسناده عن المستورد عن رسول الله ﷺ قال : (أشد الناس عليكم الروم وإنما هلكتهم مع الساعة)

---

(237) سورة الإسراء (6) .

(238) رواه مسلم في كتاب الإمارة (67/13) ، والحاكم (456/4) ، وغيرهم .

(239) ذكره الهيثمي (315/7) قال رواه أبو يعلى. وذكره صاحب المطالب وقال : رواه إسحاق ، وأبو يعلى (271/4) ورواه الطيالسي (9) ، والحاكم باختصار (449/4) .

فقال عمرو : ألم أزجرك عن هذا[240]. وقال أنس : فتح القسطنطينية مع قيام الساعة[241]. وهذا ما لا يكون ولهؤلاء قائمة ، واليوم ليس لأحد عليهم قوة فبات شرعا وعقلاً أن الله تعالى هو الذي سيهلكهم ويبطل كيدهم .

وسبق وأن لمت من اختصر حديث المستورد هذا لإفساده للمعنى مما أوهم بعض المتلقين للفظه فحمله على غير وجهه كما وقع ذلك لابن كثير فعلق عليه قائلا : هذا يدل على أن الروم يسلمون آخر الزمان ! ولعل فتح القسطنطينية يكون على يدي طائفة منهم !! وقال : والروم يكونون في آخر الزمان خير من بني إسرائيل ، والروم قد مدحوا في هذا الحديث !! فلعلهم يسلمون على يدي عيسى بن مريم اهـ[242]. بل مدحهم عمرو آخذاً بظاهر الحديث وما أدرى عمرو بهذا الخبر وحقيقته ، وما أفسد الأخبار إلا مثل هذا التأويل ، وها هي أم الفتن يدير رحاها الروم ويأتي أيضا من أدركها ممن يستدل بهذا الحديث بعينه على مدح الروم بأنهم أصحاب حلم ، ويدعو إلى التأسي بهم عند الفتن ! وكيف يتم ذلك وهم من أوقد نارها وعلم قرارها ، وإنما هلاكهم يكون بعد إيقاد هذه الفتنة بعينها[243].

---

(240) ذكره الهيثمي (215/6) قال :رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(241) رواه الترمذي (510/4) قال : حديث غريب . والداني في الفتن من وجهين (1129/5) .

(242) نهاية الفتن (55/1) .

(243) الضوابط الشرعية في الفتن (ص 18) لصالح آل الشيخ .

فارتقبوهم حين يقع فيهم قول الله تعالى : ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ... إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب . وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق ﴾[244] وقوله : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ﴾[245] وقوله :﴿ واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾[246] لعلهم سيرون ما يروعهم ويذهلهم عند الصيحة فتشخص لذلك أبصارهم تعظيماً لأمرها ، وروي ما يفيد أن هذه الصيحة إنما تقع من أجل تعيين شخص المهدي المنتظر وإعلان أمره لجميع سكان المعمورة ، لمن شاء أن يتقدم أو يتأخر ! ، صيحة يتداعى لها الناس وتهوي لها الرؤوس ، عندها يحار الجبابرة والعتاة من هولها ، وبها يعلم الناس حينئذ أن هكذا يقوم أمر المهدي ويمكن سلطانه ، ولما كان سلطانه من الله ، فلا يقيمه إلا الله تعالى .

قال عبدالرزاق عن معمر عن رجل عن ابن المسيب قال : تكون فتنة بالشام كأن أولها لعب الصبيان ، تطفو من جانب وتسكن من جانب ، فلا تتناهى حتى ينادي مناد : أن الأمير فلان[247] . ورواه ابن المنادي في الملاحم ، ونعيم في الفتن بلفظ : حتى ينادي مناد من السماء[248] . وروي من غير هذا

---

(244) سورة ص (11-15) .

(245) سورة يس (48-49) .

(246) سورة الأنبياء (97) .

(247) المصنف (361/11) .

(248) نعيم (337/1) ، وذكر السلمي في عقد الدرر أن ابن المنادي أخرجه في كتاب الملاحم .

الوجه ، وفي هذا المعنى وردت أحاديث كثيرة لا تسلم أسانيدها من مقال ، إلا أن تضافرها على هذا المعنى يدل على أن لذلك أصلا ، وما نقلته من كتاب الله في الصيحة يعد أصلاً لهذه الأحاديث ، وأما ما ورد في بعض ألفاظ هذه الأحاديث مما ينكر لفظه وهو أقرب إلى مهاترات القصاص وتهاويلهم منه إلى كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فهو مما لا يضر بهذا المجموع المروي عن رسول الله ﷺ والصحابة وأتباعهم في هذا الأمر العظيم ، وأجود المروي في هذا الأمر عندي حديث سعيد رحمه الله تعالى على انقطاع سنده وسيأتي لاحقاً الكلام على إسناد هذا الأثر إن شاء الله تعالى ، وجاء عن ابن سيرين ما يشهد لحديث سعيد هذا ، وفيه أنه ذكر فتنة تكون فقال : إذا كان ذلك فاجلسوا في بيوتكم حتى تسمعوا على الناس بخير من أبي بكر وعمر. قيل : خير من أبي بكر وعمر ؟ قال : قد كان يفضل على بعض الأنبياء[249]. وفي لفظ : لا يفضل عليه أبو بكر وعمر[250]. وسنده صحيح إلى ابن سيرين ، وقول سعيد وابن سيرين في المهدي ليس هو من قبيل الرأي ولابد أن يكونوا تلقوه عن الصحابة ، وحديث سعيد ولو كان من المراسيل فهو مما يعتبر به ويعد من أقواها . قال الشافعي رحمه الله تعالى : ليس المنقطع بشيء ما عدا منقطع سعيد بن المسيب . وقال أبو حاتم : يعني ما عدا منقطع ابن المسيب أن يعتبر

---

(249) رواه بهذا اللفظ نعيم في الفتن عن ابن سيرين من وجهين (356/1و358) ، وذكره السيوطي في العرف الوردي وقال : في هذا ما فيه ، وقد رواه ابن أبي شيبة في المصنف قال : ثنا أبو أسامة عن عوف عن محمد بن سيرين قال : يكون في هذه الأمة خليفة لا يفضل عليه أبو بكر ولا عمر . وهذا إسناد صحيح ، وهذا اللفظ أخف من اللفظ الأول . والأوجه عندي تأويل اللفظين على ما أول عليه حديث : (بل أجر خمسين منكم) وليس المراد بهذا التفضيل الراجع إلى زيادة الثواب والرفعة عند الله . الحاوي (77/2) الحديث عند ابن أبي شيبة (198/15) ، ورواه الداني في الفتن (953/5) وكلام السيوطي في المفاضلة والرفعة فيه نظر .

(250) رواه ابن أبي شيبة والداني .

به[251]. وقال أحمد بن حنبل وأبو عمر بن عبد البر : مرسلات سعيد صحاح[252]. وقد وصل حديث سعيد ، إسماعيل بن عياش واختلف عنه ، ذكر ذلك الدارقطني وقال : وروى عنه عن عمرو بن دينار عن سعيد عن طلحة عن رسول الله ﷺ ، ولا يصح ما سمع ابن عياش عن عمرو بن دينار . قلت : قصروا في إسناده فقد رواه الطبراني عنه عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن دينار به ، قال الهيثمي فيه المثنى وهو متروك[253]. وروى نعيم حديث سعيد من قوله من طريق عبدالرزاق وابن المبارك من غير الإفصاح عن اسم الرجل المبهم ، ورواه من وجه آخر عن مُحَمَّد بن بشر عن ابن المسيب وعن يحي بن سعيد عن ابن المسيب وعن مُحَمَّد بن يزيد عنه[254].

وخلاصة الكلام في إسناد هذا الحديث هو أن هذا الإبهام في الإسناد لا يضر ، وقد احتمل رواية الحديث ابن المبارك وعبدالرزاق ، ولم يلتفتوا لإبهام هذا الرجل ، وذلك والله أعلم لاعتبارهم صحة الحديث إلى سعيد ، ومعمر قد يكون هو الذي كتم اسم شيخه بطلب من هذا الشيخ ، وذلك لغرابة متن الحديث ونفرة بعضهم من أن يتهم بالتشيع من أجل مثل هذه الرواية وهذا وارد وممكن وقوعه جراء هذه الرواية ، وقد دارت طرق هذا الحديث المتصل عن سعيد على عمرو بن دينار ويحي بن سعيد والزهري ، وقد أعلها جميعها

---

(251) المراسيل لأبي مُحَمَّد عبد الرحمن بن أبي حاتم (14) .

(252) العدة للفراء (920/3) ، والتمهيد لابن عبد البر (48/24) .

(253) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (319/7) .

(254) رواه نعيم عن مُحَمَّد بن بشر عن ابن المسيب وعن يحي بن سعيد عن ابن المسيب ، وعن مُحَمَّد بن يزيد عنه (338/1و 339) .

الدارقطني رحمه الله[255]. وذكره نعيم عن قتادة أيضاً عن سعيد إلا أنه كرواية معمر غير موصولة وروي عن إسماعيل بن عياش عن صفوان عن ابن جبير عن كثير عن ابن عمرو عن النبي ﷺ قال : (يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي أن هذا المهدي فاتبعوه)[256]. رواه عنه عبد الوهاب بن الضحاك واتهم بهذا الحديث ، وكل هذه الطرق والألفاظ في الصيحة تدل على أن لهذا أصلا كما قلت سابقا ، والخلاصة في أمر حديث سعيد رحمه الله هو أن الرجل المبهم في الإسناد لا يخرج عن هؤلاء الثقات يحي والزهري وقتادة ، وذلك لقول علي بن المديني : نظرنا فإذا يحي بن سعيد يروي عن سعيد ما ليس يروي أحد مثلها ، ونظرنا للزهري عنه مثل ذلك ونظرنا فإذا قتادة يروي عن سعيد شيئا لم يروه أحد[257].

وروي في النداء عند خروج المهدي عن علي وابن عمرو وشهر بن حوشب وأبي جعفر ومُحَمَّد بن علي وعاصم بن عمر البجلي ، وهذا مما يدل على أن للنداء أصل من كلام رسول الله ﷺ ، وإلا ما كان لها هذا الكم من الروايات التي من المستبعد أن تكون كلها مكذوبة ، وكفى بالقرآن إثباتا على صحة وقوع الصيحة ، وما ذكرت هذا الحديث إلا استئناساً على أن تحققها إنما يكون في زمن المهدي .

---

(255) العلل (213/4) .

(256) رواه الطبراني في مسند الشاميين (71/2) .

(257) سؤالات ابن أبي شيبة (84) . قلت : وكذلك عرف عن معمر الحذف إذا روى من حفظه . قال أحمد : معمر يحدث حفظا فيحذف منها . من الأحاديث . وكان أطلبهم للعلم . مسائل أحمد لابن هانئ (207/2) .

وما ذكره مُحَمَّد بن سيرين رحمه الله عند وقوع الفتنة أنه عليهم الجلوس بالبيوت حتى يسمعوا على الناس بالمهدي ، يعيدنا إلى إتمام الكلام الذي بدأته أول الكتاب عن الاعتزال ، وأنه سنة عند الفتن ، لا كما يقول الجهال من ضلال الحدثاء : إنما يفعله المعتزلة !! . ومثل هذا القول لا يستحق الرد ، لأنه يكفي مجرد ذكره عند من يعلم أن قائله من أجهل الخلق بحقيقة أقوال رسول الله ﷺ إذ لم يدرك الفرق بين أوامر رسول الله بالاعتزال عند الفتن وحقيقة مذهب المعتزلة ، فنسب أمر رسول الله ﷺ إلى هؤلاء ، ومثل صاحب هذا القول الأنسب ضربه بالنعال على رأسه ليحس أنه جاهل ، لا الرد العلمي على قوله.

والاعتزال عند الفتن التي تسبق التمكين للمهدي آكد ، فقد تواترت الأحاديث وأقوال الصحابة في تأكيد هذا الأمر ، وأنه عند حصول التفرق في آخر الزمان يجب الاعتزال وهو لم يَأمر عند ذلك بالاعتزال إلا لخير المسلم وشفقة عليه حتى لا يخالط الفتن وأهلها فيهلك ، وفتن آخر الزمان قد بين أنها مهلكة من تشرف لها تشرفت له ، تبطح الرجل فتقلبه عن الإيمان ، وقد بين رسول الله ﷺ مراتب أحوال الناس فيها ولا مزيد على بيانه ، روى عبادة عن رسول الله قوله : (ستكون فتن لا يستطيع المؤمن أن يغير فيها بيد ولا بلسان)[258]. وعن حذيفة : الفتنة مرسلة من الله ليس أحد رادها ولا أحد مانعها وليس أحد متروك يقول الله الله إلا قتل ، ثم يبعث الله قوما قزعا كقزع الخريف[259]. وجاء عن مُحَمَّد بن مسلمة لما وقعت الفتنة أنه قيل له بعد اعتزاله

(258) رواه الطبراني في الشاميين (386/1) ، والداني في الفتن (222/1) ، وفي إسناده عند الداني قصور .
(259) المستدرك (503/4) .

أصلح بينهم فأبى[260]. وهذا ابن سيرين رحمه الله وهو يرشد ويحدث بالاعتزال عند الفتنة التي تسبق ظهور المهدي ، يعتزل عند فتنة ابن الزبير ، قال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين : قال لي عبيدة وأنا بالكوفة قبل فتنة ابن الزبير : أُفرغ من ضيعتك ثم انحدر إلى مصرك فإنه سيحدث في الأرض حدث . قلت : فما تأمرني ؟ قال : تلزم بيتك . قال : فلما قدمت البصرة وقعت فتنة ابن الزبير[261].

---

(260) رواه الداني في الفتن (357/2) ، وقد روي من غير ذكر الإصلاح من طرق كثيرة رواها ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وابن بطة .

(261) عبد الرزاق في مصنفه (366/13) . لقد اشتهر هذا الوصف عندهم لولاية ابن الزبير، وفيه تجني على هذا الصحابي وسيرته ، وهو والحسين من جماعة لم يبايعوا ليزيد في حياة معاوية ، وأرادهم معاوية لذلك فأبوا عليه فتركهم ، ولما مات معاوية بادر ابن عمر بالبيعة وامتنع ابن الزبير والحسين ولم يروه أحق بالخلافة من دون الصحابة من قريش ، وقد أخطأ ابن عمر بالمبادرة بالبيعة ليزيد قبل اجتماع الناس عليه ، وخلاف من ترك بيعته معتبر، والدليل على أن ابن عمر لم يصب الحق بذلك ، أنه لم يبايع عليا من قبل بحجة عدم الاجتماع ، ولم يبايع ابن الزبير حين اجتمع عليه الناس إلا الأردن ، وكان يتذرع بالخلاف وعدم الاجتماع ، وكلمة الحق التي يجب أن تذكر أن مذهب ابن عمر في الخلاف مضطرب لا كما قال سفيان ، ولهذا كان مذهب سفيان لا يستقيم بالمحاججة لاعتماده على مذهب ابن عمر ، والغريب أن ابن عمر ندم في آخر عمره أنه لم يقاتل ابن الزبير، في حين أنه كان يجب مبايعته لعبد الله بن الزبير بعد موت معاوية بن يزيد ، لأن الأخير أمر الضحاك أن يصلي بالناس حتى يختاروا لأنفسهم إمام ، فلما مات قام بأمر الناس الضحاك ودعا لابن الزبير ، وهو من أهل الشوكة وقد فوضه معاوية ، وهذا اجتماع ، حتى قيل أن مروان بايع لعبد الله بن الزبير ورحل لمقابلته ثم عدل عن ذلك والكلام في هذا يطول ومن الضروري بيان تفصيل حقيقته ، إلا أنه ليس هذا مكان تفصيله ، وما دعاني للوقفة هنا عند هذا الأمر القديم ما تفوه به ابن باز عند كلام له على ولاية وبيعة حكام زمانه ، فخطّأ ابن الزبير لتركه بيعة يزيد وافترى عليه بأن سبب تركه بيعة يزيد لاعتقاده أن يزيد ليس بمسلم ولا يستحق أن يبايع لذلك ، فقال : وهذا اجتهاد من ابن الزبير له فيه عذره الشرعي والله يعفو عنا وعنه وعن كل مسلم . وهذا الكلام فيه تلبيس أجأه إليه احتجاج من لا يرى بيعة ولاته بسيرة ابن الزبير ، وهذا قياس مع الفارق من كل وجه . وهؤلاء على رأيهم القديم في توطئة النصوص لباطلهم في أحكام البيعة والجماعة ، حتى التزموا هذا القول في ولاية ابن الزبير ذباً عن حكم بيعة ولاتهم التي لا تصح بحال ، سواء قيل ابن الزبير لم يبايع يزيد لكفره أو لأنه يراه غير أهل للولاية في زمن الصحابة ، بل إقرار شرعية ولاية هؤلاء وأمثالهم هو على خلاف الدين وما نص عليه رسول الله في خصوص أمرهم ، ويتعلقون لعقيدتهم في الولاة بما ذهب إليه ابن عمر رضي الله عنه ، للترويج لباطلهم ، في==

وإني لأعجب من هؤلاء جميعا وهم ينكرون الاعتزال في زماننا[262] ونحن في فتن آخر الزمان التي أخبر رسول الله ﷺ أنها تكون قبل المهدي ولا ترفع إلا

==حين أنه حتى مذهب ابن عمر لا يستقيم لهم بالاحتجاج على باطلهم ، ولا حتى ما ذهب إليه سفيان ، ولا أحمد حتى . وما يذهب إليه هؤلاء ظاهر البطلان لمن هداه الله تعالى إلى اتباع أمر رسوله ، وإنما راج في زمان قبض العلم وظهور الحدثاء السفهاء لغلبة الهوى على الناس والجهل . وبخصوص من أشرت إلى كلامه في ابن الزبير وحكم ولايته ، فهوليس بأهل للكلام في هذا الأمر لا قديماً ولا حديثاً ، خصوصا بعد ما ثبت عنه التلون في الدين ، وثبت ذلك عندي في أمرين :

الأول : إقراره الصلح مع اليهود حين صار ذلك مطلبا لولاته وفقا للسياسة العالمية ، لا السياسة الشرعية ، فقد ترك هذا الرجل سنة الله في اليهود ، وهي العودة بهم لبيت المقدس لإهلاكهم كما نص على ذلك كتاب الله تعالى وسنة نبيه ، وسلك سنة اليهود والنصارى وأشياعهم في وجوب التعايش مع اليهود بسلام وأمان ، وقد حرم الله تعالى ذلك عليهم كلما دخلوا المسجد الأقصى وأفسدوا فيه ، وما زلت متعجباً من احتجاجه لباطله هذا بصلح الحديبية ، ومن المعلوم أن صلح الحديبية عقد بوحي من الله تعالى لرسوله حين أمر الناقة بالبروك دونهم وحبسها عن المسير، على عكس هؤلاء فالشرع أمر بجهادهم بدليل إخبار رسول الله عن القتال مع اليهود والنصارى آخر الزمان ، فهل يجاز الصلح شرعا لمن فرط بأمر الله ، لا بل ارتكب محارم الله بولاية اليهود والنصارى .

الثاني : أنه كان في حياة شيخه مُحَمَّد بن إبراهيم رحمه الله تعالى يتبرأ من مبدلي الشريعة ويكفرهم ، فعاد بعد موته يقر لهم بالولاية وينهى عن عداوتهم والبراءة منهم ، حتى صار في هذه الفتنة جنة لأعداء الله تعالى وفتنة لأوليائه وغداً يعرف من الضال المضل . راجع شريط (أقوال العلماء في طاعة الولاة) .

(262) ينكرونه أشد الإنكار ويرون فاعله ضال عن نهج الرسول والسلف الصالح ، والحق أنهم هم أهل الضلالة والزيغ ، والاعتزال معارض لبدعتهم التي ابتدعوها وجمعوا الناس لها ، والخير فيما أرشد إليه رسول الله كما ورد في جميع أحاديثه عليه السلام من التحذير من الفتن والهرج ، والأمر بترك الناس وأحوالهم إذا أعجب كل منهم برأيه ، وظهر الشح ، وانفتق أمر في الخلق لا طاقة لمخلوق في إصلاحه ، ولن يكون ذلك إلا إذا دبر الله أمراً ، وقدر بحكمته ما على المؤمنين فيه إلا أن يتركوا الخلق لخالقهم ، ولهذا أمروا آخر الزمان عند الفتن أن يفروا بدينهم ويعتزلوا الناس ويعتنوا بخاصتهم ،والناظر لما ذُكر بهذا الكتاب يدرك الحكمة من الأمر بالاعتزال عندها . وأما هؤلاء الحدثاء ورؤوسهم المفتونة فيأبون إلا ترك السنة واتباع الرأي ، و كنت قد وقفت قديما على ورقتين مستنسخة من الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى نشرها أحداث من أتباع هؤلاء معنونة بـ(الصواعق المحرقة على من ترك الجماعة والجمعة) يريدون بهذا إنكار أن الاعتزال عند الفتنة سنة وواجب ، وهذا من جهلهم بالدين ومروقهم عن السبيل الحق ، فالأمر بالاعتزال عند الفتن هو أظهر من أن يخفى إلا عندهم ، فقد التبس عليهم دينهم ولم يعودوا يفرقون بين السنة والبدعة ، وقالوا في مقدمة المنشور : هذه كلمات نيرات لشيخ الإسلام يرد فيها على فئام من==

==الناس قد تركوا الجمعة والجماعة ، وهم في ذلك قد شابهوا الفرق الضالة المبتدعة كالروافض وغيرهم في ترك الجمعة والجماعة ، وهذا الأمر من الأمور المهمة التي يستطيع أن يميز بها المرء المسلم الفرقة الناجية من الفرق الضالة عن الصراط المستقيم ا هـ . وكان نص السؤال الوارد على شيخ الإسلام في حكم الصلاة خلف المرازقة ، وعن بدعتهم . فأجاب رحمه الله عن حكم الصلاة خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقا ، وبين أنه ليس من شرط الإئتمام العلم بإعتقاد الإمام ولا امتحانه ، ونص على أن الإمام المبتدع أو الفاسق وهو الإمام الراتب الذي لا تمكن الصلاة إلا خلفه ، كإمام الجمعة والعيدين والحج ونحو ذلك ، فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السلف والخلف . وقال رحمه الله في جوابه : فإذا لم تجد إماما غيره كالجمعة التي لا تقام إلا بمكان واحد ، وكالعيدين وكصلوات الحج خلف إمام الموسم فهذه تفعل خلف كل بر وفاجر باتفاق أهل السنة والجماعة ، وإنما يدع مثل هذه الصلوات خلف الأئمة أهل البدع كالرافضة ونحوهم اهـ . وخلاصة الفتوى منه الكلام في حكم الإئتمام بإمام لم يعرف منه بدعة ولا فسق ، وأيضا الكلام على الصلاة خلف الأئمة في صلاة العيد والجمعة وصلاة الحج ، وهذا كله من كلامه في غير ما نحن فيه ، وإنما حملها هؤلاء من فرط جهلهم على من يترك صلاة الجماعة في زماننا هذا لأصلهم الفاسد ، وهو أنهم ليسوا الآن في زمان الفتن التي أخبر عنها رسول الله ، الفتن الموجبة للاعتزال كما نصت على ذلك أحاديث صحيحة كثيرة . وهذا المنشور يكشف مبلغ الجهل الذي وصل إليه هؤلاء حتى تعطلت مداركهم الطبيعية وانقلبت الموازين عندهم ، وما عادوا يفرقون بين السني والبدعي . والدليل على جهلهم وأنهم لا يفهمون الكلام المنقول ، هو أن كلام ابن تيمية مبني على السؤال عن حكم الصلاة خلف المرازقة وعن بدعتهم ، كما هو مثبت في أول المنشور المذكور والفتوى عن أصحاب هذه البدعة وحكم الصلاة خلفهم . وابن تيمية لم يكن يرى أنه مدرك للفتن الموجبة للاعتزال ولم يكن يعتقد ذلك حتى يحمل كلامه على ما حمله هؤلاء الجهال . . ، وإلا لتعارض كلام ابن تيمية مع نفسه ، فقد كان يصوب ويقر ما كان عليه المرازقة في زمان الفتنة في مبدأ أمرهم ، ثم لما انتهت الفتنة وزال موجب عملهم هذا صار من يقول بقولهم مبتدع ضال عند شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ، بعد ما كان فعلهم عنده جائز، فعاد مدار الحكم والجواب على السؤال يدور مع حكم العمل في حال تحقق الفتنة وجوداً وعدماً ، مما يقطع الطريق على هؤلاء الذين يحملون كلام ابن تيمية على أهوائهم وينزلونه على غير منازله ، ولهم مثل ذلك في كلام الأئمة الكثير مما يثبت أنهم جهلة وأصحاب أهواء .

قال رحمه الله تعالى : وكان بعض الناس إذا كثرت الأهواء يجب أن لا يصلي إلا خلف من يعرفه على سبيل الاستحباب ، كما نقل عن أحمد انه ذَكَرَ ذلك لمن سأله ، ولم يقل أحمد أنه لا يصلح إلا خلف من أعرف حاله . ولما قدم أبو عمر عثمان بن مرزوق إلى ديار مصر وكان ملوكها في ذلك الزمان مظهرين للتشيع ، وكانوا باطنية ملاحدة ، وكان بسبب ذلك قد كثرت البدع وظهرت بالديار المصرية ، أمر أصحابه أن لا يصلوا إلا خلف من يعرفونه لأجل ذلك ، ثم بعد موته فتحها ملوك السنة مثل صلاح الدين وظهرت فيها كلمة السنة المخالفة للرافضة ، ثم صار العلم والسنة يكثر فيها ويظهر . فالصلاة خلف المستور جائزة بإتفاق علماء المسلمين ، ومن قال أن الصلاة محرمة أو باطلة خلف من لا يعرف حاله فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة اهـ . فانظر أخي المؤمن كيف انقلب الاستدلال بكلام شيخ الإسلام عليهم لا لهم مع الاستدلال المستقيم ، إذ أن الحال في==

به ، وأَمَرَ عندها بالاعتزال ، وهذا ابن سيرين يعتزل وعلى الناس ابن الزبير وهو من الصحابة من قريش[263] .

فماذا يقول هؤلاء لو أدرك ابن سيرين ما نحن فيه ، أيرونه ينكر الاعتزال ؟! . ويقولون نحن أتباع السلف ! ، لا بل أنتم أتباع أنفسكم والهوى ، وإني أشهد الله تعالى أن هؤلاء ليسوا على سنة رسول الله ﷺ والسلف الصالح ، وهم ليسوا منا ولسنا منهم ، وقد حذرنا رسول الله ﷺ منهم ، وأخبرنا أنهم يغيرون السنن ويحدثون البدع ويتبعون الهوى ولا ينكرون الفتن بل تراهم يُشربونها قلوبهم ولا يردعهم عنها رادع من تقوى أو علم .

==وقتنا أشبه بزمان أبي عمر بن مرزوق بل اشد وأخبث مهما بلغوا من الرفض في ذلك الوقت ، إذ أن عامة الناس في مصر في ذلك الوقت لم تكن ميالة لهم . وأما قول أصحاب المنشور : وهذا الأمر من الأمور المهمة التي يستطيع أن يُمَيز بها المرء المسلم الفرقة الناجية من الفرق الضالة عن الصراط المستقيم.أي ترك الجمعة والجماعة ، وهذا من جنس قول صاحبهم المردود عليه هنا كما ورد في أول الكتاب ، أن الصلاة اليوم لا يتركها مع الجماعة إلا منافق ، بل والحق لله قولهم وطريقتهم أخبث ، فهم حرب على سنة المصطفى عليه السلام وقد جعلوا إقامة الجمعة علامة للفرقة الناجية التي يدّعونها لجماعتهم هم ، ويكفي لبطلان قولهم حديث حذيفة الذي بوب له البخاري في الصحيح قوله : باب : كيف الأمر إذا لم== ==تكن جماعة ؟ وفي الحديث قوله : فما تأمرني يا رسول الله إن أدركني ذلك ؟ قال : (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركَ الموت وأنت كذلك) والأمر يفيد الوجوب هنا ، ويجب عليه الآن على حسب هذا الحديث الاعتزال ، وهو على خلاف مذهب أصحاب المنشور وشيوخهم ، وذلك لانعدام الإمام وجماعته ، وقد بينت السنة أن الاعتزال هنا يقتضي ترك جمعتهم وتجمعاتهم ، ويعتبر هذا الحديث نص فيهم وفي المهدي .

(263) وابن عمر كان يمتنع من بيعته ما لم يجتمع الناس ، وكان يقول : أكره أن أبايع أميرين من قبل أن يجتمع الناس على أمير واحد . ذكره الهيثمي (222/5) وقد ثبت عنه رفض بيعة يزيد بحياة معاوية . وانظر إلى الحال اليوم فكم أمير على الناس ، فهل ترى هؤلاء على مذهب ابن عمر حقيقة ، لتعلم أن السلف يبرؤون مما عليه هؤلاء الحثالة . قال ابن مسلمة قال رسول الله : (إذا رأيت الناس يقتتلون على الدنيا فاعمد بسيفك على أعظم صخرة في الحرة ، ثم اجلس في بيتك) رواه الطبراني . اللهم جلسنا .

قال حذيفة : وكلت الفتنة بثلاث ، بالحاد النحرير الذي لا يريد أن يرتفع له منها شيء إلا قمعه بالسيف ، وبالخطيب الذي تدعو إليه الأمور ، وبالشريف المذكور ، فأما الحاد فتصرعه ، وأما هذان فتبحثهما حتى تبلو ما عندهما[264]. وعن ابن مسعود وذكر فتنة فقال : يخرج الرجل من بيته ومعه دينه ، فيرجع وما معه شيء منه[265]. وعنه قال : إنكم في زمان القائل فيه بالحق خير من الصامت والقائم فيه خير من القاعد ، وإن بعدكم زمانا الصامت فيه خير من الناطق والقاعد فيه خير من القائم[266]. وعنه ﷺ قال :كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت[267]. وقال علي : تعلموا العلم تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، فانه سيأتي بعد هذا زمان لا يعرف فيه تسعة عشرائهم المعروف ولا ينجو منه إلا كل نومة ، فأولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا المساييح ولا المذاييع البذر[268]. قال الدارمي رحمه الله تعالى : نومة غافل عن الشر ، والمذاييع البذر كثيروا الكلام . وعند ابن وضاح قيل لعلي ما النومة ؟ قال : الرجل يسكت بالفتنة فلا يبدو منه شيء . وعنه عند أبي نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب قال : طوبى لعبد يعرف الناس ولا يعرفونه ، يعرفه الله برضوان ، أولئك مصابيح الهدى ، وليسوا بالمذاييع ولا البذر ، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة .

---

(264) نعيم (142/1) ، والداني (230/1) .

(265) الحاكم في المستدرك (437/4) .

(266) الحاكم في المستدرك (431/4) .

(267) الدارمي (80/1) .

(268) رواه الدرامي (81/1) ، وأخرجه أحمد في الزهد والفضائل ، وابن وضاح في البدع (62) ، وأبو نعيم في الحلية (76/1) ، ووكيع في الزهد (531/2) ، ومثله عن ابن مسعود عند ابن أبي شيبة (292/13) ، وابن المبارك في الزهد (503) .

وهذه الفتن التي كان رسول الله ﷺ يحذر أمته من شرها ، مميتة للقلوب والعياذ بالله ، ولهذا كان من رحمته بأُمّته أمرهم بمجافاتها وأهلها ، وحث على الابتعاد عنهم بقدر الإمكان ، لا مخالطتهم والدخول في أمورهم كما يفعل هؤلاء السفهاء مخالفة لأمر رسول الله ﷺ . قال ابن عمر : قال رسول الله : (ليغشين أمتي بعدي فتن يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه)[269]. وقال الضحاك سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن بين يدي الساعة فتن كقطع الدخان يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه)[270]. وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج ، ويميت الله قلوب أهل ذلك الزمان كما يميت أبدانهم)[271]. وعن الحسن عن رسول الله ﷺ : (يكون بين يدي الملحمة فتن يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه)[272]. وغير هذا كثير مما فيه التحذير من فتن آخر الزمان ، وهو زماننا هذا وناحيتنا هذه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : (إذا تقارب الزمان أناخ بكم الشرف الجون ، فتن كقطع الليل المظلم)[273]. قال الخطابي : يريد الإبل السود المسان شبه بها الفتن ، وقد روي أيضا بلفظ : (الشرق) أي الجائية من قبل المشرق[274].

وها هو الزمان يتقارب والفتن أتت من المشرق ، وقد أناخت بالناس وأماتت قلوب خلق لا يحصيهم إلا مالك الملك عالم الغيب والشهادة ، وما

---

(269) نعيم (14/1) .

(270) ابن سعد (410/7) .

(271) أبو يعلى (184/11) ، وله شاهد عند نعيم (67/1) .

(272) الداني في الفتن (219/1) .

(273) نعيم (28/1) .

(274) إصلاح غلط المحدثين (111) قال العسكري : رواه أكثر أصحاب الحديث بالشرف . ومما عجبت منه أن القتيبي رواه : بالشرق . وفسره فقال : أمور تأتي من قبل المشرق . تصحيفات المحدثين (84) .

سلم منها حتى أكثر الذين يدعون الصلاح والإصلاح ، تجدهم بأحلام العصافير ويريدون أن يصلحوا هذا الجيل ويغيروا زعموا ! ، وهم معرضون عن أوامر رسول الله ﷺ وتوجيهه ، لا بل يسخرون ممن أطاعه وسلم لأمره ، قاتلهم الله ما أكثر جهلهم ، وتراهم لا يخشون الفتن على أنفسهم ، بل يرون أنفسهم بخير ونعمة وأحسن حال ، وأمان واستقرار ، وما ذلك إلا لأنها في حقيقة الأمر سَلَبَتْ منهم الفتن البصيرة وأماتت فيهم القلوب ، وهم إلى اليوم لا يعرفون هذه الفتن ولا ينكرونها ، وانظر إلى كلام حذيفة في حال من لم ينكر هذه الفتن قال : تعرض فتنة على القلوب ، فأي قلب أنكرها نكت في قلبه نكتة بيضاء ، وأي قلب لم ينكرها نكت في قلبه نكتة سوداء ، ثم تعرض فتنة أخرى على القلوب فان أنكرها القلب الذي أنكرها في المرة الأولى نكت في قلبه نكتة بيضاء وإن لم ينكرها نكتت نكتة سوداء ثم تعرض فتنة أخرى على القلوب فإن أنكرها الذي أنكرها في المرتين الأوليين اشتد وابيض وصفا ولم تضره فتنة أبداً وإن لم ينكرها في المرتين الأوليين اسودَّ وارتد ونكس فلا يعرف حقا ولا ينكر منكرا . رواه الحاكم وصححه[275].

والقلب الأبيض قلب المهدي وقلوب كل الذين سيحشرون له من أقطار الأرض ، والقلوب السوداء المنكوسة هي قلوب هؤلاء الحدثاء الذين لم ينكروا الفتن ، ومن على شاكلتهم من عامة الناس ، وذلك لأن حذيفة هنا يتكلم عن الفتن وعرضها على سبيل التعيين لا على العموم ، ولذا قيد العرض بالثلاث ، ويريد بذلك فتن آخر الزمان ، الفتن الشداد ، فقد جاء تخصيصه لهذه الثلاث

(275) المستدرك (468/4) ، ونعيم (63/1) .

بأنها لا تكاد تذر شيئا ، فقال : قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن الفتن يعدها منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا . رواه مسلم[276]. وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رفعه : (وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا)[277]. وهذا الحديث فيه التصريح بأنها تصيب آخر الأمة ، ومثله ما صرح به عمر رضي الله عنه عندما سأل حذيفة عن الفتن قال : إنما أسألك عن الفتنة التي قبل الساعة تموج كموج البحر[278]. ورد هذا في الحديث الذي رواه حذيفة عن هذه الفتن وكيف عَرْضُها على القلوب ، وقد حدث به عمر رضى الله عنه لما سأله عن الفتن ، ولفظ الحديث في الصحيحين عن العرض فيه اختصار وقد ساقه الحاكم في المستدرك بأكثر تفصيل ، ونص على أن العرض يكون ثلاث مرات ، ويريد بهذا الفتن المعينة في حديث ابن عمر : (فتنة الأحلاس والسرى والدهيماء) ولفظ الحديث كما ورد في الصحيح : (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخياً لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه)[279]وهذا فيه اختصار مخل في معنى الحديث ، وسياق الحديث عند الحاكم أجود منه في الصحيحين كما نقلته قبل قليل وابن عمر رضي الله عنه كما ذكرت سابقا روى أن هذا كائن آخر الزمان ، وساق عن رسول الله ﷺ تفصيل أحوال هذه

---

(276) سبق تخريجه في الفصل الثاني حاشية رقم (5) .

(277) سبق تخريجه في الفصل الثاني حاشية رقم (1) .

(278) الطيالسي (55) .

(279) سبق تخريجه في الفصل الثاني حاشية رقم (2) .

الفتن التي تعرض على القلوب ولا بأس من إعادة ذكره هنا للفائدة قال : كنا عند رسول الله فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس فقال قائل : يا رسول الله وما فتنة الأحلاس ؟ قال : (هي هرب وحرب ، ثم فتنة السرى دخنها[280] من تحت قدم رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني إنما أوليائي المتقون ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع ، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة ، فإذا قيل انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافراً حتى يصير الناس إلى فسطاطين : فسطاط إيمان لا نفاق فيه ، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده) وروى ﷺ عن رسول الله ﷺ قوله : (إن الفتنة تجيء من ها هنا . وأومأ بيده نحو المشرق . حيث يطلع قرن الشيطان ، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض)[281] وهذا كله على سبيل التعيين لزمان ومكان الفتنة .

وفي ختام هذا الفصل أنقل الأحاديث والآثار التي جاء فيها أن المهدي يخرج عند هذه الفتن التي يجب على المؤمن إذا ما أدركها أن يعتزل شرها ويتجنب دعاتها حتى يدرك المهدي أو يدركه الموت طالباً السلامة منها كما أَمر بذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام .

---

(280) عند نعيم بن حماد لفظ لهذا الحديث فيه قوله : (يخرج دخنها) وهذا يشهد لما قررت سابقا أن المراد بالدخن هنا الحقيقة لا المجاز . كتاب الفتن لنعيم (57/1) .

(281) سبق تخريجه في الفصل الثاني حاشية رقم (6) .

الحديث الأول : عن حذيفة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال : (تكون إمارة على أقذاء وهدنة على دخن) قلت : ثم ماذا ؟ قال : (ثم ينشأ دعاة الضلالة ، فإن كان لله في الأرض خليفة جلد ظهرك وأخذ مالك فالزمه وإلا فمت وأنت عاض على جذل شجرة) قلت : ثم ماذا ؟ قال : (ثم يخرج الدجال)[282].

الحديث الثاني : عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ : (يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن ، رجل يقال له السفاح ، يكون عطاؤه حثيا) وفي لفظ : (يقال له المهدي) وقد رواه مسلم من وجهين من غير ذكر المهدي أو السفاح ، وفي لفظه اختلاف ، وفيه أنه يكون آخر الزمان [283].

الحديث الثالث : عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال : (ستكون بعدي فتن منها فتنة الأحلاس ، يكون فيها هرب وحرب ، ثم من بعدها فتن أشد منها كلما قيل انقطعت تمادت حتى لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ولا مسلم إلا وصلته ، حتى يخرج رجل من عترتي) قال السلمي في عقد الدرر : له شاهد في صحيح البخاري حديث عوف بن مالك : (أعدد ستا بين يدي الساعة ،...وفتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته)[284].

---

(282) الحاكم في المستدرك (341/11) ، وأحمد ، وأبو داود ، وغيرهم . راجع (86/1) .

(283) سبق تخريجه والتعليق عليه حاشية رقم (135) من هذا الفصل .

(284) نعيم في الفتن (58/1) ، وذكره السلمي (120) .

الحديث الرابع : عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ بلاء يصيب هذه الأمة ، حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم (فيبعث الله رجلا من عترتي)[285].

الحديث الخامس : عن علي رضي الله تعالى عنه سأله رجل عن المهدي فقال : ذاك يخرج في آخر الزمان ، إذا قال الرجل : الله ، الله ، قتل ، فيجمع الله تعالى له قوما قزعاً كقزع السحاب . الحديث[286].

الحديث السادس : (وهو من الآثار) فعن ابن سيرين عن أبي الجلد قال : تكون فتنة بعدها الأخرى ، فما الأولى في الأخرى إلا كثمر السوط يتبعه ذباب السيف ، ثم تكون فتنة تستحل فيها المحارم كلها ، ثم تجتمع على خيرها تأتيه وهو قاعد في بيته[287].

الحديث السابع : (وهو من الآثار أيضاً) عن مُحَمَّد بن علي لما ذكر له المهدي قال : قبل ذلك فتنة شر فتنة ، يمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً[288]،

---

(285) رواه عبد الرزاق (371/11) ، وعند الحاكم (465/4) في أن البلاء من جهة السلطان . والواقع شاهد لهذا الحديث فالمؤمن طريد منبوذ ، تتبادل تسليمهم الأنظمة كالسلعة ، وجن جنونهم في السنوات الأخيرة على الدعاة المخلصين وغير المخلصين ، وحقيقة طلبهم هو دين مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام .

(286) سبق تخريجه .

(287) عبد الرزاق (372/11) ، ونعيم (60/1) .

(288) قال الحسن معناه : يصبح محرماً لدم أخيه وعرضه وماله ، ويمسي مستحلاً له ، ويمسي محرماً له ويصبح مستحلا له . ذكره الترمذي (488/4) . وقصر المعنى على ما ذكر الحسن فيه نظر ، بل هو على ظاهره ==

ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً ، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله تعالى وليحرز دينه ، وليكن من أحلاس بيته[289] . وهذه الفتنة التي لا تنقضي إلا بتمكينه جاء في حديث ابن عمر أن اسمها (الدهيماء) وهي التي تعقب فتنة السرى ، فتنة صدام وهي على هذا الفتنة التي نحن فيها اليوم نسأل الله السلامة والنجاة لنا ولكل عباد الله تعالى المخلصين الأتقياء . قال الخطابي : والدهيماء ، تصغير الدهماء على مذهب المذمة لها . ووصفها بأن فيها الرجل يصبح مؤمنا ويمسي كافراً ، ورد ذلك في أكثر من حديث ، وأصرح حديث جاء في أنها تكون في آخر الزمان حديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : (يكون في آخر الزمان فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً) وعن أنس : (ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً ، ويبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا يسير)[290] ومثله عن النعمان بن بشير ، رواه الحسن البصري وقال الحسن في القوم الذين يبيعون دينهم : لقد رأيتهم صوراً ولا عقول ، وأجساماً ولا أحلام ، فراش نار وذباب طمع ، يغدون بدرهمين ، ويروحون بدرهمين ، يبيع أحدهم دينه بثمن عنز[291] . ولقد تعجل رحمه الله في

==يخرج الرجل من الإيمان إلى الكفر وعكسه ، وذلك لإيثار الدنيا ولكثرة الجهل بحدود الله ، يقيده قوله في الحديث : (يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا) رواه الترمذي (488/4) قال ابن مسعود في معنى الحديث : يخرج من بيته ومعه دينه ، فيرجع وما معه شيء منه ، يأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضرا ولا نفعا فيقسم له بالله إنك لذيت وذيت فيرجع ما خلي من حاجته بشيء وقد أسخط الله عليه . رواه الحاكم في الجزء (437/4) ، وعند نعيم عن حذيفة : (يأتي زمان على الناس ، يصبح الرجل بصيرا ، ويمسي وما يبصر بشفرة) (65/1) .

(289) رواه الداني (369/2) .

(290) رواه الترمذي (488/4) ، وأبو يعلى (252/7) ، والحاكم (438/4) ، وصححه والداني (258/1) .

(291) رواه نعيم (47/1) ، والداني (260/1) .

تأويل الحديث وتوهم في جيله ، ولو أدرك هؤلاء لعلم من أحق بوصف الذباب والفراش .

ومُحَمَّد بن علي راوي الأثر الأخير هنا ، ذُكِرَ عنه من وجه آخر في وصف ما يكون قبل المهدي فقال : إذا رأيتم ناراً من المشرق تطلع ليالي ، ثم ينادي منادٍ من السماء بإسم المهدي[292]. وسبق وأن تكلمت على أحاديث النار وبينت أنها تسبق خروج المهدي ، وسقت الشواهد على ذلك ، ودللت على أن المراد بها نار آبار البترول الكويتية التي أوقدها صدام العراق . وهذا الكلام من أبي جعفر مُحَمَّد بن علي منقول من مشكاة النبوة ولا شك ، وإلا ما وجد ما يشهد له ، وسيأتي لاحقا في الفصل الأخير زيادة بيان في أمر هذه النار التي كما قلت هي من أدل العلامات على زمان المهدي المنتظر إلا أن أكثر الناس لا يعلمون .

وأما قوله في الأثر المنقول هنا : فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله تعالى وليحرز دينه ، وليكن من أحلاس بيته . فكل ما جاء من الأحاديث والآثار عن السلف يشهد لهذا القول ، وقد نقلت الكثير من الأدلة لبيان هذا الأصل ، وهو مقرر عند السلف رحمهم الله ، ولا ينكره إلا هؤلاء الحدثاء السفهاء ومشايخهم مشايخ الجهل والسوء والضلال ، فقد حاستهم الفتن والتصقت بهم فلا يجدون منها مهرباً ولا خلاصاً ، وباتوا من وقودها . وهم في هذا الإنكار

(292) سبق تخريجه في الفصل الثاني حاشية رقم (67) .

ليسوا على نهج الرسول عليه السلام ، قال أبو موسى : (إن من ورائكم فتنا كقطع الليل يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب) قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : (كونوا أحلاس البيوت)[293]. وفي هذا الحديث الجمع بين هذين اللفظين ، أعني قوله : (يمسي كافراً ويصبح مؤمنا إلى آخره) ولفظ : (القاعد فيها خير من القائم) واللفظ الأخير ما أكثر ما يذكر الصحابة عن رسول الله ﷺ أنه يكون في زمان الهرج[294]وقول أبي جعفر وأبي موسى الأشعري هنا يدل على أن الهرج يكون قبل خروج المهدي ، وصرح بهذا أبو جعفر هنا وابن عمر وغيرهما ، كما ثبت عن علي ﷺ ، وهذا فيه إلزام لهؤلاء الجهلة في أننا في زمان المهدي ، فإنه لا يسع العاقل اليوم إنكار أننا في زمان الهرج ، وهذا ممن يعد من أبرز دعاتهم اليوم يقول : ولكن حال المسلمين اليوم التي يعيشونها ، حالة دماء وإرهاب وتخريب في كل مكان ! اهـ[295]. وهذا حق وهو حال جميع العالم لا المسلمين فقط فهي سنوات الهرج التي أخبر عنها

---

(293) سبق تخريجه في الفصل الأول حاشية رقم (45) . وروى عنه الترمذي قال : قال رسول الله في الفتنة : (كسروا فيها قسيكم وقطعوا فيها أوتاركم ، والزموا فيها أجواف بيوتكم وكونوا كابن آدم) (490/4) .

(294) كحديث ابن مسعود رفعه : (تكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع .. ، قتلاها في النار) قلت : متى ذلك ؟ قال : (أيام الهرج اكفف نفسك ويدك ، وادخل دارك) رواه نعيم وغيره كما في الفتن (139/1) .

(295) جماعة واحدة لا جماعات (ص75) يريد بالجماعة الواحدة ، جماعته هو ومن لف معها بالباطل من حثالة شرق آسيا وغرب أفريقيا ووسطها ، حتى أمريكا الجنوبية ، المهم أن يكونوا على نهجه في حب أئمة الحديث والتسليم بولاية سلطانه . ومن المعلوم أن أئمة الحديث قد مضوا لما قدموا عند الله ، وكان منهم الشيعي والخارجي وحتى الجهمي ، وهؤلاء لا يعنينا أمرهم اليوم . وأما الأئمة الذين هم أئمة بالسنة والاتباع فنعم حبهم وبغضهم من علامات الإيمان والنفاق ، إلا أنه لا اختصاص لهذا وزمرته بحبهم والثناء عليهم من خصومه ممن يبغض سلطانه اليوم ، ويجب معرفة الفارق هنا ، فإن لهذا أمراً خبيثاً في ادعاء ذاك الولاء تمهيداً لمراده الخبيث ، ولهذا تجده يخرج مبغضي سلاطينه من معتقد أهل السنة من غير اعتبار لحب أئمة الحديث ، وتعود عقدة الولاء والبراء على هذا .

رسول الله ﷺ . قال موسى بن طلحة : أرهب الهرج . قالوا : وما الهرج ؟ قال : الذي كان أصحاب رسول الله يحدثون ، القتل بين يدي الساعة ، لا يستقر الناس على إمام حتى تقوم الساعة ! عليهم وهم كذلك ، وأيم الله لئن كان هذا لوددت أني على رأس جبل لا أسمع لكم صوتا ولا ألبي لكم داعيا حتى يأتيني داعي ربي[296] . وقوله لئن كان هذا يريد قتال ابن الزبير وأهل الشام ، ومراده إن كان هذا هو الهرج الذي أخبر عنه الصحابة .

وعن سعد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إنها ستكون بعدي فتن يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً...) إلى قوله : قلت : فأي الرجال أرشد ؟ قال : (رجل بين هذين المسجدين في قلة يقيم الصلاة لمواقيتها ويحج ويعتمر فلا يزال كذلك حتى تأتيه يد خاطئة أو منية قاضية) .

وعن ابن مسعود وقيل له لو قمت إلى هذين الرجلين . لرجلين يتشاجران . وأمرتهما ونهيتهما ، فقال رجل : عليك بنفسك ، قال عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾[297] فسمع

---

(296) رواه ابن سعد (158/5) ، ونعيم باختصار (158/1) وعن ابن عمر قال : اثنا عشر خليفة ثم النفق والنفاق ، لن يجتمع أمر الناس على إمام حتى تقوم الساعة . رواه نعيم (95/1) ، وذكره الذهبي في الميزان (227/1) وعن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ : (هذا الدين لا يزال عزيزا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش) زاد أبو داود : (ثم يكون الهرج) وكل هذه الأحاديث والآثار تدل على أننا في أيام الهرج ، مما يعني انعدام الإمامة الشرعية ، وهو ما لم يسلم به الحدثاء وأشياخهم رؤوس الجهل والضلالة ، وتعد هذه الأدلة مبطلة لمذهبهم الفاسد .

(297) سورة المائدة (105) .

ذلك ابن مسعود فقال : لم يجيء تأويل هذه الآية بعد ، فما دامت قلوبكم واحدة ، وأهواؤكم واحدة ، لم يلبسكم شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض ، فأمروا وانهوا ، فإذا اختلفت قلوبكم وأهواؤكم وألبسكم شيعاً ، وأذاق بعضكم بأس بعض ، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية ، فامرؤٌ ونفسه[298]. ويشهد له حديث أبي ثعلبه وابن عمرو ، فعن أبي ثعلبه قال : سألت رسول الله عنها يريد آية المائدة فقال : (بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، ورأيت أمراً لا يد لك به ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع عنك أمر العوام ، فإن من ورائكم أيام الصبر)[299]. وعن عبدالله بن عمرو قال : بينما نحن حول رسول الله إذ ذكر الفتنة فقال : (إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا . وشبك بين أصابعه) فقلت : كيف أفعل عند ذلك ؟ قال : (إلزم بيتك وأملك عليك لسانك) وعند البيهقي : (عليك بنفسك وإياك وعامة الأمور) وعند عبد الرزاق بلفظ : (كيف إذا بقيت في حثالة الناس ، مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا ، فعليك بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصتك وإياك وعوامهم)[300].

وهل ينكر عاقل انطباق هذه الأحاديث على وقتنا ، كيف يكون هذا وهذه الأحاديث إنما تصف ما يجري اليوم مما يدعو الاعتقاد لتصديق أن عصرنا

---

(298) نعيم (28/1) ، والداني (645/3) .

(299) سبق تخريجه في الفصل الأول حاشية رقم (61) .

(300) سبق تخريج حديث ابن عمرو في الفصل الأول حاشية رقم (58) و (59) .

هو المراد بهذه الأخبار ، والحق الذي لا مرية فيه أن تأويل الآية وهذه الأخبار متحقق في أحوال الناس اليوم ، ومع هذا تجد هؤلاء السفهاء من الحدثاء وأشياخهم أشياخ السوء والنفاق ، يعطلون العمل بهذه الأدلة سفهاً من عند أنفسهم ، فهم منفصلون في الحقيقة عن الفهم والإدراك ، فتجدهم دائما لا يدركون في هذا الأمر الكتاب والسنة ، ولا هم عارفون ومدركون لحقيقة زمانهم ، جهلة ما أبقوا من الجهل بقية ، لقد أتوا على آخره نعوذ بالله تعالى من شرهم . وقوله في حديث عبد الله بن عمرو : (كيف إذا بقيت في حثالة الناس) ومعنى الحثالة الرديء من كل شيء . ونقلت سابقا في ذكر الحثالة أو الحفالة عدة أحاديث ، منها حديث مرداس ؛ والفزارية امرأة عمر ؛ وأبي سعيد ، وفيها أن من صفة هؤلاء الحثالة التنازع ، وأن الله لا يبالي بهم ، ونص حديث أبي سعيد على أن الشيخ يكون فيهم مستضعفاً ، وقد علقت على أن المراد بالشيخ هنا الإشارة إلى المهدي .

ويدخل في جملة هؤلاء الحثالة ولا شك حدثاء الأسنان السفهاء وأشياخهم ، بل الأحاديث فيهم أخص ، وقد علق الحافظ على حديث مرداس الأسلمي المذكور سابقا قوله : فيه أنه يجوز انقراض أهل الخير حتى لا يبقى إلا أهل الشر ، واستدل به على خلو الأرض من عالم حتى لا يبقى إلا أهل الجهل صرفاً . واستدل لصحة هذا القول بحديث ابن عمرو في قبض العلماء حتى

يبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فَيَضِلون ويُضِلون[301]، وحمل هذا القبض على ما بعد الريح[302].

وهذا غير صحيح ، بل هذا القبض قبل خروج المهدي ، فقبل خروجه يندرس الدين ويفشو الجهل ويكون أهل الدين والعلم في غاية الاستضعاف ، لا كما هي حال من يدعى له العلم اليوم ، وهم آمنون بسربهم ، مقدمون في الناس وعند السلاطين الظلمة ، فهؤلاء قطعا ليسوا من أهل العلم وحالهم على خلاف ما جاء في سائر الأخبار في آخر الزمان ، ولقد وقفت في صحيح مسلم على ما فيه إيضاح لمعنى الحثالة والله أعلم ، وذلك لما قال عائذ بن عمرو لعبيد الله بن زياد : إجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب مُحَمَّد . فقال عائذ : وهل كانت لهم نخالة ، إنما النخالة بعدهم وفي غيرهم . ورواه الطبراني عن عبد الله بن جعفر المزني بلفظ : إنما أنت حثالة من حثالات أصحاب مُحَمَّد . فقال : وهل فيهم حثالة لا أم لك بل كانوا أهل بيوتات وشرف ممن كانوا منه[303].

وهذا مشعر بأن المراد بالحثالة من لم تعرف أنسابهم ومصداق هذا ، الحال التي عليها أكثر العرب اليوم من الانتساب إلى الأمصار والقرى على عادة العجم أو الانتساب إلى الجد أو من قرب منه ، وما ذلك إلا لضياع

---

(301) راجع الفتح (252/11) .

(302) راجع الفتح (16/13و77و282و294) ومثله قول ابن كثير في قبض العلم . والصحيح أن قبض العلم إنما يكون قبل خروج المهدي ، حين يظهر الجهل والفتن ويتقارب الزمان ، ومن المعلوم أن ظهور الفتن قبل المهدي .

(303) رواه مسلم (215/12) شرح النووي ، وذكره الهيثمي (215/5) .

أنساب أكثرهم على غير طريقة العرب قديماً ، وقد جاء في الصحيح أيضا ما يشهد لهذا المعنى فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ في أشراط الساعة قوله : (وإذا تطاول رعاة الإبل البُهم في البنيان فذاك من أشراطها) بضم الباء من البهم وهي رواية البخاري . قال الخطابي : وهو جمع بهيم وهو المجهول الذي لا يعرف . وقال الحافظ في الفتح : وصف الرعاة بالبهم ، إما لأنهم مجهولي الأنساب ، ومنه أبهم الأمر فهو مبهم إذا لم تعرف حقيقته ، وإما معناه لا شيء لهم اهـ[304] .

قلت : الراجح الوجه الأول لتملكهم البنيان وتنعمهم بالدنيا ، ووصفهم بالرعاة باعتبار ما سبق من حالهم ، والواقع يصدق هذا ويشهد له ، فقد نزح الرعاة إلى الأمصار .

الحاصل أن كل من أنكر الاعتزال في زماننا عند هذه الفتن فهو محجوج بكل ما سبق ذكره من أقوال رسول الله ﷺ ، وصحابته الكرام ، وما قاله وفعله من اتبعهم بإحسان ، ومنهم سعد رضي الله عنه لما قتل عثمان ونوزع علي رضي الله عنه ، ولم يبقَ أحد من أهل الشورى غيره وعلي ، قعد في بيته وأمر أهله أن لا يخبروه بشيء من أخبار الناس حتى تجتمع الأمة على إمام ! ، ثم نزح ونزل على ماء لبني سليم بالبادية معتزلاً الناس ، وأتاه ولده عمر فقال : أرضيت أن تتبع أذناب الماشية ، وأصحابك يتنازعون في أمر الأمة فقال سعد : سمعت رسول الله ﷺ

(304) شرح النووي (164/1) ، والفتح لابن حجر (123/1) .

يقول : (ستكون بعدي فتن خير الناس فيها الغني الخفي التقي) وقال لولده : يا بني أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأسا[305]. لله درك من عفيف على خطئك ولو أنزلت الأمر غير محله . وروي عنه أيضاً قوله عند مقتل عثمان : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم)[306]وهذا قطعاً كائن آخر الزمان لا كما وهم سعد وغيره من الصحابة رضي الله عنهم .

وكيف القول في هؤلاء الحدثاء وأشياخهم الجهلة ، وسعد يعتزل في الماشية ، ومن على الناس ، عليهم أمير المؤمنين علي ، فهل ينكرون فعله ، فإن كان لا ، فكيف يستقيم قولهم الآن فيمن يعتزل لأنه يرى أنه أدرك زمان الفتن الموعودة والشرور العظيمة التي ما زال رسول الله ﷺ ينذر منها ، فماذا يقولون ، غير أنه مبتدع ! ، هكذا ومن على الناس ، خُنَيْس ونُجَيْس !! . إلى الله نرفع

---

(305) مسلم (100/18) ، وأبو يعلى (93/2) ، ونعيم (157/1) ، وتهذيب الكمال للمزي (313/10) ، والتاريخ لإبن كثير (293/7) .

(306) رواه الترمذي (486/4) ، وأبو يعلى (95/2) وأبو داود من غير ذكر فتنة عثمان (99/4) وهو حديث صحيح ورواه غير هؤلاء . وبتمام الحديث قوله : أرأيت إن دخل على بيتي وبسط يده ليقتلني ؟ قال : (كن كابن آدم) ويشهد له ما في حديث أبي موسى وفيه قال رسول الله ﷺ في الفتنة : (كسروا فيها قسيكم وقطعوا فيها أوتاركم ، والزموا فيها أجواف بيوتكم وكونوا كابن آدم) رواه الترمذي (491/4) وقد صح عن أبي موسى أن هذه الفتنة إنما تكون آخر الزمان .روى حديثه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (35) ، وروى أبو داود وغيره عن هذه الفتنة أنها تكون في أيام الهرج . وفي هذا يعرف وهم سعد حين ظن بعد مقتل عثمان أن هذه الفتنة وقعت . كما أنه يعرف من هذه الأحاديث أن أيامنا هي أيام الهرج ويجب الآن أن نعمل كما عمل سعد فراراً من الفتن وأهلها ، والأمر أظهر من أن أتكلف تقريره تكراراً ، لو لم يكثر في الناس الجهل والغفلة .

الشكوى من هؤلاء الملاعين نسأل الله أن يُري المؤمنين فيهم يوماً لا ينسى وعاراً لا يمحى .

وسعد لم يعتزل وحده ، بل الكثير منهم ، وفي عداد من اعتزل أبو ثعلبة الخشني راوي الحديث المشهور ـ ذكر قريباً ـ اعتزل علياً ومعاوية تطبيقاً للحديث الذي رواه ، مثل ما فعل سعد ، وكذلك فعل ابن عمر وابن مسلمة ، كلهم كانوا يرون أن ذلك النزاع فتنة فاعتزلوا الناس إلى أن يجتمعوا على رأس .

وهؤلاء الحدثاء ليسوا على سنتهم ولو ادعوا أنهم على طريق السلف فهم كذبة ، بل هم على طريق الهوى .

وهذا عروة أيضا راوي حديث كرز الخزاعي في الاعتزال عند الفتن في شعب من الشعاب ، الحديث الذي يصف المعتزل عند الفتن بأنه (خير الناس) وفي لفظ حديث أبي سعيد : (أكمل الناس إيماناً)[307] يعمل بمقتضى هذا الحديث ويعتزل عند الاختلاف ، وعروة هو عروة ، قال عنه الزهري : جالست سعيد سبع سنين لا أحسب أن عالماً غيره ، ثم تحولت إلي عروة ففجرت به ثبج البحر[308] .

(307) رواه أبو داود (5/3) .

(308) تاريخ يحي (219/2) .

وهذا مطرف بن الشخير يعتزل عند الاختلاف والتفرق ، عن ثابت قال مطرف : لبثت في فتنة ابن الزبير سبعاً ما أخبرت فيها بخبر ولا استخبرت فيها عن خبر . وقيل ليزيد عن عبدالله : ما كان مطرف يصنع إذا هاج في الناس هيج ؟ قال : كان يلزم بيته ولا يقرب لهم جمعة ولا جماعة حتى تنجلي لهم عما انجلت . وقد كان يقول : ما أرملة جالسة على ذيلها بأحوج إلى الجماعة مني[309]. ومع هذا اعتزل عند الاختلاف .

فهل حقا هؤلاء في حكم الاعتزال على سنة أولئك ، كلا بل هم والله على البدعة والضلالة وعداوة السنة .

ونقل أبو يعلى الفّراء عن أحمد رحمه الله تعالى وسأله رجل عن حديث رسول الله ﷺ في الفتن وقوله : (خير الناس مؤمن معتزل) يريد حديث أبي سعيد ، فقال لأحمد : هل على الرجل بأس أن يعتزل في غنيمة له ينتقل من ماء إلى ماء ويعتزل الناس ، وهو على ذلك أفضل عندك أم يقيم في مصر من الأمصار وفي الناس ما قد علمت ، وفي العزلة من السلامة ما علمت ؟ فقال أحمد : إذا كانت الفتنة فلا بأس أن يعتزل الرجل حيث شاء ، فأما ما لم تكن فتنة فالأمصار خير[310].

(309) ابن سعد (142/7) ، والإبانة لابن بطة (595) .

(310) التمام لأبي يعلى الفراء (306/1) .

وقد اختار العمل بالعزلة بعد المحنة التي ابتلي بها ، وترك الجمعة والجماعة ومدة ذلك أكثر من اثنتي عشرة سنة . قال ابن كثير : لزم بيته لا يخرج منه إلى جمعة ولا جماعة وامتنع من التحديث[311].

وهذا مالك قبله رحمه الله في زمن المنصور العباسي ، لزم بيته ولم يكن يخرج لجمعة ولا جماعة . وذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ عن أبي مصعب قال : لزم بيته ولم يشهد الجماعة خمساً وعشرين سنة [312]. وهذا من الأئمة الكبار ، أيصح أن يقال عنه منافق لاعتزاله الناس عند الفتن وهو إمام متبوع .

وهذه سنة من سلف من الصحابة والتابعين والعلماء الكبار ، فبمن تأتوننا من بعدهم يعدل بهم من حثالة هذا الجيل الممقوت .

(311) التاريخ لابن كثير (351/10) .

(312) التاريخ لابن كثير (180/10) ، وتذكرة الحفاظ للذهبي (212/1) .

الموضوع	فهارس الموضوعات	الصفحة
• المقدمة		4-1
الفصل الأول		
• ليس من الحق إنكار الاعتزال مطلقاً		5
• القائل بأن الاعتزال من النفاق ولا يفعله إلا منافق ، مرتد عن الإسلام لإنكاره ما أوجبه رسول الله ﷺ		5
• حديث الخدري المرفوع : (يأتي زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال . .) أصل في جواز الاعتزال عند الفتن		5
• عروة يعتزل في زمان بني أمية وهو من الفقهاء السبعة رحمهم الله تعالى		7
• الاعتزال عند الفتن قد يكون في الجبال أو الشعاب ، وقد يكون في السواحل و الرباط أو في البيوت		8
• القول بوجود جماعة للمسلمين اليوم دعوى كاذبة يراد بها التلبيس على الجهال		11
• لا دليل على وجوب الاجتماع إلا على جماعة المسلمين وإمامهم ، وهي معدومة في زماننا وما عداها فرق وأحزاب يجب اعتزالهم ومباينتهم		12
• كل مدعي لجماعة اليوم بأن لها ما لجماعة المسلمين التي		12

أوجب الله تعالى ورسوله ﷺ التزامها فهو مبطل في دعواه تلك وتكذبه كل الأحاديث في الفتن والاختلاف	
• لا تتحقق فتن الهرج التي أخبر عنها رسول الله ﷺ إلا عند منتهى الإسلام ، ولذا أوجب الرسول الاعتزال	12
• أشر الناس في الفتن خطباؤها والناشطون المجدون	14
• إشادة البنيان علامة لظهور الشرور والفتن المنتظرة ، لذا كرهه كبار الصحابة	17
• من علامات نزول البلاء ارتفاع البنيان في مكة ، وجريان الماء في بيوتها ، وأن يكون بناء المسجد الحرام على أحسن ما يكون	18
• من جهل الإنسان اعتباره انفتاح النعم على الناس علامة لرضى الله تعالى عنهم	20
• في الزمان الذي يشرف فيه البناء ، لا يجتمع في مساجدهم مؤمن	21
• الخلافة في قريش ولا يقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة	21
• الفتن التي أخبر الرسول ﷺ أنها كائنة آخر الزمان تحققت في زماننا هذا	22
• أبو موسى كان يخشى أن تدركه هذه الفتن	23
• إنما يكون ظهور الفتن إذا عم الشر والبلاء الناس	24
• خالد بن الوليد كان يخشى أن تدركه سنوات الهرج والفتن	25
• أمر رسول الله ﷺ عند ظهور الفتن والهرج أن يلحق المرء بإبله	26–25

أو غنمه أو أرضه فراراً من الشر	
• سعد بن أبي وقاص يعتزل في زمانه خشية أن الفتن أدركته وأمر أهله ألا يخبروه بشيء من أمر الناس إلى أن تجتمع الأمة على إمام	26
• أرشد الناس عند الفتن المعتزل	27
• عند الاختلاف والفتن يجب الاعتزال والابتعاد عن العامة وعامة أمورهم	27
• عند ظهور الشح واتباع الدنيا وإعجاب الناس بآرائهم ، يسقط وجوب الأمر والنهي بوجوب الاعتزال	28
• الدعاة الحدثاء ومشايخهم من الرويبضات السفلة	29
الفصل الثاني	
• آخر الأمة سيصيبها بلاء وأمور منكرة	30
• القلب الأسود الذي لا ينكر الفتن ، والقلب الأبيض هو الذي ينكرها ، والأخير لا تضره الفتنة أبداً بعد ذلك ولا فتنة الدجال ، وأما القلب الأسود فحتماً ستضره فتنة الدجال	30
• عمر كان يخشى أن تدركه فتن آخر الزمان	31
• الفتن التي تصيب الأمة آخر الزمان ثلاث فتن	31
• عين رسول الله ﷺ خروج الفتنة من جهة المشرق من المدينة المنورة	32
• فتنة صدام العراق تحقق فيها ما ورد ذكره في أكثر من حديث	32

، ومن أبرز ذلك الدخان	
• لقد نفى الله تعالى تحقق إيمان قوم ذكروا بالقرآن ، ونفى انتفاعهم بالذكر عند تحقق تأويل ما ورد في ذكرهم	34-33
• عين رسول الله ﷺ فتنة صدام العراق لتكون مناطاً لتعيين الفتن الثلاث	34
• الفتن تتابع متصلة يركب بعضها بعضاً	35
• ساعي الفتن في النار	36
• القاتل والمقتول في الفتن في النار	37
• عند الفتن يعود الإسلام إلى أمره الأول ، كما بدأ أول الأمر	38
• تعرف السنوات التي تظهر فيها الفتن بعلامات منها : تقارب الزمان ، وكثرة الزلازل ، وكثرة الجهل ، ورفع العلم	39
• القائل بأن زماننا هو زمان هذه الفتن المنتظرة حجته قائمة .	39
• ابن باز يفسر معنى تقارب الزمان في الحديث بما هو حاصل اليوم في زماننا من يسر في المواصلات ، ويوافقه على هذا الشيخ التويجري رحمه الله	40
• ورد في حديث ابن عمر تفصيل حال هذه الفتن	42
• العلاء بن عتبة راوي حديث ابن عمر يتأول الحديث على العباسيين لورود ذكر الهاشمي وفتنته ، فتنة السرى ذات الدخن	43
• إثبات بطلان تأويل العلاء لحديث ابن عمر على بني العباس ، وبيان أنه في فتنة صدام العراق	44

• كذلك وهم من تأول عليهم أحاديث الرايات السود	44
• قوله في حديث ابن عمر : (ثم فتنة السرى دخنها من تحت قدمي رجل) فيه الإشارة إلى سريان جيش صدام العراق على أهل الكويت بليل ، والدخان الذي هو من أظهر أشراط الساعة	47
• تحقق فتنة صدام من المشرق وخروج الدخان فيها ، وكذلك تتدخل الروم ، كل هذا مما نصت عليه الأدلة من الكتاب والسنة	48
• قوله في حديث عوف بن مالك : (اعدد خصالاً بين يدي الساعة) فذكر الفتنة التي تعم وخبر حشر الروم . قال ابن حجر في شرحه : الفتنة هذه لم تقع . وقال ابن المنير : لم تجتمع الروم إلى الآن ولا بلغنا أنهم غزو في البر في هذا العدد ، فهي من الأمور التي لم تقع اهـ	49
• ما ورد في حديث ذي مخبر عن رسول الله ﷺ في التصالح مع الروم والنزول بمرج ذي تلول إنما هو في التحالف مع الغرب لتحرير الكويت ، والمرج ذكر هنا لتعيين الواقعة ، وهو المرج الذي تطل عليه تلول كاظمة (تسمى بالجهراء اليوم)	50
• قوله في حديث ذي مخبر : (فيغضب رجل من المسلمين فيدق الصليب) هو كناية عن المهدي ، ويدل على معاصرته لواقعة التصالح مع الروم	51–50
• قوله في حديث معاذ : (إن رحى بني مرج قد دارت ، وقد قتل بنو مرج) فيه إشارة لغزو صدام العراق الكويت ، ومن	54–53

أجل هذا أضافهم إلى المرج ذي التلول ، كما في حديث ذي مخبر . وقوله : (قتل بنو مرج) فيه إشارة لبطش صدام في تلك الفتنة	
• قوله في حديث معاذ بدوران رحى الإيمان عند دوران رحى بني مرج ، فيه إشارة إلى ابتداء أمر المهدي وتأويل القرآن بابتداء أمر تلك الفتنة المنتظرة	54
• الذكر الوارد في آية سورة مُحَمَّد (الآية 18) هو للقوم الذين تحل في زمانهم الأشراط ومنها الدخان والروم ومبعث المهدي	55
• قوله في حديث حذيفة لما سأله عن الخير والشر : (هدنة على دخن وإمارة على أقذاء) المراد به هدنة التحالف مع صدام العراق ، وإضافة الهدنة إلى الدخان تعريفاً لها	57
• القرآن زكى المهدي وفيه قوله تعالى : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ﴾ فالتالي المهدي والمتلو رسول الله ﷺ ، فهو قدوته وإمامه ، واعتباره من الشهداء تزكية عظيمة له ، وفيه ورد قوله تعالى :﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ وإلى هذا المنتهى في الثناء إذ قرن شهادته مع شهادة رب العباد على صدق رسالة رسول الله ﷺ ، وزاد وصفه بالعلم بالكتاب	58
• من أبين الأدلة في تعيين فتنة صدام ما جاء في حديث عبادة عن رسول الله ﷺ قوله : (إذا رأيتم عموداً أحمر قبل المشرق في رمضان ..)	59

• وأبين مما ورد في حديث عبادة في تعيين هذه الفتنة ما جاء من وجه آخر وفيه : (عموداً من نار يراه كل أهل الأرض) وهذا صريح في نار آبار البترول ، والدلالة الأقوى في الأثر قوله : (يراه كل أهل الأرض) وهذا غير محقق إلا في زماننا ، زمن البث المباشر لكل أهل الأرض !	60-59
• ورد عن الحسين بن علي : أن عمد النار التي تكون من المشرق إنما تكون قدام المهدي	62
• وورد عن أبي جعفر مُحَمَّد بن علي : بعد ظهور عمد النار تلك ينادي منادي من السماء بإسم المهدي	62
• كثير بن مرة التابعي كان ينتظر عمد النار هذه سبعين سنة ، وكان يعرف ذلك بأنه آية الحدثان !! . ومعنى الحدثان انقلاب الدول والأنظمة ، وهذا بعينه ما جرى في تلك الفتنة	64
• قال ابن كثير : الدخان من الآيات المنتظرة ، وهو ظاهر القرآن . وجزم بخطأ ابن مسعود في قوله أن الدخان مضى	65
• ابن عباس يصبح طيب النفس لأنه ظن أن الدخان قد طرق ، وذلك حين أخبروه أن الكوكب ذا الذنب قد طلع . وفيه فائدتان : الأولى : أن أمر الدخان فيه ما يدعو للفرح ولهذا طابت نفس ابن عباس رضي الله عنه ، ولا يكون هذا إلا من أجل بعث المهدي . الثانية : لإبن عباس وهم في افتراض اقتران تعلق الدخان بالكوكب الطارق ، ولعله كان يراه النجم الثاقب . والوهم منه هنا متيقن ، وقد أبعد النجعة ابن	65

عباس	
• القول بأن عمد النار هي مصدر الدخان المنتظر ليس ضلالة ، وإنما إنكار ذلك هو الضلالة المضلة ، وهو نفي محض مجرد من البرهان ، ويعد عند التحقيق تكذيباً لله ورسوله ﷺ ، أو غفلة مستدرج نسأل الله الحفظ والسلامة	67
• اقتران وجود عمد النار والدخان في هذه الفتنة من جهة المشرق ، وقد أتت الأخبار على ذكرهما ، دال على صحة التعيين ، الذي تكرر بالكتاب هنا ، وذلك لثبوت دلالة اقتران وجودهما	68
• قوله في حديث ابن عمر في فتنة السرى : (دخنها من تحت قدمي رجل ..) وفي حديث حذيفة : (وهدنة على دخن) لا يعقل إلا أنه أراد إلا حقيقة الدخان لا التشبيه المجازي ، فمن المستبعد أن يستخدم في حديثين من أحاديث فتن آخر الزمان . وواقع فتنة صدام وفرض الهدنة عليه دال على المراد لمن عقل	68
• أبو الخطاب بن دحية ، والعلائي ، وابن كثير يتفقون على رد تفسير ابن مسعود لآيات سورة الدخان وقوله أنه مما مضى	70
• ترجيح المؤلف أن الذي دعى ابن مسعود لهذا التفسير ذكر الرسول في الآيات ، وهو ما أغفل ذكره من رد قوله ولعلهم جبنوا عن الخوض في تفسير المراد	71-70
• ترك رسول الله ﷺ آيات سورة الدخان على ظاهرها مع	73

إخباره أن الدخان كائن آخر الزمان يعد تسليماً منه لما دلت عليه ظواهر آيات سورة الدخان ، مع ذكر الرسول وخروجه آخر الزمان في القوم الذين يغشاهم الدخان . ويعد هذا من باب تأخير البيان إلى وقت الحاجة	
• الدخ لغة في الدخان وقد أجاب بذلك ابن صياد لما سأله رسول الله ﷺ عما خبأ له	74
• لم يجب أهل العلم كيف تمكن ابن صياد من معرفة مراد الرسول ﷺ حين سأله عما خبأ له	74
• ابن صياد والدجال والسامري وإبليس عيون متعددة في وجه واحد	75
• معرفة ابن صياد لشأن الدخ وأنه كائن آخر الزمان مستمد من علم الأنبياء من قبل ، وليس معرفته هنا لما اضمر رسول ﷺ الله في نفسه كما فهم ذلك أصحاب رسول الله	75
• يفيد حديث أنس في سؤال اليهود رسول الله ﷺ عن أول أشراط الساعة ، أن اليهود يتكاتمون فيما بينهم علم تفصيلات ما سيجري آخر الزمان	76
• كل من قال من الصحابة والتابعين والعلماء في آيات سورة الدخان أن تأويلها آخر الزمان يلزمهم على هذا الاعتقاد والإيمان بخروج رسول آخر الزمان ، لدلالة ظاهر آيات سورة الدخان على هذا	77

• لا مخرج شرعي حسب علمي صريح من القرآن لمن قال بتأويل آيات سورة الدخان وأنها كائنة آخر الزمان إلا لترجمان القرآن العالم في تأويله ابن عباس ، إذ كان يقرأ هذه الآية على هذا النحو : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث .. ﴾ فإذا جاز إرسال المحدث في السابقين جاز إرساله في هذه الأمة ، والمهدي قطعاً سيكون من المحدثين وهو أولى بإستحقاق صفة الإرسال من محدثي بني إسرائيل . هذا ما يجوز أن يحمل عليه اختيار ابن عباس وأما غيره فلا أدري ما اختيارهم في هذا	77
• قوله تعالى : ﴿ (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً ﴾ مع قوله : ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا ﴾ فيه ما يشير إلى صحة الاعتقاد بأن ما ورد ذكره في سورة الدخان هو المهدي ، إذ أن الله تعالى من سننه أن لا يهلك القرى حتى يبعث رسولاً . وقد ثبت الوعيد بإهلاك هذه القرى آخر الزمان ، فصح ثبوت إرسال الرسول آخر الزمان قبل هذا الإهلاك المكتوب المحتوم المنتظر على سنن الله في السابقين ، وسننه لا تبدل أبداً سبحانه ، ولا يستثني حكم هذه القرى المذكور خبرها هنا من عموم سنن الله تعالى في إهلاك القرى إلا ببرهان ، فصح على هذا اعتبار هذا من الشواهد على أن المذكور في آيات سورة الدخان هو المهدي	80

• قوله تعالى : ﴿ رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة . فيها كتب قيمة ﴾ يبعد أن يكون هذا الوصف لرسول الله ﷺ خصوصاً على اعتبار ما قبلها ، قوله : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ﴾ فجعل إتيان البينة مع الرسول على هذا الوصف ، وقد فسر بعضهم منفكين معناه تاركين ، وأهل الكتاب لم يتركوا ما هم فيه ، كما أن رسول الله لم يطلع على صحف أهل الكتاب بل ثبت بالقرآن نفي هذا عنه البتة ، وفي هذا إشارة قوية إلى أن الموصوف هنا قد يكون هو الرسول المذكور في سورة الدخان ، ويكون سبب تركهم ما هم فيه من باطل لانقطاع مادة ضلالهم بقيام الحجة القاطعة لشبه أباطيلهم المتراكمة من دهور . وأحق ما يكون هذا في زمان المهدي الذي سيؤتيه الله تعالى ما كانوا يدعون . ويعد هذا في عداد الشواهد لمن قال بتأويل آيات سورة الدخان آخر الزمان	83
الفصل الثالث	
• دل حديث حذيفة في سؤال رسول الله ﷺ عن الشر ، أنه عند الفتن إذا لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام أنه يجب الاعتزال حينئذ ، وهذا على خلاف مذهب هؤلاء الحدثاء السفهاء ومشايخهم رؤوس الجهل ، إذ أنهم ينكرون الاعتزال مع انعدام وجود الجماعة وإمام الجماعة ،والحديث أبلغ حجة من السنة في كشف باطلهم ، وعلى كل غيور لله في الدين أن يلزم هذا الحديث فدلالته حجة له عند الله يوم البعث وعليه ألا يخاف في	84

الله لومة لائم لئيم	
• البخاري رحمه الله يختار في ترجمته للحديث الاعتزال في حال انعدام جماعة المسلمين ، ولذلك أعقب تلك الترجمة بكراهة تكثير سواد الفتن وجواز التعرب في الفتنة . هذا مذهب البخاري وفيه تكذيب لأدعياء ينتسبون لأهل الحديث وينكرون الاعتزال في وقتنا هذا ويعدونه من فعل أهل الضلال والباطل ! . وهذا إمام أهل الحديث على خلاف ما ذهبوا إليه ، فقاتلهم الله ما هم على السنة وطريق السلف ، بل هم على البدعة وطريق الهوى	85
• إختيار البخاري أن الجماعة هم أهل العلم لا مستند فيه لمشروعية جماعة هؤلاء	86
• حديث حذيفة هذا إنما هو فيما يكون آخر الزمان ، ومن حمله على غير هذا فقد أخطأ ، وهو من الأحاديث التي أنهكها الاختصار والرواية بالمعنى	87
• بيان خطأ من حرف في متن حديث حذيفة الوارد في سنن أبي داود	90-89
• مذهب سفيان في الولاية من أشد المذاهب وأعجبها ، ولا يستقيم الاستدلال به لأحمد ولا لهؤلاء الحدثاء ورؤوس الجهل فيهم	90
• الإمارة المشار إليها في حديث حذيفة ورد في ذكرها ثلاثة أحاديث ، أحدهما صحيح والآخران في أسانيدهما مقال ، إلا	93

أن الواقع فيه ما يشهد لصحتهما	
• من ذهب من المعاصرين إلى القول بأن حديث أبي ذر في فتنة صدام العراق والخليج	94
• من علامات وقوع الفتنة المنتظرة : قلة الأمناء وكثرة الأمراء	96
• ومن علامة اقتراب وقوع الساعة كثرة المطر والأمراء ، وقلة الأمناء	96
• إمارة الصبيان ستملأ الأرض	96
• إذا تقارب الزمان كانت إمرة الصبيان ، وظهور الفتن من المشرق	97
• . هلاك الأمة على رأس هؤلاء الغلمة الأمراء من قريش	97
• من أعلام الساعة وأشراطها ملك الصبيان وظهور المعازف والكبر	97
• كان رسول الله ﷺ يتخوف على أمته إمارة السفهاء وكثرة الشرط والنشؤ الذين يتخذون القرآن مزامير	97
• آخر الزمان يخرج أحداث الأسنان سفهاء الأحلام ، ويقولون من خير قول البرية	99
• آخر الزمان يخرج أمراء ظلمة وفقهاء كذبة	100
• آخر الزمان يكثر الأمراء والقراء	101
• الفتنة لا تكون إلا إذا صار الفقه في الأشرار والملك في الصغار	101
• إذا كان الأئمة الذين لا يهتدون ولا يستنون بالنبي ، فسيقوم	101

فيهم الرجال الذين قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس	
• الأمير أو الخليفة المنصوص على وجوب طاعته في حديث حذيفة هو المهدي المنتظر ومن استدل بالأمر بطاعته على طاعة ولاة هذا الزمان فهو ضال مضل وقائل بالنقيض لمراد رسول الله ﷺ	102
• بعد الهدنة تكون الفتنة العمياء التي عليها دعاة النار	103
• أظهر صفات هؤلاء الدعاة حداثة السن ووقوع الاختلاف بينهم ، ولا يكون خروج هؤلاء إلا آخر الزمان	105
• حين يغدا على الناس بالجفان ويراح ، ويلبسون مثل أستار الكعبة . يريد ملابس بيض . ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ، عندها يقع فيهم القتل	106
• من علامات أشر الناس في هذه الأمة قوم يأكلون ألوان الطعام والشراب ، ويلبسون ألوان الثياب ، ويتشدقون في الكلام ويفشو فيهم السمن	107
• أثبتت الإحصاءات الكثيرة أن السمن قد تفشى في أكثر المجتمعات اليوم	108
• ابن باز يتأول ما في حديث حذيفة عن دعاة النار على دعاة القومية الاشتراكية والرأسمالية وعد الحديث من أعلام نبوة المصطفى عليه السلام . والصحيح أنهم دعاة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على زعمهم ، وقد بينت بعض الأحاديث أبرز صفاتهم كما سيمر في طول الكتاب وعرضه	109

• ابن باز قديما كان يكفر الدول محكمة القوانين الوضعية ...	109
• الألباني يقرر بأن حديث حذيفة مطابق لواقع المسلمين اليوم إذ ليس لهم جماعة قائمة ولا إمام مبايع ! ، وإنما أحزاب مختلفة اهـ. وهذا عين ما نعتقده في واقع المسلمين اليوم فلما يا ترى هذا الإنكار لحكم الاعتزال	110
• إضافة الخليفة الذي يخرج آخر الزمان إلى الله تعالى إنما هو إضافة تشريف وتكريم وفيها دليل على أن الله تعالى سيقوم بأمره ويدبر ملكه	112
• أخبر النبي عن خروج الحدثاء هؤلاء بعد قبض العلم ، وبين أنهم الحثالة الذين لا يبالي الله بهم ، ولمح إلى أن المهدي يكون بينهم مستضعفاً	114
• النبي ﷺ يأمر بقتل هؤلاء الحدثاء السفهاء	115
• قتل هؤلاء إنما يكون على يد المهدي المنتظر ، بدليل أن خروجهم إنما يكون آخر الزمان وقد نهى رسول الله ﷺ عن القتل آخر الزمان في سنوات الهرج ، فدل هذا على أن الإذن بقتل هؤلاء إنما هو للمهدي	116
• لا ينفع الإيمان وكسب الإيمان ، ما لم يكن ذلك قبل وقوع بعض الآيات المنتظرة	116
• ابن مسعود يتأول حديث رسول الله : (يأرز الإسلام إلى المدينة) فيخرج من الكوفة إلى المدينة مهاجراً تاركاً تنازع الناس على عثمان في تلك الناحية . ولو أدركه هؤلاء	121

الحدثاء السفهاء لقالوا تكفير وهجرة !	
• لا أحد يستطيع منع الفتنة وردها ، ولن يترك من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا قتل أو اضطهد إلى أن يخرج المهدي فيعز به الدين	123
• علي بن أبي طالب يسأله رجل عن المهدي فيعقد بيده سبعاً . وهذا فيه إسرار للمعنى وقد فعل رسول الله ﷺ مثل هذا من قبل	124
• بيان ضلال الألباني في قوله أن الاعتزال قبل المهدي ما هو إلا ضلالة وخرافة !!	125
• رد وهم الحافظ في تأويل قول رسول الله ﷺ : (هلاك أمتي على رؤوس غلمة من قريش) إذ جعل المراد مخصوص بعصر يزيد بن معاوية	128
• وهم البخاري حين ظن زمن الغلمة السفهاء من ولاة قريش في عهد بني أمية	128
• بيان خطأ أحمد رحمه الله تعالى في رده حديث أبي هريرة وابن مسعود في ولاة الشر آخر الزمان ، وكيف أن هذا مازال يتخبط به حنابلة وقتنا وأدعياء الحديث والسلفية مع إدراكهم تأويل ما نص عليه رسول الله في هذه الأحاديث .	128
• حذف من الحديث لفظة سفهاء عند الطبراني وابن حبان ، وأثبتها عبد الرزاق والحاكم وهذا يدل على تلاعب بعض رواة الحديث بمروياتهم ، وهذا لا يجوز ، لإفساده للرواية .	129

• إمارة الصبيان آخر الزمان شر ، فطاعتهم تدخل النار ، وعصيانهم فيه القتل	130
• وهم أبو هريرة حين ظن أن إمارة الصبيان وظهور النشؤ سيكون على رأس السبعين	131
• يخشى على من لم يصدق بتحقق ما ورد في أحاديث رسول الله ﷺ وفيه ذكر هؤلاء أن يكون داخل في عموم قوله تعالى : ﴿ .. فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ وقوله : ﴿ أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ... ﴾	135
• وقوع الاختلاف بين الدعاة الحدثاء خصوصاً والناس عموماً في آخر الزمان من أدل العلامات على تحقق بعث المهدي المنتظر	136
• الألباني يصف فتنة صدام بالفتنة العظيمة العمياء الصماء ، ويذكر أنها فرقة الأمة والدعاة	137
• عبدالرحمن عبدالخالق ينفي تحقق تأويل حديث حذيفة في دعاة النار في زماننا ، ويفتي بضلال من يحمل هذا الحديث على اختلاف جماعات الدعوة في هذا الزمان ، ومما قال بتحقق تأويله وأنه في دعاة اليوم الألباني ، وقد نقل إليه كلام عبد الرحمن فكرهه	139
• إدعاء عبدالرحمن أن أعظم نازلة حلت بالمسلمين ، وهي تفرقهم إلى دويلات وشعوب عديدة ليس لها مخرج في كتاب الله تعالى ، ردة عن الإسلام وتكذيب لله الذي أخبر بأن	140

كتابه تبياناً لكل شيء ، وذكرا للعالمين . والدليل على صحة الحكم بردته أنه عاد وادعى أن المخرج في هذا إبقاء الأنظمة المعاصرة الدولية على ما هي عليه الآن ، فنفى بذلك عن القرآن ما ادعاه لنفسه ، في حين أن القرآن يكفي منه آية واحدة في هذا الأمر ، قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)	
• وقوع الزلازل وبكثرة في آخر الزمان هو أيضاً من أظهر العلامات الدالة على تحقق بعث المهدي المنتظر	141
• تحقق كثرة الزلازل حاصل في زماننا خصوصاً بعد فتنة صدام العراق ، وبيان البرهان على ذلك	142
• قوله تعالى : ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة﴾ تأويلها زمن المهدي ، فإن الله تعالى يزلزل ويعذب بين يديه الكثير من القرى ، وحال العالم اليوم يشهد على تحقق تأويل هذه الآيات ، والأعمى لا يدري ويدرك ما يجري الآن على أقاليم أمريكا وأوروبا وأفريقيا وآسيا	143
• قوله تعالى : ﴿ لتركبن طبقاً عن طبق . فما لهم لا يؤمنون﴾ هذا خطاب موجه لهذا الجيل، فهو الذي تجاوز في السماء ، وبلغ فيه الإنسان القمر والمريخ وقوله (فليرتقوا في الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) داخل في نفس المعنى المراد في آيات سورة الإنشقاق ، وقد توعدهم الله تعالى بالهزيمة والصيحة ، وجعل ميقاتهم بلوغ السماء	152

• وقوله تعالى : ﴿ أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب ﴾ لم يتفق لأحد من الأمم السابقة ادعاء تملك السماء مثل ما وقع من هؤلاء ، فقد تملكوا فيما بينهم أجواء السماء والبحار ، والمدارات الفضائية خارج غلاف الأرض الجوي ، وجاءت الإشارة منه سبحانه لمقدرتهم على فعل هذا بدعوتهم للارتقاء في السماء ، ومعنى الارتقاء الصعود ، وهذا لم يقدر عليه إلا هؤلاء من بين جميع الأمم ، ولا يصح أن يوجه الأمر بالإرتقاء إلا لمن هو قادر عليه . وهؤلاء توعدهم بالصيحة عند ذاك ، وهي الصيحة التي يعين بها شخص المهدي خليفة لله على جميع البشر	153
• ما قاله حذيفة في أن الشر يوشك أن يصب من السماء حتى يبلغ الفيافي ، فيه الإشارة الصريحة للبث الفضائي الحاصل في زماننا وما يرسله من كفر وخلاعة وكذب	157
• بلوغ هذا الجيل إلى السماء أظهر علامات قرب تحقق هلاكهم الموعود ، وهي كذلك إمارة وحجة على أن هذا الجيل هو الجيل الذي يبعث فيه المهدي وذلك على حسب ما صرح به كتاب اليهود والنصارى المقدس	157
• أول الآيات من سورة الروم أنزلت في ذكر هؤلاء الذين طردوا جيش صدام العراق من الكويت ، وواهم كل من قرأ غَلبت في الآية بالضم ، وإنما الحق أن قراءتها بالفتح ، ومن الباطل اعتقاد الإجماع على قراءة الضم	159-158

• ابن مسعود وهم في اعتقاده أن ذكر الروم مما مضى كما وهم في الدخان والبطشة واللزام	159
• قوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ أصل حديث : المهدي خليفة الله تعالى . لوعد الله هذه الأمة أن يكون فيها استخلاف كما كان فيمن قبلها ، وكان الاستخلاف في بني إسرائيل يتم بتعيين الله تعالى لا أحد سواه ، فتنبه لهذه الفائدة فإنها عزيزة	160
قوله في سورة الروم : ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ وفي سورة الأنبياء : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب الوعد الحق .. ﴾ المراد به عين الوعد الذي ينصر به عباد الله تعالى ويمكنوا ، ويهزم به أعداء الله ويدحروا . وتعلق ذكر الروم هنا ويأجوج ومأجوج بذكر الوعد دال على أن أمر الروم ليس مما مضى كما قال ابن مسعود رضي الله عنه	162
• فتنة صدام العراق فتحت باب يأجوج ومأجوج فاجتمعوا من كل حدب وصوب ، وهذه النازلة مؤذنة بقرب تحقق الوعد الحق كما أخبر بهذا الله تعالى في سورة الأنبياء والروم وغيرهما	163

• من المتيقن أن هلاك العرب إنما يكون قبل خروج المهدي ونزول عيسى ولا يستقيم أن ينذرهم رسول الله ﷺ شر يأجوج ومأجوج إلا أن يكون أمرهم مما يقع قبل خروج المهدي ، وقد وردت أحاديث صحيحة تنذر العرب من شرهم	164
• من الشواهد على أن وعد الله المذكور في سورة الروم والأنبياء هو الوعد بنصر المؤمنين ودحر الكافرين ، ما ورد في سورة الإسراء في قوله تعالى : ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤُوا وجوهكم ... ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ من أجل تحقيق الوعد	167
• من لا يؤمن في وقتنا هذا بأن الوعد الحق اقترب ، مع ما يرى من حشر اليهود للأرض المقدسة من كل مكان ، فهو ضال جاهل ولا عذر له في تأويلات فاسدة للآيات مقابل ما يراه من تفصيل تحقق التأويل	168
• من يدعو لسلام اليهود في عصرنا من المنافقين هو في حقيقة الأمر أشر من اليهود أنفسهم إذ أن اليهود شكوا في القضاء وتحقق الوعد في حين لم يأتِ تأويله بعد ، وأما هؤلاء فقد أدركوا إبتداء تحقق التأويل وقرب نزول القضاء والوعد ، ومع هذا يسألون مناقضة قدر الله تعالى فهم بهذا أشر من اليهود ، والله يقول : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم . وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ﴾ شك من الوعد ونزول القضاء	168

• بيان بطلان القول بتحقق الوعد المذكور في سورة الإسراء قديماً من عدة أوجه	169
• بشرى النبي بالمهدي وتمكينه نظيرها بشرى موسى وهارون بني إسرائيل بالتمكين والظهور ، ومن أجل الإشارة لهذا المعنى جمعت سورة يونس ذكر البشارتين	175
• في تفسير النبي ﷺ لقوله تعالى ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة .. ﴾ بأنها الرؤيا مع ما ذكر في آخر الزمان أنها لا تكذب إشارة إلى ارتباط الرؤيا بالمهدي آخر الزمان وقوله : (من رآني فقد رأى الحق) داخل في هذا المعنى ، فالرؤيا جزء من الوحي ، ولم تبقَ بعد النبي عليه السلام إلا من أجل ارتباط الوحي بالمهدي المنتظر	177
• أشد الناس على المسلمين الروم ، وسيكون هلاكهم مع الساعة	181
• فتح القسطنطينية سيكون مع الساعة	181
• حديث ابن المسيب في أن الصيحة التي من السماء في إعلان إمارة المهدي	183
• وروي في النداء بإسم المهدي أيضاً عن علي وابن عمرو وشهر وأبي جعفر و مُحَمَّد بن علي وعاصم البجلي	186
• من لم يدرك الفرق بين أمر رسول الله ﷺ بالاعتزال عند الفتن ومذهب المعتزلة هو من أجهل الناس ، ولا عبرة عند أهل المعرفة لمثل هذا القول حتى يرد عليه	187-186

• وجوب الاعتزال عند الفتن التي تسبق التمكين للمهدي ، آكد بالوجوب وقد تواترت الأحاديث وأقوال الصحابة في تأكيد أمر الاعتزال عندها	187
• من الفتن ما لا يستطيع المؤمن أن يغير عندها بيد ولا بلسان وهي الفتن التي تسبق التمكين للمهدي	187
• قصر مسؤولية ما جرى في زمان الصحابة على ابن الزبير وتعريف ذلك بأنه فتنة ابن الزبير فيه مجانبة للإنصاف وقول الحق	188
• الرد على خطأ ابن باز في دعواه عدم مبايعة ابن الزبير ليزيد بن معاوية من أجل أنه يعتقد بكفره	188
• مذهب ابن عمر في طاعة الولاة وأحكام البيعة والجماعة لا يستقيم لهؤلاء الضلال الذين لا يوجبون الاعتزال في زماننا.	188
• بيان البرهان على تلون ابن باز في الدين	189
• الرد على منشور لأتباع جمعية إحياء التراث ! ينكرون فيه الاعتزال بحجة عدم جواز ترك الجمعة والجماعة ، وينسبون هذا إلى مذهب الرافضة ! وبيان جهلهم لكلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وحمله على غير محل النزاع تلبيساً على الرعاع من أتباع تلك الجمعية	189
• ابن سيرين يعتزل عند فتنة ابن الزبير	191
• فتن آخر الزمان تميت القلوب كما تموت الأبدان	193
• عند تقارب الزمان تستحكم الفتن في الناس	193

• عرض الفتن على القلوب على سبيل التعيين ولذا قيد العرض بالثلاث ، والمراد الفتن التي تكون آخر الزمان ، وهي الفتن التي ورد ذكرها في حديث ابن عمر كما في سنن أبي داود	195
• لفظ حديث ابن عمر عند نعيم بن حماد فيه قوله : (يخرج دخنها) وهذا يشهد لما تقرر سابقاً أن الدخن في الحديث على الحقيقة وليس المجاز	196
• ذكر الأحاديث والآثار التي تدل على أن خروج المهدي سيكون عند هذه الفتن	197
• حديث أبي سعيد هذا يدل على أن خروج السفاح إنما يكون آخر الزمان عند ظهور الفتن ، وهذا فيه تكذيب لادعاء السفاح العباسي أنه هو المراد بالخبر	197
• فتنة الدهيماء هي التي نعاصرها الآن ، وهي الفتنة التي تعقب فتنة السرى فتنة صدام العراق على أهل الكويت . وكان عمر رضي الله عنه يتخوفها على نفسه	199
• الحدثاء ومشايخهم رؤوس الجهل في إنكارهم لحكم الاعتزال الآن عند هذه الفتن ليسوا على نهج الرسول ﷺ ولا صحابته الكرام ولا أئمة السلف ، كما أنهم ليسوا كذلك في حكم البيعة وطاعة الإمام	201
• ورد في بعض الآثار أن الهرج يكون قدام المهدي ، وهذا فيه إلزام لهؤلاء الضلال الجهلة في أننا في زمان المهدي إذ أنه لا يسع العاقل اليوم إنكار أننا في زمان الهرج ، وقد أقر بتحقق	202

الهرج في المسلمين اليوم أحد أبرز رؤوسهم الضالة	
• كشف تلبيس ربيع المدخلي بتقريره اعتقاد وجوب طاعة الأمراء ، وحب أئمة الحديث	202
• إذا تفرقت القلوب والأهواء وكان الناس شيعاً يذيق بعضهم بأس بعض يسقط الأمر والنهي وعلى المرء حينها الاعتناء بنفسه وخاصته فقط	203
• رد قول الحافظ ابن حجر أن قبض العلم زمانه بعد قبض أرواح المؤمنين	205
• أكثر العرب اليوم مجهولي الأنساب	206
• هل يجرؤ الحدثاء وأشياخهم رؤوس الجهل على إنكار اعتزال سعد ، وعلى الناس علي أمير المؤمنين بحجة الاختلاف وعدم الاجتماع مثل ما ينكرون الاعتزال اليوم مع أنه من المتيقن حصول الاختلاف وعدم الاجتماع اليوم ، كما أن الناس ليس عليهم مثل علي رضي الله عنه	208
• ومطرف يعتزل عند الاختلاف في زمانه ، ويلزم بيته لا يقرب لهم جمعة ولا جماعة حتى يزول الخلاف	209
• أحمد رحمه الله تعالى يفتي بجواز الاعتزال إذا كانت الفتنة حيث يشاء المرء	210
• أحمد يرجح الاعتزال بعد المحنة التي ألمت به ، ويترك الجمعة والجماعة مدة اثنتي عشرة سنة ، وامتنع من التحديث كذلك	210

• ومالك رحمه الله تعالى في زمن المنصور العباسي يلزم بيته ولا يخرج إلى جمعة ولا جماعة ومدة ذلك أكثر من عشرين سنة	210